الكوثر

في شرح خطبة خير البشر ﷺ

حسام المرسومي

الكوثر

في شرح خطبة خير البشر (عليه السلام)

الكتاب: الكوثر في شرح خطبة خير البشر
تأليف: حسام المرسومي
الطبعة: الأولى ـ ١٤٤٢ هـ
الكمية: ٢٠٠٠
نشر وتوزيع: مكتبة الأبرار النجف الاشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بسط على الخلق وجوده، وأخذ عليهم ميثاقه، وألزمهم حجّته.

الحمد لله خالق آدم من طينٍ إلى أن أتبعه محمّداً سيّد الأولين والآخرين.

خلقه والصفوة نوراً قبل سنين، وأشهد على ذلك ملائكته المقرّبين.

الحمد لله الذي بعث في الأُميين رسولاً يتلو عليهم آياته، ويذكرهم بكلماته، ويهديهم سبل رشاده.

الحمد لله الذي ما أخلى الأرض من حججه، فنبيٌّ بعده وصيٌّ، ووصيٌّ بعده نبيٌّ إلى أن يصل إلى القائم بأمره والناطق بوحيه، المتمّ نوره ولو كره المشركون.

وهكذا جرت في الخليقة حكمته ونفذت إرادته ليحيى من حيَّ عن بيّنةٍ ويهلك من هلك عن بيّنةٍ والله سميعٌ عليمٌ.

وبعد...

فإني عندما كنت أكتب تعليقة السعد على كتاب مغني اللبيب احتجت إلى الخطبة الشقشقيّة لمولانا عليٍّ سيّد البريّة (عليه السلام) فخطر في ذهني الفاتر وقلبي الضامر

شرح الخطبة المسمّاة بالتوحيديّة، لما رأيت من غزارةٍ في علم التوحيد وقرارةٍ في إرساء قواعد التمجيد والتحميد.

فقررت أنْ أدخل المحجّة وأخوض اللجّة مع قصر الباع والحاجة إلى الابتياع، فنظرت إلى كلامه وما حواه من الفنون والمعارف والآداب والأصول في شتى الميادين والفصول لأكشف الغامض منها والدقيق، وأعوّل على الحقِّ فيها والحقيق.

واستعنت على ذلك بالله (جل جلاله) وطلبت العون والمدد من السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

ثُمَّ قبل أن ابتدئ بالشرح لاحظت ما يهيج المرّة إذ وجدت بعض الأعلام يقدّم لشرحه مقدّمةً في علم البلاغة حتّى وصلت مقدّمتهم إلى ما ناهز حجم هذا الكتاب، ظنّاً منهم أنّها سوف تسهم في تفسير كلامه، وتكشف عن تمام مرامه.

وما أحسبهم أجادوا، بل أضاعوا ولم يراعوا الجوانب الفلسفيّة والاشارات التفسيريّة والنكات النحويّة والصرفيّة، وغير ذلك.

نعم، قد يقال: إنَّهم تعرّضوا لما أشرت بالأثناء.

فإنّه يجاب: كان بالإمكان التعرّض للبلاغة في الأثناء أيضاً.

وربّما يعتذر لهم بمشايعة الرضي؛ إذ أطلق على مجموع الآثار بنهج البلاغة، ولا نعرف الوجه في التسمية فضلاً عن الحكمة في هذا الإطلاق.

ولعلّه تأثّر هو أيضاً بالوسط المعاش آنذاك؛ إذ كثر فيه فحول الأدباء والبلغاء والفصحاء.

وأخشى ألّا يفهم مرادي، فلست أقول إنَّ علياً (عليه السلام) ليس بالبليغ كيف وهو

أصل البلاغة ومعدن الفصاحة، لكن لا يمكن حصره في البلاغة وأنت تعرف أنّه همامٌ في غيرها، فهو الجامع لمحاسن الكلم وبيده مفتاح كلّ علم، الموصوف بأنّ كلامه دون كلام الخالق وفوق المخلوق.

هذا، وذكرت رواياتٍ من باب التأييد فلم أجد داعياً للبحث في الأسانيد إلّا ما ذكرت عليه الشاهد منها وكان مكرّراً حيث يفيد الاستفاضة فيما كان مسرحاً للنقل لا للعقل.

ولا بأس بالإشارة إلى أنّي كتبت ما كتبت بنحو المحاكمة للآراء فقوينا بعض آرائهم وأضعفنا بعضاً آخر، فالقوي بنظرنا عددناه بمثابة الشرح لكلامه (عليه السلام) والضعيف أخرجناه عن تلك المثابة.

نعم، قد نوافق بعضهم نتيجةً ولا يصحّ لنا طريقه فيكون قولاً بالطريق لا النتيجة.

ثُمَّ إنّنا نظرنا في الغالب إلى بعض الشروح كمنهاج البراعة للراوندي، ومنهاج البراعة لحبيب الله الخوئي، واختيار مصباح السالكين، وشرح نهج البلاغة الكبير والصغير للمحقّق البحراني، ومفتاح السعادة للقايني، وحدائق الحقائق للكيذري على ما نسبه وسمّاه العطاردي، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي.

نعم، وقع نظرنا على بعض الشروح وكان بنحو القلّة والنزر.

وقد جعلنا الأقواس المعكوفة في نقل بعض عبائرهم للإشارة إلى عدم استقامة المبدل منه، أو إلى وقوع الأخطاء من ناحية الإعراب وكتمناها اعترافاً منّا بفضلهم مع احتمال وقوع مثل ذلك بسبب النسّاخ والمطابع.

ونستطيع القول إنّ مهمّ الشروح هو شرح المعتزلي وكذا المنهاجين للراوندي

والخوئي.

وقد رأينا في مقدّمة المعتزلي كلاماً فيه من التحامل والتعريض ما لا يرضاه منصفٌ غير متعسفٍ، فقد شنع عليه شرحه بأنّى يكون للفقيه الخوض في شرح النهج، ثُمَّ ادّعى أن لم يسبق إلّا بشرح القطب.

أمّا الدعوى الثانية فيبطلها ما جاء في مقدمة للكيذري إذ قال: مستمداً بعد توفيق الله تعالى من كتابي المعارج والمنهاج.

والأول هو لعلي بن زيد البيهقي المعروف بفريد خراسان.

والثاني لقطب الدين الراوندي سعيد بن هبة الله.

وقد تمّ الفراغ من كتابه – الكيذري – سنة ٥٧٦ من الهجرة النبويّة الشريفة كما أفاد هذا جملة من الأعيان منهم آغا بزرك الطهراني في أعلام الشيعة.

مّما يعني أنّه قد فرغ منه قبل ولادة المعتزلي، لأنَّ ولادته كانت في ٥٨٦ من الهجرة.

فيكون الكيذري أسبق منه ومَن أشار لهما: وهو القطب وفريد خراسان.

والذي يهون الخطاب قوله: فيما أعلمه.

أمّا الدعوى الأوّلى فلنا عليها شاهدان، أحدهما ستعلمه الآن وثانيهما بعده.

فالأوّل: وقوع التأليفات والتصنيفات منه في شتى العلوم وهي:

١- شرح آيات الأحكام المعروف بفقه القرآن.

٢- شرح النهاية للشيخ الطوسي.

٣- ضياء الشهب أو ضوء الشهاب في شرح كتاب (الشهاب) للقاضي القضاعي.

٤- علامات النبيّ والأئمّة (عليهم السلام).

٥- الموازرة بين المعجزات.

٦- الدلائل والفضائل.

٧- أم القرآن.

٨- رسالة الفقهاء.

٩- المغني في شرح النهاية.

١٠- حلّ المعقود في الجمل والعقود.

١١- تهافت الفلاسفة.

١٢- الخرائج والجرائح في المعجزات.

١٣- شرح الأبيات المشكلة في العربية.

١٤- قصص الأنبياء.

وغيرها كثيرٌ حتّى أوصلها بعضٌ إلى ستين.

أمّا الثاني فلما ستعلمه وستشهده في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وقبل أن أختم الكلام لابدَّ أن أشير إلى الأخوين الجليلين جناب السيد أيوب الفاضلي وسماحة الشيخ علاء المحمداوي فلقد تابعاني من بداية عملي إلى نهايته ولم يدخرا جهداً في مساندتي فالله أسأل أن يبقيهما ذخراً لشريعته وأن يكرمهما بمعرفته.

كما أرجو من العلي القدير أن يحفظ والديَّ من شرِّ الأشرار وكيد الفجّار وطوارق الليل والنهار فإني لازلت بدعائهما، لا حرمني الله منهما.

وإذ أشارف على النهاية أضع ثمرة جهدي وسهري وكدّي بيد مولاتي التقيّة

النقيّة فاطمة بنت محمّدٍ (عليهما السلام) مطأطأ الهامة علّها تقبله قبول الراضيّة وتشفق عليَّ بالرضا والعافيّة، وإلى الله المنتهى.

تمَّ الفراغ منه فجر السادس عشر من ذي الحجّة لعام ١٤٤١هج

حسام المرسومي

قال أمير المؤمنين(عليه السلام): «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَ لَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، وَ لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَ لَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَ لَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَ لَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَ لَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ، فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَ نَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَ وَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ، أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَ كَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَ كَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَ شَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَ مَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَ مَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَ مَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَ مَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَ مَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَ مَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْه، كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَ غَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ، فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَ الْآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَ لَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ، أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَ ابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَ لَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا، وَ لَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَ لَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا، أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا، وَ لَاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَ غَرَّزَ غَرَائِزَهَا، وَ أَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَ انْتِهَائِهَا، عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَ أَحْنَائِهَا، ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ، وَ شَقَّ الْأَرْجَاءِ، وَ سَكَائِكَ

الْهَوَاء، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَ الزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَ سَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَ قَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ، الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ، وَ الْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ، ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا، وَ أَدَامَ مُرَبَّهَا، وَ أَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وَ أَبْعَدَ مَنْشَأَهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَ إِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَ عَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ، وَ سَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، وَ رَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَ جَوٍّ مُنْفَهِقٍ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وَ عُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَ سَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَ لَا دِسَارٍ يَنْتَظِمُهَا، ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَ ضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ، وَ أَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وَ قَمَراً مُنِيراً، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَ سَقْفٍ سَائِرٍ، وَ رَقِيمٍ مَائِرٍ ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَ رُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَ صَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ، وَ مُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَ لَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَ لَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَ لَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ، وَ مِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، وَ أَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ، وَ مُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَ أَمْرِهِ، وَ مِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَ السَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ، وَ مِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَ الْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَ الْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَ الْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَ أَسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَ لَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ

صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَ لَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ، وَ لَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ، ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَ سَهْلِهَا وَ عَذْبِهَا وَ سَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَ لَاطَهَا بِالْبِلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَ وُصُولٍ، وَ أَعْضَاءٍ وَ فُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَ أَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ، لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وَ أَجَلٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَتَمَثَّلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَ فِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَ جَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَ أَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَ مَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ، وَ الْأَذْوَاقِ وَ الْمَشَامِّ، وَ الْأَلْوَانِ وَ الْأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَ الْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَ الْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، وَ الْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَ الْبَرْدِ وَ الْبِلَّةِ وَ الْجُمُودِ وَ الْمَسَاءَةِ وَ السُّرُورِ، وَ اسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَ عَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَ الْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ لَهُمْ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ، وَ قَبِيلَهُ اعْتَرَتْهُمُ الْحَمِيَّةُ، وَ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ، وَ تَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَ اسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، وَ اسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ، وَ إِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، ثُمَّ أَسْكَنَ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ، وَ آمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَ حَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَ عَدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَ مُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَ الْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَ اسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًا، وَ بِالاعْتِزَازِ نَدَماً، ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَ لَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَ وَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَ تَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ، وَ اصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ،

أَخذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثاقَهُمْ، وَ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَ اتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَ اجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَ اقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَ وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَ يُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَ يَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَ يُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَ يُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَ مِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَ مَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَ آجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَ أَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَ أَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَ لَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَ لَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَ مَضَتِ الدُّهُورُ، وَ سَلَفَتِ الْآبَاءُ، وَ خَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ، وَ إِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلَادُهُ، وَ أَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَ أَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَ طَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَ أَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) لِقَاءَهُ، وَ رَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَ أَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَ رَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً، وَ خَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَ لَا عَلَمٍ قَائِمٍ، كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَ حَرَامَهُ، وَ فَرَائِضَهُ وَ فَضَائِلَهُ، وَ نَاسِخَهُ وَ مَنْسُوخَهُ، وَ رُخَصَهُ وَ عَزَائِمَهُ، وَ خَاصَّهُ وَ عَامَّهُ، وَ عِبَرَهُ وَ أَمْثَالَهُ، وَ

مُرْسَلَهُ وَ مَحْدُودَهُ، وَ مُحْكَمَهُ وَ مُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً جُمَلَهُ وَ مُبَيِّناً غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ وَ مُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَ بَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ وَ مَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَ وَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَ مُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَ بَيْنَ وَاجِبٍ لِوَقْتِهِ، وَ زَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَ مُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَ بَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، وَمُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ، وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ، وَ يَوْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلَهَ الْحَمَامِ، وَ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَ إِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَ صَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَ وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَ تَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَ يَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَماً، وَ لِلْعَائِذِينَ حَرَماً، وَ فَرَضَ حَقَّهُ وَ أَوْجَبَ حَجَّهُ، وَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين».

قال(عليه السلام): «الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ».

المقام الأوّل: توطئةٌ

ابتدأ أمير المؤمنين(عليه السلام) بحمد الله تعالى على سبيل الجملة الاسميّة التي تختلف عن الجملة الفعليّة كما سيبين.

وأراد أن يتوصّل بـ«الَّذِي» إلى وصف الله تعالى بالجملة التي بعده.

وقوله(عليه السلام): «مِدْحَتَهُ» بالكسر لِفعلةٍ اسم للهيأة، ولا يمكن أنْ تكون بالفتح اسم مرّةٍ.

فكأنّه قال: الحمد لله الذي لا يستطيع القائلون مدحه بأيّ هيأةٍ تهيأوا.

المقام الثاني: في إخباره (عليه السلام)

قال القطب الراوندي: أخبر (عليه السلام) عن نفسه بأنّه بحمد الله بظاهر كلامه، وأمر غيره من فحواه بأن يحمد الله، وأنَّه ثابتٌ على ذلك مدّة حياته، ويجب على المكلّفين ثبوتهم عليه ما بقوا، ولو قال: (أحمد الله) لم يعلم منه جميع ذلك[1].

إلّا أنَّ المعتزلي أنكر عليه ذلك، وقال: ولقائلٍ أن يقول: إنَّه ليس في فحوى كلامهم أنَّه أمر غيره بحمد الله، وليس يفهم من قول بعض رعيّة الملك لغيره منهم: العظمة والجلال لهذا الملك أنَّه قد أمرهم بتعظيمه وإجلاله.

ولا أيضاً في الكلام ما يدّل على أنَّه ثابتٌ على ذلك مدّة حياته، وأنَّه يجب

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للراوندي: ٢٣ ـ ٢٤.

على المكلّفين ثبوتهم عليه ما بقوا.

ولا أعلم كيف قد وقع ذلك للراوندي، فإنْ زعم أنَّ العقل يقتضي ذلك فحقٌّ؛ ولكن ليس مستفاداً من الكلام، وهو إنّما قال: إنَّ ذلك موجودٌ في الكلام.

فأمّا قوله: ولو كان قال: أحمد الله لم يعلم منه جميع ذلك، فإنَّه لا فرق في انتفاء دلالة (أحمد الله) على ذلك ودلالة (الحمد لله)، وهما سواءٌ في أنَّهما لا يدلّان على شيءٍ من

أحوال غير القائل، فضلاً عن دلالتهما على ثبوت ذلك ودوامه في حقّ غير القائل[١].

لكنَّ المحقّق التستري علّق على المعتزلي قائلاً: لم يراجع كلمات علماء البيان في الفرق بين الجملة الاسميّة والجملة الفعليّة، فإنَّما قال الراوندي ما قالوه من أنَّ (أحمد الله) بلفظ الفعليّة مجرّد إخبار بحمده له تعالى.

أمّا (الحمد لله) بلفظ الاسميّة، وتعريف الحمد بلام الجنسيّة فدالٌّ على الدوام والاستمرار، وأنّه تعالى مستحقٌّ للحمد من كلّ حامدٍ، فكما حمده هو (عليه السلام) يجب أنْ يحمده كلّ مخلوقٍ مثله[٢].

ولنجعل الأوّل والأخير بعد ردّنا على المعتزلي.

أوّلاً: هو، أي: القطب قال: بفحوى الكلام، ويريد به مفهوم الموافقة وعندئذٍ لابدَّ لمفهوم الموافقة من كلام ليدّل عليه بالمفهوم.

ثانياً: هو لم يقل: إنَّ ذلك موجود في الكلام.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١: ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) بهج الصياغة في شرح نهج البلاغة لمحمد تقي التستري ١: ٤٧.

ثالثاً: قولك: ولا أيضاً في الكلام ما يدلّ....

فأقول: بل يدلّ عليه، وهو ثابتٌ مدّة حياته حيث ابتدأ بجملةٍ إسميّةٍ.

أمّا غيره فسيأتي الحديث عنه.

ويرد عليهما: بما أنَّ المسألة راجعةٌ إلى المفهوم فيكون قوله (الحمد لله) و(أحمد الله) مشتركين في الدلالة على غير القائل من دون سحب أيّة خصائص للمدلول المطابقي إلى المدلول الإلتزامي حيث لا يمكن ذلك، لأنَّ مفهوم الموافقة ليس مدلولاً التزامياً للدليل المطابقي بل هو المدلول الالتزامي لمدلول الدليل(١).

ثُمَّ من أين للقائل (عليه السلام) الأمر وهو غير ثابتٍ للمدلول المطابقي.

نعم، هذا يثبت فيما لو قال قائلٌ: لا تقل لهما أفٍ، فمعنى ذلك حرمة الضرب والإهانة.

أمّا مجرّد أن يأتي بجملةٍ اسميّةٍ فتوجب على غيره الحمد والثناء فهو أمرٌ لا نتعقّله.

---

(١) المعجم الأصولي للصنقور البحراني: ٨٨٦.

المقام الثالث: هل الحمد والمدح رديفان؟

ذهب المعتزلي إلى ذلك بدعوى قولك: حمدت زيداً على إنعامه، ومدحته على إنعامه، وحمدته على شجاعته، ومدحته عليها.

فهما سواءٌ يدخلان فيما كان من فعل الإنسان، وفيما ليس من فعله(١).

وناقشه حبيب الله الخوئي فأفاد: المعروف أخصيّة الحمد من المدح بوجوهٍ ثلاثةٍ:

أحدها: أنَّ الحمد هو الثناء على ذي علمٍ وحياةٍ لكماله، والمدح هو الثناء على الشيء لكماله سواءٌ كان ذا علمٍ وحياةٍ أم لا.

ألا ترى أنَّ من رأى لؤلؤةً في غاية الحسن أو ياقوتةً كذلك فإنَّه قد يمدحها، ويستحيل أن يحمدها.

الثاني: أنَّ الحمد لا يكون إلّا بعد الإحسان، والمدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده.

الثالث: أنَّ الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري، تقول: حمدته على كرمه ولا تقول على حسنه، والمدح يعمّ الاختياري وغيره(٢).

هذا، ويمكن أنْ ندّعي حصول النقل في خصوص (الحمد) دون سائر الصيغ المشتقّة من حَمَدَ، فانتقل من معناه وهو الثناء المطلق الصادق على الله تعالى وعلى خلقه إلى الثناء عليه وحده، ولهذا لم يرد الحمد لفلانٍ على أفعاله.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١: ٥٢.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لحبيب الله الخوئي ١: ٢٩٣.

لذلك نقول أمدح زيداً ولا نقول الحمد لزيدٍ.

وبذلك يندفع ما أفاده ابن منظورٍ[١] والزمخشري[٢].

ويندفع أيضاً ما أفاده المعتزلي، وما أفاده الخوئي إذ مع اعتراف الأخير بالأخصيّة لكنّه لم يخصّه بالله تعالى.

قد يقال: كيف صرتم إلى هذا وأمير المؤمنين (عليه السلام) نطق بالحمد ثُمَّ أعقبه بمدحته؟

فإنّه يجاب: قلنا بحصول النقل في صيغة الحمد، ولم نتعرّض لدلالة المدح.

ثُمَّ لا يمكن للقائل (عليه السلام) أن يأتي بحمده - إن قلنا بجوازه - حيث هو قبيحٌ غير مستعملٍ.

المقام الرابع: في الألف واللام الداخلة على «القائلون»

إختار القطب كونها لتعريف الجنس كما في الحمد[٣].

وقد تعجّب منه المعتزلي وذهب إلى كونها للاستغراق بلا شبهةٍ، فقال:... للاستغراق في «**القائلون**» لا شبهة في ذلك[٤].

وقال الخوئي: والألف واللام في «**القائلون**» للاستغراق، لعدم خلافٍ ظاهرٍ بين أصحابنا في إفادة الجمع المعرّف للعموم، وهو المتبادر منه أيضاً، ويدلّ عليه

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٣: ٣١٤ ـ ٣١٥.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري: ٩٤.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للراوندي ١: ٢٥.

(٤) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١: ٥٧.

جواز الاستثناء مطّرداً.

ومنه يظهر فساد ما توهّمه القطب الراوندي على ما حكاه الشارح المعتزلي من كونهما فيه للجنس كما في الحمد، مضافاً إلى لزوم إرادة الاستغراق والعموم في خصوص المقام وإن لم نقل به في ساير المقامات، لعدم تماميّة المعنى إلّا به لأنَّ المبالغة [لأنَّه للمبالغة] بل الحقّ المحض عجز.... الخ(١).

وفي كلام الأخيرين نظرٌ.

أوّلاً: لا نجد فرقاً بين ما ذكراه وذكره من جهة «**القائلون**»، غاية الأمر صعب عليهما مقابلة الحمد للقائلين على ما سنوضّح.

ثانياً: إنَّ الألف واللام تكون حرف تعريفٍ، وهي نوعان: عهديّةٌ، وجنسيّةٌ، وكلٌّ منهما ينقسم إلى ثلاثة أقسامٍ:

عهديّةٌ: وهي أن يكون مصحوبها معهوداً ذكريّاً أو ذهنيّاً أو حضوريّاً.

جنسيّةٌ: وهي التي تكون لاستغراق الأفراد، وعلامتها أنْ تخلفها (كل) حقيقةً، أو التي تكون لاستغراق خصائص الأفراد، وعلامتها أنْ تخلفها (كل) مجازاً، أو لتعريف الماهيّة وهي التي لا تخلفها (كل) حقيقةً ولا مجازاً(٢).

ثالثاً: إنّه أراد بالجنس القسم الأوّل لوضوح المجازيّة في الثاني وعدم كون الألف واللام لتعريف الماهيّة.

رابعاً: حاصل إشكال الشارح عليه: أنّه إن أراد الجنسيّة العامّة فلا نتنازع إلّا أنَّ قوله: (كما في الحمد كذلك) يمنع أن يحمل كلامه على المعنى الصحيح حيث لو

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للخوئي ١: ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٢) لاحظ: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ١: ٧٢ ـ ٧٣.

كانت للاستغراق لما جاز أن يحمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا غيره من الناس.

وهذا باطلٌ على زعمه.

ولنسلّط الضوء على هذا الزعم بأمورٍ:

الأمر الأوّل: هل أردت بالجنسيّة العامّة كونها للجنس في قبال العهد؟

وهذا باطلٌ جزماً لأنّه، أي: القطب الراوندي قال: (كما في الحمد)، و لأنّه لا يمكن أن تكون للجنسيّة العامّة حيث إنّ أقسامها متباينةٌ فلابدَّ أن يشير إلى قسمٍ بعينه.

فهو يريد القسم الأوّل كما أشرنا إليه قبل هذا.

الأمر الثاني: قولك: أن يحمد رسول الله (صلى الله عليه وآله)...

فيه احتمالان:

الأوّل: البناء للمفعول.

الثاني: البناء للفاعل.

أمّا الأوّل فهو باطلٌ لجواز مدح الرسول (صلى الله عليه وآله) بل ومدح غيره بناءً على عدم النقل، ولا نظنّك تقصده.

أمّا الثاني ففيه: لابدَّ أن نحمل قولك (لما جاز) على عدم الامكان إذ من غير المعقول أن تريد به عدم الجواز الشرعي أو غيره.

فنقول: أمّا بالنسبة للمعطوف على الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) فلا نشكّ في كونهم غير قادرين على الإتيان بحمد الله بما هو أهلٌ للحمد.

وأمّا بالنسبة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو وإن كان كاملاً بنظر الله تعالى وبنظر نفسه الشريفة وبنظر أمّته لكنّه لا يبلغ حمد الله، وذلك لا لخللٍ فيه (صلى الله عليه وآله) بل لأنَّ الله

تعالى غير متناهٍ ولا يمكن أن يحيط المتناهي باللا متناهي.

أو نقول: يمكن لأمير المؤمنين (عليه السلام) اخراج نبيّه محمّدٍ (صلى الله عليه وآله) بل واخراج نفسه الشريفة بالقرينة العقليّة، وقد وقع مثل ذلك في كتاب الله تعالى فكيف نمانع أن يقع في النهج الشريف؟

ومنه يظهر عدم تماميّة ما أفاده الخوئي فإنَّه عارٍ عن التحقيق مجانبٌ للتدقيق.

المقام الخامس: تتمة المقام الثاني

جاء في شرح المعتزلي: أنَّ الحمد والمدح أخوان، وأنَّ الشكر أخصّ من المدح لأنَّه لا يكون إلّا على النعمة خاصّةً، ولا يكون صادراً إلّا من منعمٍ عليه[1].

وقد أجبنا عن الأوّل، وبيّنا خلافه.

أمّا الثاني فيكون - بناءً على النقل - الحمد أخصّ منهما إذ لا يحمد غيره بخلافهما، فإنَّه قد يمدح الله وزيداً، وقد يشكر الله وعمراً.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ١: ٥٢.

قال (عليه السلام): «وَ لَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ».

المقام الأوّل: النعمة والنعماء

قال القطب الراوندي: وفي ايراد لفظ النعمة مفرداً في كلام الله وعلى لفظ الجمع في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) سرٌّ عجيبٌ، وهو: أنَّ الله دلّ عباده على الآية العظام، بأن قال: نعمةٌ واحدةٌ لا يمكنكم عدّ وجوه كونها هذا حقيقته، وإلّا فالشيء الواحد لا يمكن عدّه.

وقيل المراد بها الجنس.

وإنّما ذكر عليٌّ (عليه السلام) نعماءه ونعمه على الجمع في الروايتين إشعاراً أنَّ أصول نعمه لا تحصى لكثرتها، فكيف تعدّ وجوه فروع نعماءه؟[1]

هذا، لكن المعتزلي ضرب أصل التفرقة في كلام القطب الراوندي وقال: الصحيح أنَّ المفهوم من قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ الجنس.

كما يقول القائل: أنا لا أجحد إحسانك إليَّ، وامتنانك عليَّ، ولا يقصد بذلك إحساناً واحداً، بل جنس الإحسان[2].

وممّا يلاحظ على المعتزلي كونها واردةً في الآية الشريفة بصيغة المفرد فإن أردنا أن نخرجها إلى الجمع فلابدّ من مخرج.

وهو: إمّا وجود الألف واللام، وإمّا وجود كل، وإمّا امتناع اتيانها مفرداً،

---

(١) منهاج البراعة للراوندي، ١: ٢٦.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١: ٥٨.

وليست بموجوداتٍ.

ثُمَّ قوله: المفهوم من قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ الجنس، عارٍ من الاستدلال إلّا ما يظهر من قوله: أنا لا أجحد إحسانك...

مع أنَّه فرقٌ بين المقامين؛ إذ المقام الأوّل مقام الامتنان على عبيده، والمقام الثاني مقام الدعاء والتضرّع.

فلا يصحّ أن يذكر إلّا كلّ إحسانه وجميع مننه.

نعم، يمكن أن يكون كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) - على رواية نعماءه - مفسراً لكلام الله تعالى.

وعندئذٍ يكون المراد جنس النعمة.

المقام الثاني: في إيراد كلامه (عليه السلام) على نحو الخبر

قال الراوندي: وكذلك لطيفةً عجيبةً في إيراد كلامه على لفظ الخبر وفي كون كلام الله على لفظ الشرط، لأنّه تعالى يقول لعباده: إن أردتم أن تعدّوا نعم الله لا تقدروا على حصرها لأنَّ تفاصيلها لا يعلمها الّا الله، وأخبر على أنَّه أنعم النظر، فعلم أنَّ أحداً لا يمكنه حصر نعمه غيره تعالى[1].

وأشكل عليه الشارح المعتزلي أيضاً قائلاً: اللطيفة الثانية غير ظاهرةٍ ولا مليحةٍ لأنّه لو انعكس الأمر فكان القرآن بصيغة الخبر وكلام عليّ (عليه السلام) بصيغة الشرط لكان مناسباً أيضاً، حسب مناسبته، والحال بعكس ذلك، اللهم إلّا أن تكون قرينة السجعة من كلام عليٍ (عليه السلام) تنبو عن لفظة الشرط، وإلّا فمتى حذفت القرينة

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٢٦.

السجعيّة عن وهمك لم تجد فرقاً، ونحن نعوذ بالله من التعسّف والتعجّرف الداعي إلى ارتكاب هذه الدعاوى المنكرة[١].

لكن فاته كون الجملة بصيغة الخبر وقعت عقيب الجملة الشرطيّة فكأنّه (عليه السلام) قال بعدما سمع ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، عددناها ولم نحص نعمك في المعدود منها.

وهذا المعنى غير متأتٍ فيما لو أخبر الله سبحانه عنه بصيغة الخبر، كما أنّ من الواضح كون أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يمكنه اتيان جملةٍ خبريّةٍ عقب جملة خبريّة مثلها فضلاً عن اتيانه بجملةٍ شرطيّةٍ.

وهذا كلّه مع عدم مراعاة ما سمّاه السجعة التي لا يخفاك أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) فوق قوانينهم اللغويّة واعتباراتهم البلاغيّة كما أشرنا إلى ذلك في المقدّمة من كتابنا هذا.

المقام الثالث: مطالبٌ مهمّةٌ

قال القطب الراوندي: ولو قال: (ولا تعدّ نعمه الحاسبون) لم يحصل المبالغة التي أرادها (عليه السلام) بعبارته، لأنّ الحساب اشتقاقه من الحسبان الذي هو الظنّ، والعدد من العدّ وهو الماء الذي لا تنقطع كماء العين.

والإحصاء الإطاقة، يقال: أحصيته، أي: طقته، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾، وقال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾،أي: لا تحصروها ولا تطيقوا عدّها.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٥٨.

فقوله: «وَ لَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ» أي: لا يطيق عدّ نعماءه العادّون، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، فأكّد بهذه الجملة القرينة الأولى.

والمعنى: إنَّ مدائح الله لا تشرف على ذكرها الأنبياء والمرسلون؛ لأنَّ نعماءه أكثر من أن تعدّها الملائكة المقرّبون والكرام الكاتبون(١).

وقال المعتزلي: أمّا الحساب فليس مشتقّاً من الحسبان بمعنى الظنّ كما توهمه، بل هو أصل برأسه، ألا ترى أنَّ أحدهما حَسِبت أحْسَب، والآخر حَسِبْت أحْسُب وأحسَب بالفتح والضمّ، وهو من الألفاظ الأربعة التي جاءت شاذّةً.

وأيضاً فإنَّ (حَسِبت) بمعنى ظننت يتعدّى إلى مفعولين لا يجوز الاقتصار على أحدهما، و(حَسِبت) من العدد يتعدى إلى مفعولٍ واحدٍ.

ثُمَّ يقال له: وهَبْ أنَّ (الحاسبين) لو قالها مشتقّةً من الظنّ لم تحصل المبالغة، بل المبالغة كادت تكون أكثر؛ لأنَّ النعم التي لا يحصرها الظانّ بظنونه أكثر من النعم التي لا يعدّها العالم بعلومه.

وأمّا قوله: العدد مشتقٌّ من العِدّ، وهو الماء الذي له مادّةٌ، فليس كذلك، بل هما أصلان.

وأيضاً لو كان أحدهما مشتقّاً من الآخر لوجب أنْ يكون العِدّ مشتقّاً من العدد؛ لأنَّ المصادر هي الأصول التي يقع الاشتقاق منها، سواء أكان المشتق فعلاً أو إسماً، ألا تراهم قالوا في كتب الاشتقاق: إنَّ الضَّرب: الرجل الخفيف، مشتقٌّ من الضرب، أي: السير في الأرض للابتغاء، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾، فجعل الاسم منقولاً ومشتقّاً من المصدر.

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٢٦ ـ ٢٧.

وأمّا الإحصاء فهو الحصر والعَدّ وليس هو الإطاقة كما ذكر؛ لا يقال: أحصيت الحجر، أي: أطقت حمله.

وأمّا ما قال إنَّه معنى الكلمة فطريفٌ، لأنّه (عليه السلام) لم يذكر الأنبياء ولا الملائكة، لا مطابقةً ولا تضمّناً ولا التزاماً، وأي حاجةٍ إلى هذا التقدير الطريف الذي لا يشعر الكلام به!

ومراده (عليه السلام) وهو أنَّ نعمه جلّت لكثرتها أن يحصيها عادٌّ ما، هو نفيٌ لمطلق العادّين من غير تعرّضٍ لعادّ مخصوصٍ(١).

وفيما قاله القطب نظرٌ:

أوّلاً: لم يتكلّم أمير المؤمنين (عليه السلام) لأجل تحصيل المبالغة، بل هو قاصدٌ لذلك واقعاً.

نعم، لو كان قاصداً مخاطبة الناس لأمكن ذلك.

ثانياً: قوله: (فأكّد بهذه الجملة القرينة الأولى) لا يمكن الاعتداد بمثل هذا الكلام لأنَّ الإمام (عليه السلام) لا نعلم منه أنّه التفت إليه فكيف يحكم بالتأكيد عليه؟.

أمّا ما قاله الشارح فيمكن أنْ يلاحظ عليه:

أوّلاً: لم يراجع قول الخليل: و الحُسْبَان من الظنّ، حَسِبَ يَحْسَبُ، لغتان، حُسْبَاناً(٢).

ثانياً: نتنزل عمّا قلناه ونسلّم المبالغة، لكن نقول: متى كان الظنّ بكثرته يغلب اليقين على قلّته؟.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ١: ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ١: ٣٨٠.

ثالثاً: صحيحٌ ما ذكرته إذ هما أصلان لكنّه، أي: القطب الراوندي كلامه لا يشعر أنَّ العدد مشتقٌ من العدّ الذي هو الماء الذي لا ينقطع على حدّ تعبيره، فتأمل.

رابعاً: إنَّ في قوله الاحصاء ليس في معنى الإطاقة نظراً من حيث وجوده ومن حيث اعتباره.

أمّا الوجود فقد ذكره ابن منظور الشافعي في لسان العرب حيث قال: وفي الحديث: اسْتَقِيمُوا ولَنْ تُحْصُوا واعْلَموا أنَّ خيرَ أعمالِكُم الصَّلاةُ، أي اسْتَقِيموا في كلّ شيء حتى لا تَمِيلوا ولن تُطِيقوا الاسْتقامة من قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾؛ أي: لن تُطِيقوا عَدَّه و ضَبْطَه[1].

أمّا من ناحية اعتباره فلأنَّ معنى الإطاقة يكون أولى من معنى العدّ والحصر، بل الثاني دالٌّ على الأوّل فقوله (عليه السلام) «وَ لَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ» أراد به النفي، أي: لا يستطيع أيَّ عادٍّ أن يحصي نعماءه وهو معنى الإطاقة.

أمّا المثال الذي جاء به فهو من خصائص نفس الإحصاء فإنْ كنت حصرت الحجر وأحصيته يمكنك أن تقول فيه أحصيت الحجر بلا إشكال.

ولكنَّ فرقاً بين تمثيلك وما نحن فيه إذ يمكن لمدعٍ أن يدّعي أنَّ لا الداخلة على الاحصاء تفيد الأمرين: نفي العدّ والحصر ونفي الوسع والإطاقة، فلو قلنا أنَّ المعنى على الإطاقة انتفى الأمر الأوّل الذي هو العدّ والحصر.

بخلاف ما لو كان المقصود نفي العدّ، فلا يعلم أنّه بسبب عدم الإطاقة أو لا.

خامساً: من الغريب ما ذهب إليه الشارح إذ قال: لأنّه (عليه السلام) لم يذكر الأنبياء ولا الملائكة...

ونسي موقع الألف واللام في المقام وأنّها لاستغراق الجنس أو للجنسيّة المطلقة كما ادّعاه بداية.

نعم، نستطيع الجزم بأنّ مراد القطب الراوندي مجرّد المثال ولا يفيد كلامه حصر العادّين بما ذكر.

والخلاصة: إنّه (عليه السلام) نفى أن يطيق كلّ العادّين نعمه أو نعماءه (جلّت قدرته).

المقام الرابع: في الروايات الشريفة

ورد عن عليٍّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه كان يقول في دبر كلّ صلاةٍ: «اللَّهُمَّ تَمَّ نُورُكَ فَهَدَيْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَ عَظُمَ حِلْمُكَ فَعَفَوْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَ بَسَطْتَ يَدَكَ فَأَعْطَيْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ رَبَّنَا وَجْهُكَ أَكْرَمُ الْوُجُوهِ وَ جَاهُكَ خَيْرُ الْجَاهِ وَ عَطِيَّتُكَ أَنْفَعُ الْعَطِيَّةِ وَ أَهْنَؤُهَا، تُطَاعُ رَبَّنَا فَتَشْكُرُ وَ تُعْصَى رَبَّنَا فَتَغْفِرُ تُجِيبُ الْمُضْطَرَّ وَ تَكْشِفُ السُّوءَ وَ تَشْفِي السَّقِيمَ مِنَ الْكَرْبِ وَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَ تَغْفِرُ الذُّنُوبَ لَا يَجْزِي بِآلَائِكَ أَحَدٌ وَ لَا يُحْصِي نِعْمَتَكَ عَادٌّ وَ لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَكَ قَوْلُ قَائِلٍ»(١).

وكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْن (عليه السلام) إذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها﴾ يَقُولُ: «سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ نِعَمِهِ إِلَّا الْمَعْرِفَةَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ مَعْرِفَتِهَا كَمَا لَمْ يَجْعَلْ فِي أَحَدٍ مِنْ مَعْرِفَةِ إِدْرَاكِهِ أَكْثَرَ مِنَ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَا يُدْرِكُهُ فَشَكَرَ جَلَّ وَ عَزَّ مَعْرِفَةَ الْعَارِفِينَ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ مَعْرِفَةِ شُكْرِهِ فَجَعَلَ مَعْرِفَتَهُمْ بِالتَّقْصِيرِ شُكْراً كَمَا عَلِمَ عِلْمَ الْعَالِمِينَ أَنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَهُ فَجَعَلَهُ إِيمَاناً عِلْماً مِنْهُ أَنَّهُ قَدُّ وُسْعِ الْعِبَادِ

(١) بحار الأنوار للعلاّمة المجلسي ٨٣: ٣٥.

فَلَا يَتجَاوَزُ ذَلِكَ فَإِنَّ شَيْئاً مِنْ خَلْقِهِ لَا يَبْلُغُ مَدَى عِبَادَتِهِ وَ كَيْفَ يُبْلَغُ مَدَى عِبَادَتِهِ مَنْ لَا مَدَى لَهُ وَ لَا كَيْفَ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيرا»(١).

وروي أنَّ أُبيَّ بْنَ كَعْبٍ قَرأَ عِنْدَ النَّبِيِّ: «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً فَقَالَ النَّبِيُّ لِقَوْمٍ عِنْدَهُ وَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَ عُبَيْدَةُ وَ عُمَرُ وَ عُثْمَانُ وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ قُولُوا الْآنَ مَا أَوَّلُ نِعْمَةٍ غَرَسَكُمُ اللَّهُ بِهَا وَ بَلَاكُمْ بِهَا فَخَاضُوا مِنَ الْمَعَاشِ وَ الرِّيَاشِ وَ الذُّرِّيَّةِ وَ الْأَزْوَاجِ فَلَمَّا أَمْسَكُوا قَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ قُلْ فَقَالَ (عليه السلام) إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي وَ لَمْ أَكُ شَيْئاً مَذْكُوراً وَ أَنْ أَحْسَنَ بِي فَجَعَلَنِي حَيّاً لَا مَوَاتاً وَ أَنْ أَنْشَأَنِي فَلَهُ الْحَمْدُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَ أَعْدَلِ تَرْكِيبٍ وَ أَنْ جَعَلَنِي مُتَفَكِّراً وَاعِياً لَا أَبْلَهَ سَاهِياً وَ أَنْ جَعَلَ لِي شَوَاعِراً أُدْرِكُ بِهَا مَا ابْتَغَيْتُ وَ جَعَلَ فِيَّ سِرَاجاً مُنِيراً وَ أَنْ هَدَانِي لِدِينِهِ وَ لَنْ يُضِلَّنِي عَنْ سَبِيلِهِ وَ أَنَّ جَعَلَ لِي مَرَدّاً فِي حَيَاةٍ لَا انْقِطَاعَ لَهَا وَ أَنَّ جَعَلَنِي مَلَكاً مَالِكاً لَا مَمْلُوكاً وَ أَنْ سَخَّرَ لِي سَمَاءَهُ وَ أَرْضَهُ وَ مَا فِيهَا وَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ خَلْقِهِ وَ أَنْ جَعَلَنَا ذُكْرَاناً قُوَّاماً عَلَى حَلَائِلِنَا لَا إِنَاثاً وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ صَدَقْتَ ثُمَّ قَالَ فَمَا بَعْدَ هَذَا فَقَالَ عَلِيٌّ (عليه السلام) وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَ قَالَ لِيَهْنِئْكَ الْحِكْمَةُ لِيَهْنِئْكَ الْعِلْمُ يَا أَبَا الْحَسَنِ أَنْتَ وَارِثُ عِلْمِي وَ الْمُبِينُ لِأُمَّتِي مَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ مِنْ بَعْدِي»(٢).

(١) الكافي للكليني ٨: ٣٩٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢: ٣٥٥.

قال (عليه السلام): «وَ لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ».

المقام الأوّل: في التأدّية

أدا وأدّى كلمتان مختلفتان معنىً ورسماً وحروفاً.

فحروف الأوّل ثلاثةٌ، وحروف الثاني أربعةٌ.

ورسم الأوّل يختلف عن رسم الثاني.

ومعنى الأوّل يختلف عن معنى الثاني.

فيقال: أَدَتِ الثمرةُ تَأْدُو أُدُوّاً، وهو اليُنُوعُ و النُّضْج.

وكذا يقال: الذئب يَأْدُو للغزال يأكُلُه.

وأيضاً: نحن على أدِيٍّ الصلاة، أي: تَهَيُّؤٍ.

ومنه أيضاً: أَخَذَ للدهر أَدَاتَه: من العُدَّة، و قد تَآدَى القومُ تَآدِياً إذا أخذوا العدَّة التي تُقَوِّيهم على الدهر و غيره.

و أَلِفُ الأَدَاةِ واو لأَنَّ جمعها أَدَوَاتٌ.

و لكل ذي حِرْفة أَدَاةٌ: و هي آلَتُه التي تُقيم حرفته.

والثاني يقال: أَدَّى الشيءَ: أَوْصَلَهُ، و الاسم الأَداءُ. و هو آدَى للأَمانة منه.

ولا يقال أدَى بالتخفيف بمعنى أدَّى بالتشديد.

و أَدَّى دَيْنَه تَأْدِيَةً أي قَضاه، والاسم الأَدَاء.

يقال: تَأَدَّيْتُ إلى فلان من حقِّه إذا أدَّيْته و قَضَيْته.

و تَأَدَّى إليه الخَبرُ أي انْتَهى.

ومنه: أدُّوا إلي بمعنى استمعوا إليّ[١].

ومنه يظهر أنَّ ما أفاده القطب الراوندي لا يصحّ؛ إذ أرجع يؤدّي إلى (أدا) لا إلى (أدّى).

قال: فالتأدية إيصال الشيء إلى الغير بأداة[٢].

وإنّما قلنا هذا لأنَّه حصر التأدية بالأداة وهو ينسجم مع المعنى الأوّل لا الثاني، إضافةً إلى قوله: أداة.

نعم، هو أيضاً قال: تأدية ولا ينسجم إلّا مع المعنى الثاني.

والظاهر وقوع الخلط والاشتباه منه.

المقام الثاني: في التسلسل

قال القايني الخراساني في مفتاحه: والمراد بعدم تأدية حقّه تعالى حقوقه اللازمة على العباد وإن بذلوا وسعهم وطاقتهم واجتهدوا في أدائها وقضائها، والأصل فيها هو الشكر على انعام المنعم، فإنَّ شكر النعمة نعمةٌ أيضاً يجب الشكر عليه، وهكذا ويتسلسل، والتسلسل باطلٌ أيضاً فشكر المنعم كما هو حقّه باطلٌ لا يمكن الإتيان به، فالأولى حينئذٍ العجز والاعتراف بالقصور كما اعترف به خاتم الرسل[٣].

ولكن فيه:

أوّلاً: هذا يتنافى مع الأوامر الإرشاديّة التي مؤدّاها وجوب شكر المنعم، فمنها:

---

(١) أنظر: لسان العرب لابن منظور ١٤: ١٠٠ ـ ١٠١.

(٢) منهاج البراعة للراوندي ١: ٢٧.

(٣) مفتاح السعادة للقايني ١: ١٥.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[١]، وكذلك: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٢].

ثانياً: الروايات وإن أثبتت الشكر المستتبع للشكر لكن إشارةٌ إلى شيءٍ آخر.

روي في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قَالَ: «فِيمَا أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَى مُوسَى (عليه السلام) يَا مُوسَى اشْكُرْنِي حَقَّ شُكْرِي فَقَالَ يَا رَبِّ وَ كَيْفَ أَشْكُرُكَ حَقَّ شُكْرِكَ وَ لَيْسَ مِنْ شُكْرٍ أَشْكُرُكَ بِهِ إِلَّا وَ أَنْتَ أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ قَالَ يَا مُوسَى الْآنَ شَكَرْتَنِي حِينَ عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّي»[٣].

وفي روايةٍ أُخرى قَالَ دَاوُدُ (عليه السلام): «يَا رَبِّ كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَ الشُّكْرُ نِعْمَةٌ مِنْكَ عَلَيَّ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْآنَ شَكَرْتَنِي»[٤].

ثالثاً: كان ينبغي عليه حتّى يستقيم ما ذكره أخذ المعرفة الحقّة جزءاً في موضوعه، لكنّه أخذه جزءاً من نتيجةٍ.

رابعاً: وهو الأهمّ، إذا امتنع الشيء ثبوتاً فيمتنع إثباتاً، فإذا وردت آياتٌ أو رواياتٌ دلّت على اثباته حملناها على شيءٍ آخر غير ممتنع، أو أوّلنا ذلك تأويلاً.

فتحصّل: أنَّ شكر المنعم مستحيلٌ فتنزيل ما جاءت به الآيات و الروايات على معنى آخر ضروريٌّ، إن أمكن وإلّا فالقول بالسقوط هو المتعيّن.

وهذا ممّا لا يرضاه نفس المستدلّ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ١١٣.

(٣) الكافي للكليني ٢: ٩٨.

(٤) مجموعة ورام لابن أبي فراس ٢: ٢٧.

المقام الثالث: في حقّه تعالى

الحقّ في اللغة الوجوب فكأنّه (عليه السلام) قال: لا يؤدّي وجوب نعمته المجتهدون، وإلى هذا أشار الكيذري وغيره من الشراحّ حيث قال: الحقّ الوجوب، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾، أي: وجبت، وحقّ الله على العباد ما وجب له عليهم من شكر النعم، فالعباد يعجزون عن شكر نعمه على التفصيل كما يعجزون عن إحصائها على التفصيل...[1].

وهذا واضحٌ ولم يقع فيه اختلافٌ.

نعم، تردّد الشارحون للنهج العظيم في المراد من الحقّ بعد تبينهم أنّه الوجوب هل هو من قبيل المصدر الصادق على القليل والكثير؟ أو هو من قبيل المفرد؟

وعندئذٍ يكون المعنى على الأوّل: أنّ حقوقه الواجبة لا يمكن أن يؤدّيها المجتهدون.

وعلى المعنى الثاني يكون: أنّ حقّاً واحداً من حقوقه لا يمكنكم تأدّيته فكيف بتمام حقوقه؟

وتجد هذا المعنى عند القطب الكيذري[2] والقطب الراوندي[3].

وفيما قالاه نظرٌ؛ وذلك: لأنّه (عليه السلام) جاء بالمصدر الدالّ على القلّة والكثرة

---

(١) حدائق الحقائق للكيذري ١: ١١٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) منهاج البراعة للراوندي ١: ٢٧.

ولم يخصّصه بما يدلّ على الوحدة بقرينةٍ سواءٌ أكانت لفظيّةً أم غيرها، فدلّ ذلك على كون مراده المصدر الدالّ على القلّة والكثرة.

ويؤيّده: قوله (عليه السلام): «**الْمُجْتَهِدُونَ**»، فإنَّ المجتهدين لا يصدق على من تلبس في نعمةٍ واحدةٍ فقط، وهذا لم يلتفتا إليه.

ثُمَّ إنّه قدّم المفعولات في الثلاثة وأخّر الفاعلين للدلالة على أهميّة المدح والنعمة والحقّ.

وخلاصة القول: إنّه نفى أن يؤدّي وجوب نعمته كلّ المجتهدين.

المقام الرابع: في ذكر روايةٍ للزهراء سيّدة النساء (عليها السلام)

رُوِيَ عَنْ مَوْلَاتِنَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاء (عليها السلام) مِنَ الدُّعَاء عَقِيبَ الْخَمْس الصَّلَوَاتِ وَ هُوَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الطَّوْلِ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْبَقَاء الدَّائِمِ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُدْرِكُ الْعَالِمُونَ عِلْمَهُ وَ لَا يَسْتَخِفُّ الْجَاهِلُونَ حِلْمَهُ وَ لَا يَبْلُغُ الْمَادِحُونَ مِدْحَتَهُ وَ لَا يَصِفُ الْوَاصِفُونَ صِفَتَهُ وَ لَا يُحْسِنُ الْخَلْقُ نَعْتَهُ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْمُلْكِ وَ الْمَلَكُوتِ وَ الْعَظَمَةِ وَ الْجَبَرُوتِ وَ الْكِبْرِيَاء وَ الْجَلَالِ وَ الْبَهَاء وَ الْمَهَابَةِ وَ الْجَمَالِ وَ الْعِزَّةِ وَ الْقُدْرَةِ وَ الْحَوْلِ وَ الْقُوَّةِ وَ الْمِنَّةِ وَ الْغَلَبَةِ وَ الْفَضْلِ وَ الطَّوْلِ وَ الْعَدْلِ وَ الْحَقِّ وَ الْخَلْقِ وَ الْعُلَا وَ الرِّفْعَةِ وَ الْمَجْدِ وَ الْفَضِيلَةِ وَ الْحِكْمَةِ وَ الْغِنَاء وَ السَّعَةِ وَ الْبَسْطِ وَ الْقَبْضِ وَ الْحِلْمِ وَ الْعِلْمِ وَ الْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ وَ النِّعْمَةِ السَّابِغَةِ وَ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ وَ الْآلَاءِ الْكَرِيمَةِ مَلِكِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ وَ

مَا فِيهِنَّ تَبَارَكَ اللَّهُ وَ تَعَالَى الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلِمَ أَسْرَارَ الْغُيُوبِ وَ اطَّلَعَ عَلَى مَا تَجْنِي الْقُلُوبُ فَلَيْسَ عَنْهُ مَذْهَبٌ وَ لَا مَهْرَبٌ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَكَبِّرِ فِي سُلْطَانِهِ الْعَزِيزِ فِي مَكَانِهِ الْمُتَجَبِّرِ فِي مُلْكِهِ الْقَوِيِّ فِي بَطْشِهِ الرَّفِيعِ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمُطَّلِعِ عَلَى خَلْقِهِ وَ الْبَالِغِ لِمَا أَرَادَ مِنْ عِلْمِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِكَلِمَاتِهِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ الشِّدَادُ وَ ثَبَتَتِ الْأَرَضُونَ الْمِهَادُ وَ انْتَصَبَتِ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي الْأَوْتَادُ وَ جَرَتِ الرِّيَاحُ اللَّوَاقِحُ وَ سَارَتْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ السَّحَابُ وَ وَقَفَتْ عَلَى حُدُودِهَا الْبِحَارُ وَ وَجِلَتِ الْقُلُوبُ عَنْ مَخَافَتِهِ وَ انْقَمَعَتِ الْأَرْبَابُ لِرُبُوبِيَّتِهِ تَبَارَكْتَ يَا مُحْصِيَ قَطْرِ الْمَطَرِ وَ وَرَقِ الشَّجَرِ وَ مُحْيِيَ أَجْسَادِ الْمَوْتَى لِلْحَشْرِ سُبْحَانَكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ مَا فَعَلْتَ بِالْغَرِيبِ الْفَقِيرِ إِذَا أَتَاكَ مُسْتَجِيراً مُسْتَغِيثاً مَا فَعَلْتَ بِمَنْ أَنَاخَ بِفِنَائِكَ وَ تَعَرَّضَ لِرِضَاكَ وَ غَدَا إِلَيْكَ فَجَثَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ فَلَا يَكُونَنَّ يَا رَبِّ حَظِّي مِنْ دُعَائِي الْحِرْمَانَ وَ لَا نَصِيبِي مِمَّا أَرْجُو مِنْ مَنِّكَ الْخِذْلَانَ يَا مَنْ لَمْ يَزَلْ وَ لَا يَزَالُ وَ لَا يَزُولُ كَمَا لَمْ يَزَلْ قَائِماً عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ يَا مَنْ جَعَلَ أَيَّامَ الدُّنْيَا تَزُولُ وَ شُهُورَهَا تَحَوَّلُ وَ سِنِيهَا تَدُورُ وَ أَنْتَ الدَّائِمُ لَا تُبْلِيكَ الْأَزْمَانُ وَ لَا تُغَيِّرُكَ الدُّهُورُ يَا مَنْ كُلُّ يَوْمٍ عِنْدَهُ جَدِيدٌ وَ كُلُّ رِزْقٍ عِنْدَهُ عَتِيدٌ لِلضَّعِيفِ وَ الْقَوِيِّ وَ الشَّدِيدِ قَسَمْتَ الْأَرْزَاقَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ فَسَوَّيْتَ بَيْنَ الذَّرَّةِ وَ الْعُصْفُورِ اللَّهُمَّ إِذَا ضَاقَ الْمُقَامُ بِالنَّاسِ فَنَعُوذُ بِكَ فِي ضِيقِ الْمُقَامِ اللَّهُمَّ إِذَا طَالَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمُجْرِمِينَ فَقَصِّرْ طُولَ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَيْنَا كَمَا بَيْنَ الصَّلَاةِ إِلَى الصَّلَاةِ اللَّهُمَّ إِذَا دَنَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْجَمَاجِمِ فَكَانَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ الْجَمَاجِمِ مِقْدَارُ مِيلٍ وَ زِيدَ فِي حَرِّهَا حَرُّ عَشْرِ سِنِينَ فَإِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تُظِلَّنَا بِالْغَمَامِ وَ تَنْصِبَ لَنَا الْمَنَابِرَ وَ الْكَرَاسِيَّ نَجْلِسُ عَلَيْهَا وَ النَّاسُ يَنْطَلِقُونَ فِي الْمُقَامِ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِحَقِّ هَذِهِ الْمَحَامِدِ إِلَّا غَفَرْتَ لِي وَ تَجَاوَزْتَ عَنِّي وَ أَلْبَسْتَنِي الْعَافِيَةَ فِي بَدَنِي وَ

رَزَقْتَنِي السَّلَامَةَ فِي دِينِي فَإِنِّي أَسْأَلُكَ وَ أَنَا وَاثِقٌ بِإِجَابَتِكَ إِيَّايَ فِي مَسْأَلَتِي وَ أَدْعُوكَ وَ أَنَا عَالِمٌ بِاسْتِمَاعِكَ دَعْوَتِي فَاسْتَمِعْ دُعَائِي وَ لَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَ لَا تَرُدَّ ثَنَائِي وَ لَا تُخَيِّبْ دُعَائِي أَنَا مُحْتَاجٌ إِلَى رِضْوَانِكَ وَ فَقِيرٌ إِلَى غُفْرَانِكَ أَسْأَلُكَ وَ لَا آيِسٌ مِنْ رَحْمَتِكَ وَ أَدْعُوكَ وَ أَنَا غَيْرُ مُحْتَرِزٍ مِنْ سَخَطِكَ رَبِّ فَاسْتَجِبْ لِي وَ امْنُنْ عَلَيَّ بِعَفْوِكَ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ رَبِّ لَا تَمْنَعْنِي فَضْلَكَ يَا مَنَّانُ وَ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي مَخْذُولًا يَا حَنَّانُ رَبِّ ارْحَمْ عِنْدَ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ صَرْعَتِي وَ عِنْدَ سُكُونِ الْقَبْرِ وَحْدَتِي وَ فِي مَفَازَةِ الْقِيَامَةِ غُرْبَتِي وَ بَيْنَ يَدَيْكَ مَوْقُوفاً لِلْحِسَابِ فَاقَتِي رَبِّ أَسْتَجِيرُكَ مِنَ النَّارِ وَ أَجِرْنِي رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ فَأَعِذْنِي أَفْزَعُ إِلَيْكَ مِنَ النَّارِ فَأَبْعِدْنِي رَبِّ أَسْتَرْحِمُكَ مَكْرُوباً فَارْحَمْنِي رَبِّ أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا جَهِلْتُ فَاغْفِرْ لِي قَدْ أَبْرَزَنِي الدُّعَاءُ لِلْحَاجَةِ إِلَيْكَ فَلَا تُؤْيِسْنِي يَا كَرِيمُ ذَا الْآلَاءِ وَ الْإِحْسَانِ وَ التَّجَاوُزِ يَا سَيِّدِي يَا بَرُّ يَا رَحِيمُ اسْتَجِبْ بَيْنَ الْمُتَضَرِّعِينَ إِلَيْكَ دَعْوَتِي وَ ارْحَمْ بَيْنَ الْمُنْتَحِبِينَ بِالْعَوِيلِ عَبْرَتِي وَ اجْعَلْ فِي لِقَائِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا رَاحَتِي وَ اسْتُرْ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ يَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ عَوْرَتِي وَ اعْطِفْ عَلَيَّ عِنْدَ التَّحَوُّلِ وَحِيداً إِلَى حُفْرَتِي إِنَّكَ أَمَلِي وَ مَوْضِعُ طَلِبَتِي وَ الْعَارِفُ بِمَا أُرِيدُ فِي تَوْجِيهِ مَسْأَلَتِي فَاقْضِ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ حَاجَتِي فَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى وَ أَنْتَ الْمُسْتَعَانُ وَ الْمُرْتَجَى أَفِرُّ إِلَيْكَ هَارِباً مِنَ الذُّنُوبِ فَاقْبَلْنِي وَ أَلْتَجِئُ مِنْ عَدْلِكَ إِلَى مَغْفِرَتِكَ فَأَدْرِكْنِي وَ أَلْتَاذُ بِعَفْوِكَ مِنْ بَطْشِكَ فَامْنَعْنِي وَ أَسْتَرْوِحُ رَحْمَتَكَ مِنْ عِقَابِكَ فَنَجِّنِي وَ أَطْلُبُ الْقُرْبَةَ مِنْكَ بِالْإِسْلَامِ فَقَرِّبْنِي وَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ فَآمِنِّي وَ فِي ظِلِّ عَرْشِكَ فَظَلِّلْنِي وَ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِكَ فَهَبْ لِي وَ مِنَ الدُّنْيَا سَالِماً فَنَجِّنِي وَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ فَأَخْرِجْنِي وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَبَيِّضْ وَجْهِي وَ حِساباً يَسِيراً فَحَاسِبْنِي وَ بِسَرَائِرِي فَلَا تَفْضَحْنِي وَ عَلَى بَلَائِكَ فَصَبِّرْنِي وَ كَمَا صَرَفْتَ عَنْ يُوسُفَ

السُّوءَ وَ الْفَحْشَاءَ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَ مَا لَا طَاقَةَ لِي بِهِ فَلَا تُحَمِّلْنِي وَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَاهْدِنِي وَ بِالْقُرْآنِ فَانْفَعْنِي وَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فَثَبِّتْنِي وَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَاحْفَظْنِي وَ بِحَوْلِكَ وَ قُوَّتِكَ وَ جَبَرُوتِكَ فَاعْصِمْنِي وَ بِحِلْمِكَ وَ عِلْمِكَ وَ سَعَةِ رَحْمَتِكَ مِنْ جَهَنَّمَ فَنَجِّنِي وَ جَنَّتَكَ الْفِرْدَوْسَ فَأَسْكِنِّي وَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ فَارْزُقْنِي وَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) فَأَلْحِقْنِي وَ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَ أَوْلِيَائِهِمْ وَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ فَاكْفِنِي اللَّهُمَّ وَ أَعْدَائِي وَ مَنْ كَادَنِي بِسُوءٍ إِنْ أَتَوْا بَرّاً فَجَبِّنْ شَجِيعَهُمْ فُضَّ جَمْعَهُمْ كَلِّلْ سِلَاحَهُمْ عَرْقِبْ دَوَابَّهُمْ سَلِّطْ عَلَيْهِمُ الْعَوَاصِفَ وَ الْقَوَاصِفَ أَبَداً حَتَّى تُصْلِيَهُمُ النَّارَ أَنْزِلْهُمْ مِنْ صَيَاصِيهِمْ أَمْكِنَّا مِنْ نَوَاصِيهِمْ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَاةً يَشْهَدُ الْأَوَّلُونَ مَعَ الْأَبْرَارِ وَ سَيِّدِ الْمُتَّقِينَ وَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَ قَائِدِ الْخَيْرِ وَ مِفْتَاحِ الرَّحْمَةِ اللَّهُمَّ رَبَّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَ رَبَّ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَ رَبَّ الرُّكْنِ وَ الْمَقَامِ وَ رَبَّ الْحِلِّ وَ الْإِحْرَامِ أَبْلِغْ رُوحَ مُحَمَّدٍ مِنَّا التَّحِيَّةَ وَ السَّلَامَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللَّهِ سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ فَهُوَ كَمَا وَصَفْتَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ اللَّهُمَّ أَعْطِهِ أَفْضَلَ مَا سَأَلَكَ وَ أَفْضَلَ مَا سُئِلْتَ لَهُ وَ أَفْضَلَ مَا هُوَ مَسْئُولٌ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»[١].

---

(١) فلاح السائل ونجاح المسائل لابن طاووس: ٢٣٨ ـ ٢٤١.

قال (عليه السلام): «الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَ لَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ».

المقام الأوّل: في معنى الإدراك

قال الراوندي: الإدراك إذا أضيف إلى ذوي الحواس وما في جملتهم يستعمل بمعنى الرؤية، ولذلك لا فرق بين أدركت إذا كان مطلقاً وبين رأيت [1].

وأشكل عليه الشارح المعتزلي: إنّه لم يجز للرؤية ذكرٌ في الكلام؛ لأنّه (عليه السلام) لم يقل: الذي لا تدركه العيون والحواس، وإنّما قال: «لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ» [2].

ويرد على المعتزلي: إنّه فسّر الإدراك بالرؤية فلا موجب لقولك: لم يجر للرؤية ذكرٌ في الكلام.

ويرد على القطب الراوندي أمران:

الأوّل: إنّهم ذكروا الإبصار، وذكروا أيضاً معاني أخرى كاللحوق.

خصوصاً وأنّ المعنى تامٌّ عليه «لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ»، أي: لا يلحقه من كان بعيداً في مراميه.

أضف إلى ذلك قولهم: أدركته ببصري، أي: رأيته.

فلابدّ على ما يظهر من كلماتهم من إضافة الإدراك إلى البصر ليكون دالّاً على ما ذهب اليه، لأنّ الإدراك يكتسب معناه من المضاف إليه فيتحدّد، تقول:

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٢٨.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ١: ٥٩ ـ ٦٠.

أدركته بسمعي، بقلبي، ببصري.. وهكذا.

الثاني: قولك في المقطع الثاني: (ولذلك لا فرق بين أدركت إذا كان مطلقاً وبين رأيت)، وهذا لا يمكن المصير إليه لأنَّه خلاف المصرّح به من قبلهم.

قال ابن منظورٍ: الإِدْراكُ: اللحوق، يقال: مشيت حتى أدْرَكته و عِشْتُ حتى أدْرَكْتُ زمانه، وأدْرَكْتُه ببصري أي: رأيته[1].

وهذا ظاهرٌ على خلاف ما تريد، فالإدراك مطلقاً اللحوق لا الرؤية.

ثُمَّ مَنْ قال أنَّه (عليه السلام) يقصد مجرّد الرؤية البصريّة؟

لا يقال: هذه قرينةٌ على أنَّ القطب أراد من الرؤية الرؤية القلبيّة.

فإنَّه يجاب: لا يمكنه المصير إلى ذلك لأنَّه ذكر: إذا أضيف إلى ذوي الحواس.

فهو عندئذٍ موقوفٌ على استعمال الحاسة في القلب، وهو كما ترى.

المقام الثاني: الإضافة

قال حبيب الله الخوئي: إضافة البعد إلى الهمم لفظيّةٌ بمعنى اللام، كإضافة الغوص إلى الفطن، وليست من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف على ما قاله بعضهم؛ لأنَّ هذه الإضافة بعد الإغماض عن الإشكال في أصلها، والبناء على مذهب الكوفيين من صحّتها لا يمكن جريانها في المقام، إذ المطابقة بين الصفة والموصوف في الإفراد ونقيضيه لازمةٌ، وهي في المقام منتفيةٌ، اللهم إلّا أنْ يوجّه بأنَّ الصفة هنا

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٤: ٣٣٤.

مصدر، ويستوي فيه التذكير والتأنيث والإفراد والجمع، ولا بأس به[١].

إلّا أنَّ التستري علّق عليه إذ قال: قلت: ما قيل سليمٌ، وما قاله هو عليلٌ، فالمطابقة إنّما في ما إذا بقيت الصفة على وصفها لا بعد تبديلها، فيقال: زيدٌ بعيد الهمم، والأصل ذو هممٍ بعيدة[٢].

وفيما قاله الخوئي نظرٌ، إذ قال ابن الحاجب في الإضافتين المعنويّة واللفظيّة ما نصّه: وهي معنويّةٌ ولفظيّةٌ، فالمعنويّة أن يكون المضاف غير صفة مضافة إلى معمولها، وهي بمعنى اللام[٣].

وأنت تراه يقول: إنّها لفظيّةٌ بمعنى اللام.

أمّا ما قاله التستري فيقال: إنَّ إسناده (عليه السلام) عدم الإدراك إلى بعد الهمم أولى من إسناده (عليه السلام) إلى ذي الهمم البعيدة.

ثُمَّ أين قولك: زيدٌ عادلٌ من زيدٍ عدلٍ، فالثاني أبلغ بلا شكٍّ.

المقام الثالث: في الهمّة والفطنة

عنى بذلك عدم إدراك من بعدت همتّه ارتفاعاً، وغاص انحداراً، بدليل المقابلة فهو (جلَّ شأنه) لا يدرك لهؤلاء فضلاً عن غيرهم.

---

(١) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٠٣.

(٢) بهج الصباغة للتستري ١: ١٥١.

(٣) شرح الرضي على الكافية ٢: ٢٠٦.

المقام الرابع: في الأخبار

جاء في الكافي: عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْقَاسِمِ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ فَقَالَ يَا أَبَا هَاشِمٍ أَوْهَامُ الْقُلُوبِ أَدَقُّ مِنْ أَبْصَارِ الْعُيُونِ أَنْتَ قَدْ تُدْرِكُ بِوَهْمِكَ السِّنْدَ وَ الْهِنْدَ وَ الْبُلْدَانَ الَّتِي لَمْ تَدْخُلْهَا وَ لَا تُدْرِكُهَا بِبَصَرِكَ وَ أَوْهَامُ الْقُلُوبِ لَا تُدْرِكُهُ فَكَيْفَ أَبْصَارُ الْعُيُونِ»(١).

وما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «غَوْصُ الْفِطَنِ لَا يُدْرِكُهُ وَ بُعْدُ الْهِمَمِ لَا يَبْلُغُهُ»(٢).

وورد عن الإمام السجاد (عليه السلام): «إِلَهِي قَصُرَتِ الْأَلْسُنُ عَنْ بُلُوغِ ثَنَائِكَ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِكَ وَ عَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِ جَمَالِكَ وَ انْحَسَرَتِ الْأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَى سُبُحَاتِ وَجْهِكَ وَ لَمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَرِيقاً إِلَى مَعْرِفَتِكَ إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ»(٣).

---

(١) الكافي للكليني ١: ٩٩.

(٢) غرر الحكم للآمدي ١: ٤٧٤.

(٣) الصحيفة السجادية للإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام): ٢٧٦.

قال (عليه السلام): «الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ».

المقام الأوّل

قال القطب الراوندي: «**ليس**» كلمة لنفي الحال، وهو فعلٌ، والصفة في أصل الوضع مصدرٌ كالوصف، وفي العرف اسمٌ صريحٌ، وأصل (الصفة) وصفةٌ، حذف فاء فعلها كالزنة والعدة.

ولم تكن العرب ممّن تثبت الصفات على ما اصطلح عليه أهل الأصول، وإنّما يعرفون من حيث الصفات والصور والهيئات، وذلك منفي عنه تعالى.

وأوضاع الصور أغيار للذات، فيجوز أن يكون مراده (عليه السلام) ذلك[1].

وفيه: إنّه (عليه السلام) لم يرد نفي الصفات عنه، بل أراد إثبات الصفة له أو الصفات لكن على نحوٍ يتميّز بالصفة عمّن سواه، فصفاته تعالى غير صفات عبيده إذ لا حدّ لعلمه وقدرته وحياته.

بخلاف عبيده فإنَّ قدرتهم لها حدٌّ محدودٌ، وحياتهم لها أمدٌ معلومٌ، وعلمهم بالأشياء له ما وراء علمهم فليسوا عالمين مطلقاً بلا حدّ.

وكيف يتخرّج هذا المعنى من قوله (عليه السلام): «**لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ**»؟

وبيانه: إنَّ الله (جلّ جلاله) إمّا أن تكون صفته غير محدودةٍ بحدّ، وإمّا أن تكون محدودةً بحدّ، وإمّا أن لا تكون له صفةٌ أصلاً.

والأخير باطلٌ جزماً فإنَّه لو كان لنفى عنه الصفة رأساً ولم ينف عنه

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٣٢.

محدوديتها.

أضف إلى ذلك ما قاله أهل الفن الذين أثبتوا لله تعالى الصفات.

فيبقى الأمر دائراً بين الاحتمالين، وبما أنَّه (عليه السلام) نفى عنه أن تكون صفته محدودةً فدلّ كلامه على ثبوت صفةٍ غير محدودةٍ، وهو متّصفٌ بها، بل هي عين ذاته (تقدست أسماؤه).

فالمراد: إنَّ صفاته الذاتيّة كالعلم والقدرة وغيرهما ثابتةٌ بثبوته هو (جلَّ وعلا).

المقام الثاني: قوله (عليه السلام): «حدٌّ محدودٌ

قال القطب الراوندي: الحدّ في اللغة منتهى الشيء وغايته، ويكون بمعنى المنع[1].

وقال حبيب الله الخوئي: ليس له حدٌّ لتنزّهه عن الاجزاء والنّهايات، والحدّ مستلزم للتجزية والتكثّر المنافي للوجوب الذّاتي، وعدم الافتقار[2].

وقال البحراني: كون صفته لا حدّ لها أي: ليس لما تعتبر عقولنا له من الصفات نهاية معقولة يكون حدّاً لها، ويحتمل أن يريد أنَّه لا صفة له فتحدّ[3].

بينما قال التستري: أي لتوصيفه فيأتي كلامه (عليه السلام) **«وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه»**.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٠٥.

(٣) اختيار مصباح السالكين ٥٧.

والمراد ليس لذاته حدٌّ محدودٌ ولا نعتٌ موجودٌ ولا وقتٌ معدودٌ ولا أجلٌ ممدودٌ، لكون هذه الأمور من عوارض الجسمانيات وهو تعالى منزّهٌ عن ذلك[١].

وقال في مفتاح السعادة: إعلم أنَّ قوله (عليه السلام) ليس لصفته حدٌّ محدودٌ معناه: أنَّ الصفات الواجبة غير متناهيةٍ كما أنَّ ذاته غير متناهيةٍ إن كان مراده من الحدّ الحدّ اللغوي.

ويمكن أن يكون المراد به الحدّ المنطقي، وهو على قسمين: تامٌّ وناقصٌ فالحدّ التامُّ عبارة عن حقيقة الشيء وماهيّته، وهذا لا يتصوّر إلّا فيما كان المعرّف جنساً قريباً كالحيوان الناطق في تعريف الإنسان، والحدّ الناقص عبارةٌ عن كون المعرّف ليس كذلك سواء كان بالفصل كتعريف الإنسان بالناطق أو كان بالفصل مع جنسٍ لبعيدٍ كتعريفه بالجسم الناطق.

ووجه تسمية الأوّل بالتامّ والثاني بالناقص معلومٌ إذ الأوّل يبيّن ماهيّة الإنسان بخلاف الثاني، ومعلومٌ أنَّ الحدّ بكلا معنييه لا يمكن القول به في صفاته تعالى، وذلك لأنَّ الحدّ كما قلنا يبيّن ماهيّة المعرّف والمحدود كاملاً....[٢]

هذا، وأقول:

أمّا قول القطب الراوندي أنّه المنع، فهو وإن كان بحسب اللغة صحيحاً إلّا أنّه غير مرادٍ جزماً.

وأمّا أنّه(عليه السلام) أراد ما احتمله القايني من الحدّ بمعنييه فبعيدٌ جدّاً إذ ذلك بحاجةٍ إلى مقدّماتٍ قد طواها (عليه السلام) مثل: تعريف الماهيّة، وكونه ليس بماهيّة،

---

(١) بهج الصباغة للتستري ١: ١٥١.

(٢) مفتاح السعادة للقايني ١: ٢٢ ـ ٢٣.

وكون الصفات عين الذات حتّى ينتقل إلى الذات.

وكذا يمكن أن يكون قوله (عليه السلام): حدٌّ محدودٌ قرينةً على نفي الحدّ المنطقي، إذ ليس معناه حينئذٍ إلّا الحدّ الذي حدّه قومٌ ما.

والحال أنَّ أصل الحدّ باطلٌ من دون حاجةٍ إلى ذكر المحدود إذ محدودٌ اسم مفعول ولا يكتفي إلّا بمرفوعٍ يكون نائباً مناب الفاعل فيكون مفاد الجملة: وليس لصفة الله حدٌّ قد حدَّ القوم الله به.

أضف إليه: أنَّ معناه: ما حدّه القوم به باطلٌ.

وعندئذٍ نقول: لم يبيّن (عليه السلام) ما الحقّ فيه، فهل هو جائزٌ أم غير جائزٍ؟

فنحن نختار ما اختاره القطب أوّلاً منتهى الشيء وغايته[1].

فإن قلت: ما معنى المحدود عندئذٍ؟

قلنا: هي باقيّة على معناها فكأنّه (عليه السلام) قال: ليس لصفته نهايةٌ محدودةٌ وليس لصفته غايةٌ محدودةٌ.

المقام الثالث: في الروايات

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنِ الْكَاهِلِيِّ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ (عليه السلام) فِي دُعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنْتَهَى عِلْمِهِ فَكَتَبَ إِلَيَّ «لَا تَقُولَنَّ مُنْتَهَى عِلْمِهِ فَلَيْسَ لِعِلْمِهِ مُنْتَهًى وَلَكِنْ قُلْ مُنْتَهَى رِضَاهُ»[2].

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ: «جَاءَ حِبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٠٦.

(٢) الكافي للكليني ١: ١٠٧.

(عليه السلام) فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِين مَتَى كَانَ رَبُّكَ فَقَالَ لَهُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَ مَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى يُقَالَ مَتَى كَانَ كَانَ رَبِّي قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ وَ بَعْدَ الْبَعْدِ بِلَا بَعْدٍ وَ لَا غَايَةَ وَ لَا مُنْتَهَى لِغَايَتِهِ انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عِنْدَهُ فَهُوَ مُنْتَهَى كُلِّ غَايَةٍ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَ فَنَبِيٌّ أَنْتَ فَقَالَ وَيْلَكَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مُحَمَّدٍ(صلى الله عليه وآله)[1].

المقام الرابع: في نقض المعتزلي

قال الراوندي: فإن قيل: بيّنوا أنَّ هذه التفاصيل التي ذكرتموها يفيدها قوله (الذي ليس لصفته حدٌّ).

وهل يجوز فيه غير ذلك؟

قلنا: لاشكّ أنَّه (عليه السلام) أثبت لله تعالى صفةً، ونفى أن يكون لها حدٌّ، ولا يخفى ذلك على من له أقلّ استيناس بكلام العرب.

وقريبٌ من ذلك ما سألني بعض العلماء، وهو كلمتان: لله شريكٌ غير بصير، وليس شريك الله بصيراً.

وقال: إنَّ احداهما كفرٌ والأخرى ليس كذلك، فإيّهما كلمة الكفر؟

قلت: على مذاق كلامه أنَّ قوله: ليس شريك الله بصيراً كفرٌ؛ لأنَّ قائله أثبت الشريك لله تلويحاً وأخبر [بعد مشيراً إلى نحو الأصنام] أنَّ ذلك الشريك غير بصيرٍ تصريحاً.

فأمّا الكلمة الأخرى فليس بكلام عليه مسحة من الفصاحة، ولعلّه كلامٌ وضع للمطارحة يمتحن أهل العلم بمثل ذلك بعضهم بعضاً، فقوله (الله) تقديره الله

(١) الكافي للكليني ١: ٨٩

استفهام على سبيل الإنكار يخاطب به عابد الوثن، وحذف الهمزة في مثل هذا الموضع كثيرٌ.

وقد أجبته بغير ذلك أيضاً، والغرض بإيراده الكلمة الأولى، فإنّها كالاستشهاد فيما نحن بصدده[١].

إلّا أنَّ المعتزلي لم يرض بذلك فعلّق عليه: فأمّا القضيتان اللتان سأله السائل عنهما فالصواب غير ما أجاب به فيهما، وهو أنَّ القضيّة الأوّلى كفرٌ، لأنّها صريحةٌ في إثبات الشريك، والثانية لا تقتضي ذلك، لأنّه قد ينفى قول الشريك بصيراً على أحد الوجهين؛ إمّا لأنَّ هناك شريكاً لكنّه غير بصيرٍ؛ لأنَّ الشريك غير موجود، وإذا لم يكن موجوداً لم يكن بصيراً فإذا كان هذا الاعتبار الثاني مراداً لم يكن كفراً، وصار كالأثر المنقول: ((كان مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا تؤثر هفواته)) أي: لم يكن فيه هفوات فتؤثر وتحكى، وليس أنّه كان المراد في مجلسه هفوات الّا أنّها لم تؤثر[٢].

وفيما قاله نظرٌ بيّنٌ؛ إذ السؤال المطروح كان من أحد العلماء كما قرأت ويسأل القطب عن كفر أحدى الجملتين وبما أنَّ الأوّلى واضحةٌ في الكفر جدّاً حملها القطب على الاستفهام الإنكاري لمكان عالميّة العالم.

والثانية بخلافها إذ هي كفرٌ على أحد التقديرين.

ولا يخفاك أنَّ كلتا الجملتين تحتملان الكفر، إلّا أنَّ السؤال المطروح كان بكفر أحدهما.

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٢.

ثمَّ كيف يقول المعتزلي أنَّ قوله: لله شريك غير بصير صريحةٌ في إثبات الشريك؟ والحال أنَّها كذلك لو لم تحتمل الهمزة التي للإنكار، فمن أين له الصراحة وهي تحتمل ما يخرجها عن الكفر إلى الإيمان؟

ومنه تعرف أنَّ الاستشهاد بالأثر المنقول لا يتمّ له فيما هو فيه، على أنّه محتملٌ للأمرين كما هو أوضح من أن يخفى.

المقام الخامس: في الصفة

قال القطب الكيذري: ليس لصفته حدٌّ محدودٌ.

قال الوبري: أي: نهايةٌ، لكونه مختصاً بالوجود لأنّه قديمٌ وليس لعالميته حدٌّ إذ لا ينتهي إلى معلومٍ لا يعلمه.

وقيل: يعني حدٌّ مركّبٌ من الجنس والفصل لأنَّ مثل هذا الحدّ إنّما يكون لما لا وحدة له.

قلت: تقديره على هذا التأويل ليس لصاحب صفته أي لذاته.

قال: ولو قيل: لو كان للصفة حدٌّ لكانت الصفة حقيقةً منفردةً هي بحقيقتها المنفردة معلومةٌ بنفسها بل اعتبار الذات ولا اعتبار لحقيقة الصفة على الانفراد، ولا وجود كما لا اعتبار للذات إلّا بكونها على صفةٍ فلذلك قال: لا نعتٌ موجودٌ يعني: ليس للصفة اعتبارٌ على الانفراد ولا (ولا) وجود للانفراد مع وجود كلّ محدود ليتركّب في المعنى[(١)].

أقول:

---

(١) حدائق الحقائق للكيذري ١: ١١٦ ـ ١١٧.

أوّلاً: لا معنى لتخصيص الصفات الذاتيّة بصفة العالميّة إلّا إذا أُخذت بنحو المشير إلى سائر الصفات أو بنحو المثال.

ثانياً: لابدّ أنّه عنى بمن لا وحدة له تلك الماهيّات المركبة التي تتحلل عقلاً.

ثالثاً: بعد أن بيّن استدلاله على عدم إمكان الحدّ إذ لو كانت الصفة تحدّ لكانت حقيقةً منفردةً مستقلّةً عن الذات، والحال أنّه لا اعتبار لحقيقة الصفة على الانفراد، بل لا اعتبار للذات إلّا بكونها على صفةٍ.

فلا داعي لتأويل الصفة بالذات، بل تبقى الصفة المرادة له (عليه السلام).

نعم، هذا إذا أغمضنا عن الإشكال المتقدّم الذي من خلاله أستبعد هذا الاحتمال.

المقام السادس: في ليس

أشار القطب الراوندي إلى أنَّ ليس تفيد نفي الحال كما تقدّم[١].

مع أنّه كان يجدر به أنْ يشير إلى كيفيّة استفادة نفي كلّ الأزمنة، إذ من غير المعقول أنّه ليس لصفته حدٌّ محدودٌ في زمنٍ دون زمنٍ آخر.

فنقول: صحيحٌ أنَّ (ليس) تفيد نفي الحال، لكن مدخولها دالٌّ على نفي كلّ زمان.

بيانه: إنَّ الحدّ بمعنى منتهى الشيء أو نهاية الشيء والمحدود توكيدٌ له، ومعنى النهاية معنىً مستغرقٌ لجميع قطعات الزمان فدلّ الحدّ على نفي الزمانين كما دلّ ليس على نفي الحال.

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٣٢.

فكأنّه (عليه السلام) ابتدأ بما يشير إلى نفي الحال ثُمَّ نفى الزمانين بمجرّد قوله: «**حدٌّ محدودٌ**».

ومنه تعرف عدم إرادته الحدّ المنطقي من قوله المتقدّم.

ويمكن أن تكون (ليس) لمجرّد النفي، أي: النفي المطلق ونعاملها في النصّ كما نعامل: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾(١) و ﴿**وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾(٢) وبذلك يبطل قول الراوندي المتقدّم.

المقام السابع: في رواية عجيبة

«قَدِمَ سُلَيْمَانُ الْمَرْوَزِيُّ مُتَكَلِّمُ خُرَاسَانَ عَلَى الْمَأْمُونِ فَأَكْرَمَهُ وَ وَصَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ إِنَّ ابْنَ عَمِّي عَلِيَّ بْنَ مُوسَى قَدِمَ عَلَيَّ مِنَ الْحِجَازِ وَ هُوَ يُحِبُّ الْكَلاَمَ وَ أَصْحَابَهُ فَلاَ عَلَيْكَ أَنْ تَصِيرَ إِلَيْنَا يَوْمَ التَّرْوِيَةِ لِمُنَاظَرَتِهِ - فَقَالَ سُلَيْمَانُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ مِثْلَهُ فِي مَجْلِسِكَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَيَنْتَقِصَ عِنْدَ الْقَوْمِ إِذَا كَلَّمَنِي وَ لاَ يَجُوزُ الاِسْتِقْصَاءُ عَلَيْهِ قَالَ الْمَأْمُونُ إِنَّمَا وَجَّهْتُ إِلَيْكَ لِمَعْرِفَتِي بِقُوَّتِكَ وَ لَيْسَ مُرَادِي إِلاَّ أَنْ تَقْطَعَهُ عَنْ حُجَّةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ فَقَالَ سُلَيْمَانُ حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اِجْمَعْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ وَ خَلِّنِي وَ إِيَّاهُ وَ [الذَّمَّ] ألزم فَوَجَّهَ الْمَأْمُونُ إِلَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ إِنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَرْوَ وَ هُوَ وَاحِدُ خُرَاسَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْكَلاَمِ فَإِنْ خَفَّ عَلَيْكَ أَنْ تَتَجَشَّمَ الْمَصِيرَ إِلَيْنَا فَعَلْتَ فَنَهَضَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لِلْوُضُوءِ وَ قَالَ لَنَا تَقَدَّمُونِي وَ عِمْرَانُ الصَّابِئُ مَعَنَا فَصِرْنَا إِلَى الْبَابِ فَأَخَذَ يَاسِرٌ وَ خَالِدٌ بِيَدِي فَأَدْخَلاَنِي

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٦.

عَلَى اَلْمَأْمُونِ فَلَمَّا سَلَّمْتُ قَالَ أَيْنَ أَخِي أَبُو اَلْحَسَنِ أَبْقَاهُ اَللَّهُ قُلْتُ خَلَّفْتُهُ يَلْبَسُ ثِيَابَهُ وَ أَمَرَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ ثُمَّ قُلْتُ يَا أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عِمْرَانَ مَوْلاَكَ مَعِي وَ هُوَ بِالْبَابِ فَقَالَ مَنْ عِمْرَانُ قُلْتُ اَلصَّابِئُ اَلَّذِي أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْكَ قَالَ فَلْيَدْخُلْ فَدَخَلَ فَرَحَّبَ بِهِ اَلْمَأْمُونُ ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا عِمْرَانُ لَمْ تَمُتْ حَتَّى صِرْتَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ قَالَ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِي شَرَّفَنِي بِكُمْ يَا أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُ اَلْمَأْمُونُ يَا عِمْرَانُ هَذَا سُلَيْمَانُ اَلْمَرْوَزِيُّ مُتَكَلِّمُ خُرَاسَانَ قَالَ عِمْرَانُ يَا أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ وَاحِدُ خُرَاسَانَ فِي اَلنَّظَرِ وَ يُنْكِرُ اَلْبَدَاءَ قَالَ فَلِمَ لاَ تُنَاظِرُهُ قَالَ عِمْرَانُ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَدَخَلَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ فِي أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ قَالَ عِمْرَانُ يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ هَذَا سُلَيْمَانُ اَلْمَرْوَزِيُّ فَقَالَ سُلَيْمَانُ أَ تَرْضَى بِأَبِي اَلْحَسَنِ وَ بِقَوْلِهِ فِيهِ قَالَ عِمْرَانُ قَدْ رَضِيتُ بِقَوْلِ أَبِي اَلْحَسَنِ فِي اَلْبَدَاءِ عَلَى أَنْ يَأْتِيَنِي فِيهِ بِحُجَّةٍ أَحْتَجُّ بِهَا عَلَى نُظَرَائِي مِنْ أَهْلِ اَلنَّظَرِ قَالَ اَلْمَأْمُونُ يَا أَبَا اَلْحَسَنِ مَا تَقُولُ فِيمَا تَشَاجَرَا فِيهِ قَالَ وَ مَا أَنْكَرْتَ مِنَ اَلْبَدَاءِ يَا سُلَيْمَانُ وَ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ - أَ وَ لاٰ يَذْكُرُ اَلْإِنْسٰانُ أَنّٰا خَلَقْنٰاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً - وَ يَقُولُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ هُوَ اَلَّذِي يَبْدَؤُا اَلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ يَقُولُ بَدِيعُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ يَقُولُ عَزَّ وَ جَلَّ يَزِيدُ فِي اَلْخَلْقِ مٰا يَشٰاءُ وَ يَقُولُ وَ بَدَأَ خَلْقَ اَلْإِنْسٰانِ مِنْ طِينٍ وَ يَقُولُ عَزَّ وَ جَلَّ - وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اَللّٰهِ إِمّٰا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمّٰا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ يَقُولُ عَزَّ وَ جَلَّ - وَ مٰا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لاٰ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ قَالَ سُلَيْمَانُ هَلْ رَوَيْتَ فِيهِ شَيْئاً عَنْ آبَائِكَ قَالَ نَعَمْ رَوَيْتُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اَللَّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ عِلْمَيْنِ عِلْماً مَخْزُوناً مَكْنُوناً لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ هُوَ مِنْ ذَلِكَ يَكُونُ اَلْبَدَاءُ وَ عِلْماً عَلَّمَهُ مَلاَئِكَتَهُ وَ رُسُلَهُ فَالْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ يَعْلَمُونَهُ قَالَ سُلَيْمَانُ أُحِبُّ أَنْ تَنْزِعَهُ لِي مِنْ كِتَابِ اَللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَوْلُ اَللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ - فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمٰا أَنْتَ بِمَلُومٍ أَرَادَ هَلاَكَهُمْ ثُمَّ

بَدَا لِلَّهِ فَقَالَ - وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ اَلذِّكْرىٰ تَنْفَعُ اَلْمُؤْمِنِينَ قَالَ سُلَيْمَانُ زِدْنِي جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَقَدْ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ آبَائِهِ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ إِنَّ اَللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَوْحَى إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ أَنْ أَخْبِرْ فُلاَنَ [فُلاَناً] اَلْمَلِكَ أَنِّي مُتَوَفِّيهِ إِلَى كَذَا وَ كَذَا فَأَتَاهُ ذَلِكَ اَلنَّبِيُّ فَأَخْبَرَهُ فَدَعَا اَللَّهَ اَلْمَلِكُ وَ هُوَ عَلَى سَرِيرِهِ حَتَّى سَقَطَ مِنَ اَلسَّرِيرِ فَقَالَ يَا رَبِّ أَجِّلْنِي حَتَّى يَشِبَّ طِفْلِي وَ أَقْضِيَ أَمْرِي فَأَوْحَى اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَى ذَلِكَ اَلنَّبِيِّ أَنِ اِئْتِ فُلاَنَ [فُلاَناً] اَلْمَلِكَ فَأَعْلِمْهُ أَنِّي قَدْ أَنْسَيْتُ فِي أَجَلِهِ وَ زِدْتُ فِي عُمُرِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَقَالَ ذَلِكَ اَلنَّبِيُّ يَا رَبِّ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكْذِبْ قَطُّ فَأَوْحَى اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَيْهِ إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ مَأْمُورٌ فَأَبْلِغْهُ ذَلِكَ وَ اَللَّهُ لاٰ يُسْئَلُ عَمّٰا يَفْعَلُ ثُمَّ اِلْتَفَتَ إِلَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ أَحْسَبُكَ ضَاهَيْتَ اَلْيَهُودَ فِي هَذَا اَلْبَابِ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ وَ مَا قَالَتِ اَلْيَهُودُ قَالَ قَالَتْ يَدُ اَللَّهِ مَغْلُولَةٌ يَعْنُونَ أَنَّ اَللَّهَ قَدْ فَرَغَ مِنَ اَلْأَمْرِ فَلَيْسَ يُحْدِثُ شَيْئاً فَقَالَ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمٰا قٰالُوا وَ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْماً سَأَلُوا أَبِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ عَنِ اَلْبَدَاءِ فَقَالَ وَ مَا يُنْكِرُ اَلنَّاسُ مِنَ اَلْبَدَاءِ وَ أَنْ يَقِفَ اَللَّهُ قَوْماً يُرْجِيهِمْ لِأَمْرِهِ قَالَ سُلَيْمَانُ أَ لاَ تُخْبِرُنِي عَنْ إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَةِ اَلْقَدْرِ فِي أَيِّ شَيْءٍ أُنْزِلَتْ قَالَ اَلرِّضَا يَا سُلَيْمَانُ - لَيْلَةُ اَلْقَدْرِ يُقَدِّرُ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِيهَا مَا يَكُونُ مِنَ اَلسَّنَةِ إِلَى اَلسَّنَةِ مِنْ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ أَوْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ أَوْ رِزْقٍ فَمَا قَدَّرَهُ مِنْ تِلْكَ اَللَّيْلَةِ فَهُوَ مِنَ اَلْمَحْتُومِ قَالَ سُلَيْمَانُ اَلْآنَ قَدْ فَهِمْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَزِدْنِي قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَا سُلَيْمَانُ إِنَّ مِنَ اَلْأُمُورِ أُمُوراً مَوْقُوفَةً عِنْدَ اَللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى يُقَدِّمُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَ يُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ - يَا سُلَيْمَانُ إِنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ يَقُولُ اَلْعِلْمُ عِلْمَانِ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اَللَّهُ مَلاَئِكَتَهُ وَ رُسُلَهُ فَمَا عَلَّمَهُ مَلاَئِكَتَهُ وَ رُسُلَهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ وَ لاَ يُكَذِّبُ نَفْسَهُ وَ لاَ مَلاَئِكَتَهُ وَ لاَ رُسُلَهُ وَ عِلْمٌ عِنْدَهُ مَخْزُونٌ لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ يُقَدِّمُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ

وَ يُؤَخِّرُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ وَ يَمْحُو مٰا يَشاءُ وَ يُثْبِتُ مَا يَشَاءُ قَالَ سُلَيْمَانُ لِلْمَأْمُونِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ أُنْكِرُ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا الْبَدَاءَ وَ لاَ أُكَذِّبُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ الْمَأْمُونُ يَا سُلَيْمَانُ سَلْ أَبَا الْحَسَنِ عَمَّا بَدَا لَكَ وَ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الاِسْتِمَاعِ وَ الْإِنْصَافِ قَالَ سُلَيْمَانُ يَا سَيِّدِي أَسْأَلُكَ قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ قَالَ مَا تَقُولُ فِيمَنْ جَعَلَ الْإِرَادَةَ اِسْماً وَ صِفَةً مِثْلَ حَيٍّ وَ سَمِيعٍ وَ بَصِيرٍ وَ قَدِيرٍ قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِنَّمَا قُلْتُمْ حَدَثَتِ الْأَشْيَاءُ وَ اِخْتَلَفَتْ لِأَنَّهُ شَاءَ وَ أَرَادَ وَ لَمْ تَقُولُوا حَدَثَتْ وَ اِخْتَلَفَتْ لِأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِمِثْلِ سَمِيعٍ وَ لاَ بَصِيرٍ وَ لاَ قَدِيرٍ قَالَ سُلَيْمَانُ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُرِيداً قَالَ يَا سُلَيْمَانُ فَإِرَادَتُهُ غَيْرُهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَدْ أَثْبَتَّ مَعَهُ شَيْئاً غَيْرَهُ لَمْ يَزَلْ قَالَ سُلَيْمَانُ مَا أَثْبَتُّ قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَ هِيَ مُحْدَثَةٌ قَالَ سُلَيْمَانُ لاَ مَا هِيَ مُحْدَثَةً فَصَاحَ بِهِ الْمَأْمُونُ وَ قَالَ يَا سُلَيْمَانُ مِثْلُهُ يُعَايَا أَوْ يُكَابَرُ عَلَيْكَ بِالْإِنْصَافِ أَ مَا تَرَى مَنْ حَوْلَكَ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ ثُمَّ قَالَ كَلِّمْهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ فَإِنَّهُ مُتَكَلِّمُ خُرَاسَانَ - فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ فَقَالَ هِيَ مُحْدَثَةٌ يَا سُلَيْمَانُ فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَزَلِيّاً كَانَ مُحْدَثاً وَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُحْدَثاً كَانَ أَزَلِيّاً قَالَ سُلَيْمَانُ إِرَادَتُهُ مِنْهُ كَمَا أَنَّ سَمْعَهُ مِنْهُ وَ بَصَرَهُ مِنْهُ وَ عِلْمَهُ مِنْهُ قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَإِرَادَتُهُ نَفْسُهُ قَالَ لاَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَلَيْسَ الْمُرِيدُ مِثْلَ السَّمِيعِ وَ الْبَصِيرِ قَالَ سُلَيْمَانُ إِنَّمَا أَرَادَ نَفْسَهُ كَمَا سَمِعَ نَفْسَهُ وَ أَبْصَرَ نَفْسَهُ وَ عَلِمَ نَفْسَهُ قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَا مَعْنَى أَرَادَ نَفْسَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ شَيْئاً أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ حَيّاً أَوْ سَمِيعاً أَوْ بَصِيراً أَوْ قَدِيراً قَالَ نَعَمْ قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَ فَبِإِرَادَتِهِ كَانَ ذَلِكَ قَالَ سُلَيْمَانُ لاَ قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَلَيْسَ لِقَوْلِكَ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ حَيّاً سَمِيعاً بَصِيراً مَعْنًى إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِإِرَادَتِهِ قَالَ سُلَيْمَانُ بَلَى قَدْ كَانَ ذَلِكَ بِإِرَادَتِهِ فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ وَ مَنْ حَوْلَهُ وَ ضَحِكَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ اُرْفُقُوا بِمُتَكَلِّمِ خُرَاسَانَ يَا سُلَيْمَانُ فَقَدْ

حَالَ عِنْدَكُمْ عَنْ حَالَةٍ وَ تَغَيَّرَ عَنْهَا وَ هَذَا مِمَّا لاَ يُوصَفُ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ فَانْقَطَعَ ثُمَّ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَا سُلَيْمَانُ أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةً قَالَ سَلْ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ أَخْبِرْنِي عَنْكَ وَ عَنْ أَصْحَابِكَ تُكَلِّمُونَ اَلنَّاسَ بِمَا يَفْقَهُونَ وَ يَعْرِفُونَ أَوْ بِمَا لاَ يَفْقَهُونَ وَ لاَ يَعْرِفُونَ قَالَ بَلْ بِمَا يَفْقَهُونَ وَ يَعْرِفُونَ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَالَّذِي يَعْلَمُ اَلنَّاسُ أَنَّ اَلْمُرِيدَ غَيْرُ اَلْإِرَادَةِ وَ أَنَّ اَلْمُرِيدَ قَبْلَ اَلْإِرَادَةِ وَ أَنَّ اَلْفَاعِلَ قَبْلَ اَلْمَفْعُولِ وَ هَذَا يُبْطِلُ قَوْلَكُمْ إِنَّ اَلْإِرَادَةَ وَ اَلْمُرِيدَ شَيْءٌ وَاحِدٌ قَالَ جُعِلْتُ فِدَاكَ لَيْسَ ذَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا يَعْرِفُ اَلنَّاسُ وَ لاَ عَلَى مَا يَفْقَهُونَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَأَرَاكُمْ اِدَّعَيْتُمْ عِلْمَ ذَلِكَ بِلاَ مَعْرِفَةٍ وَ قُلْتُمْ اَلْإِرَادَةُ كَالسَّمْعِ وَ اَلْبَصَرِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ عِنْدَكُمْ عَلَى مَا لاَ يُعْرَفُ وَ لاَ يُعْقَلُ فَلَمْ يُحِرْ جَوَاباً ثُمَّ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَا سُلَيْمَانُ هَلْ يَعْلَمُ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ جَمِيعَ مَا فِي اَلْجَنَّةِ وَ اَلنَّارِ قَالَ سُلَيْمَانُ نَعَمْ قَالَ أَ فَيَكُونُ مَا عَلِمَ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَنَّهُ يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَإِذَا كَانَ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ كَانَ أَ يَزِيدُهُمْ أَوْ يَطْوِيهِ عَنْهُمْ قَالَ سُلَيْمَانُ بَلْ يَزِيدُهُمْ قَالَ فَأَرَاهُ فِي قَوْلِكَ قَدْ زَادَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يَكُونُ قَالَ جُعِلْتُ فِدَاكَ وَ اَلْمَزِيدُ لاَ غَايَةَ لَهُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَلَيْسَ يُحِيطُ عِلْمُهُ عِنْدَكُمْ بِمَا يَكُونُ فِيهِمَا إِذَا لَمْ يَعْرِفْ غَايَةَ ذَلِكَ وَ إِذَا لَمْ يُحِطْ عِلْمُهُ بِمَا يَكُونُ فِيهِمَا لَمْ يَعْلَمْ مَا يَكُونُ فِيهِمَا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ تَعَالَى اَللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً قَالَ سُلَيْمَانُ إِنَّمَا قُلْتُ لاَ يَعْلَمُهُ لِأَنَّهُ لاَ غَايَةَ لِهَذَا لِأَنَّ اَللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَصَفَهُمَا بِالْخُلُودِ وَ كَرِهْنَا أَنْ نَجْعَلَ لَهُمَا اِنْقِطَاعاً قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَيْسَ عِلْمُهُ بِذَلِكَ بِمُوجِبٍ لاِنْقِطَاعِهِ عَنْهُمْ لِأَنَّهُ قَدْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ثُمَّ يَزِيدُهُمْ ثُمَّ لاَ يَقْطَعُهُ عَنْهُمْ وَ كَذَلِكَ قَالَ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِي كِتَابِهِ - كُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهٰا لِيَذُوقُوا اَلْعَذٰابَ وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ لِأَهْلِ اَلْجَنَّةِ - عَطٰاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ فٰاكِهه كَثِيرَةٍ.

`لاٰ مَقْطُوعَةٍ وَ لاٰ مَمْنُوعَةٍ فَهُوَ جَلَّ وَ عَزَّ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَ لاَ يَقْطَعُ عَنْهُمُ اَلزِّيَادَةَ أَ رَأَيْتَ مَا أَكَلَ أَهْلُ اَلْجَنَّةِ وَ مَا شَرِبُوا أَ لَيْسَ يُخْلِفُ مَكَانَهُ قَالَ بَلَى قَالَ أَ فَيَكُونُ يَقْطَعُ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَ قَدْ أَخْلَفَ مَكَانَهُ - قَالَ سُلَيْمَانُ لاَ قَالَ فَكَذَلِكَ كُلُّ مَا يَكُونُ فِيهَا إِذَا أَخْلَفَ مَكَانَهُ فَلَيْسَ بِمَقْطُوعٍ عَنْهُمْ قَالَ سُلَيْمَانُ بَلْ يَقْطَعُهُ عَنْهُمْ فَلاَ يَزِيدُهُمْ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِذاً يَبِيدُ مَا فِيهِمَا وَ هَذَا يَا سُلَيْمَانُ إِبْطَالُ اَلْخُلُودِ وَ خِلاَفُ اَلْكِتَابِ لِأَنَّ اَللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ - لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ فِيهٰا وَ لَدَيْنٰا مَزِيدٌ وَ يَقُولُ عَزَّ وَ جَلَّ عَطٰاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ وَ يَقُولُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مٰا هُمْ مِنْهٰا بِمُخْرَجِينَ وَ يَقُولُ عَزَّ وَ جَلَّ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً وَ يَقُولُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ فٰاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ.

`لاٰ مَقْطُوعَةٍ وَ لاٰ مَمْنُوعَةٍ فَلَمْ يُحِرْ جَوَاباً ثُمَّ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَا سُلَيْمَانُ أَ لاَ تُخْبِرُنِي عَنِ اَلْإِرَادَةِ فِعْلٌ هِيَ أَمْ غَيْرُ فِعْلٍ قَالَ بَلْ هِيَ فِعْلٌ قَالَ فَهِيَ مُحْدَثَةٌ لِأَنَّ اَلْفِعْلَ كُلَّهُ مُحْدَثٌ قَالَ لَيْسَتْ بِفِعْلٍ قَالَ فَمَعَهُ غَيْرُهُ لَمْ يَزَلْ قَالَ سُلَيْمَانُ اَلْإِرَادَةُ هِيَ اَلْإِنْشَاءُ قَالَ يَا سُلَيْمَانُ هَذَا اَلَّذِي اِدَّعَيْتُمُوهُ عَلَى ضِرَارٍ وَ أَصْحَابِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّ كُلَّ مَا خَلَقَ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِي سَمَاءٍ أَوْ أَرْضٍ أَوْ بَحْرٍ أَوْ بَرٍّ مِنْ كَلْبٍ أَوْ خِنْزِيرٍ أَوْ قِرْدٍ أَوْ إِنْسَانٍ أَوْ دَابَّةٍ إِرَادَةُ اَللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ إِنَّ إِرَادَةَ اَللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ تَحْيَا وَ تَمُوتُ وَ تَذْهَبُ وَ تَأْكُلُ وَ تَشْرَبُ وَ تَنْكِحُ وَ تَلِدُ وَ تَظْلِمُ وَ تَفْعَلُ اَلْفَوَاحِشَ وَ تَكْفُرُ وَ تُشْرِكُ فَتَبْرَأُ مِنْهَا وَ تُعَادِيهَا وَ هَذَا حَدُّهَا قَالَ سُلَيْمَانُ إِنَّهَا كَالسَّمْعِ وَ اَلْبَصَرِ وَ اَلْعِلْمِ - قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَدْ رَجَعْتَ إِلَى هَذَا ثَانِيَةً فَأَخْبِرْنِي عَنِ اَلسَّمْعِ وَ اَلْبَصَرِ وَ اَلْعِلْمِ أَ مَصْنُوعٌ قَالَ سُلَيْمَانُ لاَ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَكَيْفَ نَفَيْتُمُوهُ فَمَرَّةً قُلْتُمْ لَمْ يُرِدْ وَ مَرَّةً قُلْتُمْ أَرَادَ وَ لَيْسَتْ بِمَفْعُولٍ لَهُ قَالَ سُلَيْمَانُ إِنَّمَا ذَلِكَ كَقَوْلِنَا مَرَّةً عَلِمَ وَ مَرَّةً لَمْ يَعْلَمْ قَالَ ٨ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَيْسَ ذَلِكَ سَوَاءً لِأَنَّ نَفْيَ اَلْمَعْلُومِ لَيْسَ بِنَفْيِ اَلْعِلْمِ وَ نَفْيَ اَلْمُرَادِ نَفْيُ

اَلْإِرَادَةِ أَنْ تَكُونَ لِأَنَّ اَلشَّيْءَ إِذَا لَمْ يُرِدْ لَمْ يَكُنْ إِرَادَةٌ وَ قَدْ يَكُونُ اَلْعِلْمُ ثَابِتاً وَ إِنْ لَمْ يَكُنِ اَلْمَعْلُومُ بِمَنْزِلَةِ اَلْبَصَرِ فَقَدْ يَكُونُ اَلْإِنْسَانُ بَصِيراً وَ إِنْ لَمْ يَكُنِ اَلْمُبْصَرُ وَ يَكُونُ اَلْعِلْمُ ثَابِتاً وَ إِنْ لَمْ يَكُنِ اَلْمَعْلُومُ قَالَ سُلَيْمَانُ إِنَّهَا مَصْنُوعَةٌ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَهِيَ مُحْدَثَةٌ لَيْسَتْ كَالسَّمْعِ وَ اَلْبَصَرِ لِأَنَّ اَلسَّمْعَ وَ اَلْبَصَرَ لَيْسَا بِمَصْنُوعَيْنِ وَ هَذِهِ مَصْنُوعَةٌ قَالَ سُلَيْمَانُ إِنَّهَا صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ لَمْ تَزَلْ قَالَ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اَلْإِنْسَانُ لَمْ يَزَلْ لِأَنَّ صِفَتَهُ لَمْ تَزَلْ قَالَ سُلَيْمَانُ لاَ لِأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهَا قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَا خُرَاسَانِيُّ مَا أَكْثَرَ غَلَطَكَ أَ فَلَيْسَ بِإِرَادَتِهِ وَ قَوْلِهِ تَكُونُ اَلْأَشْيَاءُ قَالَ سُلَيْمَانُ لاَ قَالَ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِإِرَادَتِهِ وَ لاَ مَشِيَّتِهِ وَ لاَ أَمْرِهِ وَ لاَ بِالْمُبَاشَرَةِ فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ تَعَالَى اَللَّهُ عَنْ ذَلِكَ فَلَمْ يُحِرْ جَوَاباً ثُمَّ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَ لاَ تُخْبِرُنِي عَنْ قَوْلِ اَللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ - وَ إِذٰا أَرَدْنٰا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنٰا مُتْرَفِيهٰا فَفَسَقُوا فِيهٰا يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ يُحْدِثُ إِرَادَةً قَالَ لَهُ نَعَمْ قَالَ فَإِذَا أَحْدَثَ إِرَادَةً كَانَ قَوْلُكَ إِنَّ اَلْإِرَادَةَ هِيَ هُوَ أَمْ شَيْءٌ مِنْهُ بَاطِلاً لِأَنَّهُ لاَ يَكُونُ أَنْ يُحْدِثَ نَفْسَهُ وَ لاَ يَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِهِ تَعَالَى اَللَّهُ عَنْ ذَلِكَ قَالَ سُلَيْمَانُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنَى بِذَلِكَ أَنَّهُ يُحْدِثُ إِرَادَةً قَالَ فَمَا عَنَى بِهِ قَالَ عَنَى فِعْلَ اَلشَّيْءِ - قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَيْلَكَ كَمْ تُرَدِّدُ هَذِهِ اَلْمَسْأَلَةَ وَ قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ اَلْإِرَادَةَ مُحْدَثَةٌ لِأَنَّ فِعْلَ اَلشَّيْءِ مُحْدَثٌ قَالَ فَلَيْسَ لَهَا مَعْنًى قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ عِنْدَكُمْ حَتَّى وَصَفَهَا بِالْإِرَادَةِ بِمَا لاَ مَعْنَى لَهُ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا مَعْنًى قَدِيمٌ وَ لاَ حَدِيثٌ بَطَلَ قَوْلُكُمْ إِنَّ اَللَّهَ لَمْ يَزَلْ مُرِيداً قَالَ سُلَيْمَانُ إِنَّمَا عَنَيْتُ أَنَّهَا فِعْلٌ مِنَ اَللَّهِ لَمْ يَزَلْ قَالَ أَ لاَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا لَمْ يَزَلْ لاَ يَكُونُ مَفْعُولاً وَ حَدِيثاً وَ قَدِيماً فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ فَلَمْ يُحِرْ جَوَاباً قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ لاَ بَأْسَ أَتْمِمْ مَسْأَلَتَكَ قَالَ سُلَيْمَانُ قُلْتُ إِنَّ اَلْإِرَادَةَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَمْ تُرَدِّدُ عَلَيَّ أَنَّهَا صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ وَ صِفَتُهُ مُحْدَثَةٌ أَوْ لَمْ تَزَلْ قَالَ سُلَيْمَانُ مُحْدَثَةٌ قَالَ

اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ اَللَّهُ أَكْبَرُ فَالْإِرَادَةُ مُحْدَثَةٌ وَ إِنْ كَانَتْ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لَمْ تَزَلْ فَلَمْ يُرِدْ شَيْئاً . قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِنَّ مَا لَمْ يَزَلْ لاَ يَكُونُ مَفْعُولاً قَالَ سُلَيْمَانُ لَيْسَ اَلْأَشْيَاءُ إِرَادَةً وَ لَمْ يُرِدْ شَيْئاً.

أَنْ يَكُونَ أَوِ اَلَّذِي لَمْ يُرِدْ أَنْ يَكُونَ قَالَ سُلَيْمَانُ اَلَّذِي أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فَضَحِكَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَ اَلْمَأْمُونُ وَ أَصْحَابُ اَلْمَقَالاَتِ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ غَلِطْتَ وَ تَرَكْتَ قَوْلَكَ إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ إِنْسَاناً يَمُوتُ اَلْيَوْمَ وَ هُوَ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَمُوتَ اَلْيَوْمَ وَ إِنَّهُ يَخْلُقُ خَلْقاً وَ هُوَ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَخْلُقَهُمْ فَإِذَا لَمْ يَجُزِ اَلْعِلْمُ عِنْدَكُمْ بِمَا لَمْ يُرِدْ أَنْ يَكُونَ فَإِنَّمَا يَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ مَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ - قَالَ سُلَيْمَانُ فَإِنَّمَا قَوْلِي إِنَّ اَلْإِرَادَةَ لَيْسَتْ هُوَ وَ لاَ غَيْرَهُ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَا جَاهِلُ إِذَا قُلْتَ لَيْسَتْ هُوَ فَقَدْ جَعَلْتَهَا غَيْرَهُ وَ إِذَا قُلْتَ لَيْسَتْ هِيَ غَيْرَهُ فَقَدْ جَعَلْتَهَا هُوَ قَالَ سُلَيْمَانُ فَهُوَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَصْنَعُ اَلشَّيْءَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ نَعَمْ قَالَ سُلَيْمَانُ فَإِنَّ ذَلِكَ إِثْبَاتٌ لِلشَّيْءِ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَحَلْتَ لِأَنَّ اَلرَّجُلَ قَدْ يُحْسِنُ اَلْبِنَاءَ وَ إِنْ لَمْ يَبْنِ وَ يُحْسِنُ اَلْخِيَاطَةَ وَ إِنْ لَمْ يَخِطْ وَ يُحْسِنُ صَنْعَةَ اَلشَّيْءِ وَ إِنْ لَمْ يَصْنَعْهُ أَبداً ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا سُلَيْمَانُ هَلْ يَعْلَمُ أَنَّهُ وَاحِدٌ لاَ شَيْءَ مَعَهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَ فَيَكُونُ ذَلِكَ إِثْبَاتاً لِلشَّيْءِ قَالَ سُلَيْمَانُ لَيسَ يَعْلَمُ أَنَّهُ وَاحِدٌ لاَ شَيْءَ مَعَهُ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَ فَتَعْلَمُ أَنْتَ ذَاكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأَنْتَ يَا سُلَيْمَانُ أَعْلَمُ مِنْهُ إِذاً قَالَ سُلَيْمَانُ اَلْمَسْأَلَةُ مُحَالٌ قَالَ مُحَالٌ عِنْدَكَ أَنَّهُ وَاحِدٌ لاَ شَيْءَ مَعَهُ وَ أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ حَكِيمٌ عَلِيمٌ قَادِرٌ قَالَ نَعَمْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَكَيْفَ أَخْبَرَ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَنَّهُ وَاحِدٌ حَيٌّ سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَلِيمٌ خَبِيرٌ وَ هُوَ لاَ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَ هَذَا رَدُّ مَا قَالَ وَ تَكْذِيبُهُ تَعَالَى اَللَّهُ عَنْ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَكَيْفَ يُرِيدُ صُنْعَ مَا لاَ يَدْرِي صُنْعَهُ وَ لاَ مَا هُوَ وَ إِذَا كَانَ اَلصَّانِعُ لاَ يَدْرِي كَيْفَ يَصْنَعُ اَلشَّيْءَ قَبْلَ أَنْ يَصْنَعَهُ فَإِنَّمَا هُوَ مُتَحَيِّرٌ تَعَالَى اَللَّهُ عَنْ

ذَلِكَ قَالَ سُلَيْمَانُ فَإِنَّ اَلْإِرَادَةَ اَلْقُدْرَةُ قَالَ اَلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقْدِرُ عَلَى مَا لاَ يُرِيدُهُ أَبَداً وَ لاَ بُدَّ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى - وَ لَئِنْ شِئْنٰا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ فَلَوْ كَانَتِ اَلْإِرَادَةُ هِيَ اَلْقُدْرَةَ كَانَ قَدْ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ بِهِ لِقُدْرَتِهِ فَانْقَطَعَ سُلَيْمَانُ قَالَ اَلْمَأْمُونُ عِنْدَ ذَلِكَ يَا سُلَيْمَانُ هَذَا أَعْلَمُ هَاشِمِيٍّ ثُمَّ تَفَرَّقَ اَلْقَوْمُ(١).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٨٣.

قال (عليه السلام): «وَ لَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَ لَا أَجْلٌ مَمْدُودٌ».

المقام الأوّل: في الوقت والأجل

قال الراوندي: والوقت: الزمان وهو عند المتكلّمين عبارةٌ عن تحريك الفلك ودورانه على وجهٍ، وهو حادثٌ أو في حكم الحادث.

والأجل: مدّة الشيء، يقولون: وقت المحرّم وقت مولد فلانٍ وصفر أجل موته.

والأصل في الأجل أيضاً الوقت، والمدة والوقت سواءٌ، يقال: مددت الشيء مدّاً: طولته وزدته.

فأمّا المعنى فإنّه يقول: الشكر لله تعالى متجدّدٌ عليَّ عند تجدّد كلّ ساعة.

ولهذا أبدل هده الجملة من الجملة التي قبلها وهي الثانية، كما أبدل الثانية من الأوّلى[1].

وعلّق الشارح المعتزلي: الوقت عند أهل النظر مقدار حركة الفلَكَ، لا نفس حركته، والأجل ليس مطلق الوقت، ألا تراهم يقولون: جئتك وقت العصر، ولا يقولون: أجَلَ العصر!

والأجل عندهم هو الوقت الذي يعلم الله تعالى أنَّ حياة الحيوان تبطل فيه، مأخوذٌ من أجل الدَّين، وهو الوقت الذي يحل قضاؤه فيه.

فأمّا قوله: ومعنى الكلام أنَّ شكري متجدّدٌ لله تعالى في كل وقتٍ ففاسدٌ، ولا ذكر في هذه الأوقات للشكر، ولا أعلم من أين خطر هذا للراوندي!

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٣٣.

وظنّه أنّ هذه الجمل من باب البدل غلطٌ، لأنَّها صفاتٌ، كلّ واحدةٍ منها بعد أخرى، كما تقول: مررت بزيدٍ العالم الظريف الشاعر[1].

وقد أجاد الشارح هنا بل وأفاد، إذ إشكال تعريف الوقت في محلّه، ولا يقال: أنَّه بني على المسامحة، إذ يجاب: إنَّ الحدود تأبى المسامحة.

والأجل ليس مطلق الوقت بل هو غاية الوقت في الموت وحلول الدين ونحوه[2].

وأمّا قوله: ولا ذكر في هذه الألفاظ للشكر فهو صحيحٌ أيضاً خصوصاً على مبنى القطب الذي يرى أنَّ الحمد أعمّ من الشكر.

وأمّا عن البدل فهو أعجب ما سمعت إذ البدل بجميع أقسامه لا يصلح هنا، ولكلّ جوادٍ كبوةٌ.

المقام الثاني: كلامٌ طويلٌ

قال السيدّ القايني: قال الخوئيقُدِّسَ سِرُّهُ في شرح هذا الكلام ما هذا لفظه: لأنَّه أزليٌّ أبديٌّ وواجب الوجود لا يختصّ وجوده بوقتٍ دون وقتٍ وبأجلٍ دون أجلٍ، بل هو خالق الوقت والأجل، لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء لبقائه.

ثُمَّ ذكر حديثاً نقله عن الكافي حاصله: أنَّه نهى السائل عن سؤاله بمتى كان، إلى آخر الحديث.

وأنت ترى أنّهقُدِّسَ سِرُّهُ حمل هذا الكلام على نفي الوقت والزمان عنه تعالى،

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦١.

(٢) لاحظ: لسان العرب ١: ٧٩.

وكذا سلب الأجل عنه، ثُمَّ نقل عن بعض شرّاح الحديث معنى المتى والوقت والمكان بما لا حاجة لنا فيه.

والحقّ أنَّ الأمر ليس كما ذكره (قده) فكأنّه غفل عن أنَّ البحث في المقام ليس في ذاته تعالى هل هو واقعٌ في زمانٍ من الأزمنة أو ليس في زمانٍ، إنَّما البحث في صفاته.

والدليل على ذلك مضافاً إلى الظهور اللفظي هو العطف فإنَّ الجملة المبحوثة عنها معطوفةٌ على حدّ كالجملة السالفة، فيصير تقدير العبارة: الحدّ والنعت الذي ذكرناه ليس من صفاته تعالى، وكذا الوقت والأجل بالمعنى الذي ذكرناه مسلوبان عن ذاته، وإن كان سلبها عن الصفات يستلزم سلبها الذات لأنَّ الصفات عين الذات إلّا أنَّ البحث ليس في الذات فعلاً.

نفى الوقت والأجل عن صفاته تعالى لكن لا مطلقاً بل الوقت المعدود والأجل الممدود.

ويمكن أن يقال: نفي المقيّد لا يستلزم نفي المطلق فكأنّه أثبت للصفات مطلق الوقت والأجل كما في الصفة والنعت، فإنَّ الكلام في المقام عين الكلام هناك طابق النّعل بالنّعل.

قال الراغب في مفرداته: الوقت نهاية الزمان المفروض للعمل ولهذا لا يكاد يقال الّا مقدّراً نحو قولهم: وقّت كذا جعلت له وقتاً.

وقال في مجمع البحرين: يقال وقّته فهو موقوتٌ إذا بيّن للفعل وقتاً يفعل فيه، انتهى.

وقال في المنجد: الوقت مصدر المقدار من الزمان، والجمع أوقاتٌ.

أوقات السنة فصولها وقتٌ موقوتٌ موقتٌ مقدّرٌ محدودٌ.

فعلى هذا يجب أن يحمل كلامه على نفي الوقت في الصفات مطلقاً إذ لا يمكن القول بأنَّ المقيّد لا يستلزم سلب المطلق، وذلك لأنَّ الإطلاق والنفيّ في الوقت على السواء كما عرفت من قول اللّغويين من أنَّ الوقت مطلقاً لا يكون إلّا زماناً مقدّراً مفروضاً، بخلاف الحدّ والنعت لإمكان الإطلاق والتقيد فيهما.

فإنْ قلت: على هذا التقدير تكون الجملة المبحوثة عنها خارجةً عن البلاغة لأنَّ كلمة «**مَعْدُودٌ**» تصير زائدةً أو حشواً، وذلك لأنَّ الوقت على ما قال أصحاب اللغة لا يكون إلّا مفروضاً، والمفروض هو المعدود فأيّ احتياج إلى ذكر المعدود.

وبعبارة أُخرى بصورة القياس نقول: الوقت لا يكون إلّا زماناً مفروضاً، وكلّ ما كان كذلك فهو معدودٌ، فالوقت معدودٌ.

قلنا في الجواب:

أوّلاً: فإنَّ الإشكال لا يتوجّه على فرض كون المعدود في العبارة وصفاً للوقت، فإنَّ التغاير المفهومي في الصفة والموصوف يكفي في صدق الاتصاف، وحمل الصفة على الموصوف وإن اتحدا مصداقاً كما هو شأن كلّ صفةٍ وموصوفٍ.

ومن البديهي ثبوت التغاير بهذا المعنى، فإنَّ مفهوم الوقت غير مفهوم المعدود وإن كان المصداق فيهما [واحداً] فلا يضرّ بالبلاغة بل هو من المحسنات كما لا يخفى.

مضافاً إلى أنَّ مفهوم الوصف ليس بحجّةٍ.

ثانياً: على تقدير التسليم والذبّ عمّا ذكرناه في الجواب لا دليل على كون المعدود وصفاً للوقت حتّى قيل ما قيل من اعتبار مفهوم الوصف وعدمه، بل لا يبعد كون المعدود في الكلام قيداً توضيحيّاً للوقت وشرحاً لبيان ماهيّته، فنفي الوقت عن

الصفات عبارة عن نفي معدوديّة الصفات، لأنَّ صفاته تعالى لا تدخل في جملة الأعداد فنفيها حقٌّ وهو المطلوب(١).

ويلاحظ:

أوّلاً: إنَّ حبيب الله الخوئي لا يفرق بين الذات والصفات الذاتيّة إذ بينهما العينيّة التامّة، فعندئذٍ لا معنى أن نجعل الذات والصفات أمرين ونحكم عليهما، فصفات كماله بحسب المصداق واحدةٌ وإن اختلفت بحسب المفهوم، ولذلك من القبيح جدّاً تعبيره: (والبحث فعلاً ليس في الذات) مع أنّه ملتفتٌ إلى مسألة أنَّ الصفات عين الذات.

ثانياً: يمكن أن يكون قوله (عليه السلام): «**وَ لَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَ لَا أَجْلٌ مَمْدُودٌ**» بمعنى: لا وقتٌ يعدُّ ولا أجلٌ يمدُّ، فيكون من استعمال اسم المفعول وإرادة الفعل.

وعندئذٍ يرتفع الإشكال من رأسٍ بناءً على وجوده.

وحينئذٍ يكون المنفي مطلق الوقت ومطلق الأجل كما هو واضحٌ.

ثالثاً: ما أشكل به على نفسه ضعيفٌ جدّاً لوضوح أنَّ مثل هذه الجملة تكون محتاجةً إلى عنايةٍ بالغةٍ لتدّل على هذا المفهوم، وهي مفقودةٌ.

رابعاً: جعله قول اللغوين عمدةً في كلام لا يمكن قبوله، وذلك لأنّهم يتكلّمون عن الوقت المستند إلى نهاية والأجل كذلك بدليل قول الراغب: المفروض للعمل، وكذا في جميع أمثلتهم.

فأين هو من وصف ذات الله التي ليس لها حدٌّ محدودٌ ونعتٌ موجودٌ ووقتٌ معدودٌ وأجلٌ موجودٌ؟ ومنه ظهر بقيّة ما أفاده.

---

(١) مفتاح السعادة للقايني ١: ٣١-٣٤

المقام الثالث: في ذكر بعضٍ من روايةٍ شريفةٍ

روي أنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) اسْتَنْهَضَ النَّاسَ فِي حَرْبِ مُعَاوِيَةَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ فَلَمَّا حَشَدَ النَّاسُ قَامَ خَطِيباً فَقَالَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ الْمُتَفَرِّدِ الَّذِي لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ وَلَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَ مَا كَانَ قُدْرَةٌ بَانَ بِهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ فَلَيْسَتْ لَهُ صِفَةٌ تُنَالُ وَلَا حَدٌّ تُضْرَبُ لَهُ فِيهِ الْأَمْثَالُ كَلَّ دُونَ صِفَاتِهِ تَحْبِيرُ اللُّغَاتِ وَضَلَّ هُنَاكَ تَصَارِيفُ الصِّفَاتِ وَحَارَ فِي مَلَكُوتِهِ عَمِيقَاتُ مَذَاهِبِ التَّفْكِيرِ وَانْقَطَعَ دُونَ الرُّسُوخِ فِي عِلْمِهِ جَوَامِعُ التَّفْسِيرِ وَحَالَ دُونَ غَيْبِهِ الْمَكْنُونِ حُجُبٌ مِنَ الْغُيُوبِ تَاهَتْ فِي أَدْنَى أَدَانِيهَا طَامِحَاتُ الْعُقُولِ فِي لَطِيفَاتِ الْأُمُورِ فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ وَتَعَالَى الَّذِي لَيْسَ لَهُ وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ وَلَا نَعْتٌ مَحْدُودٌ سُبْحَانَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ مُبْتَدَأٌ وَلَا غَايَةٌ مُنْتَهًى وَلَا آخِرٌ يَفْنَى سُبْحَانَهُ هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَالْوَاصِفُونَ لَا يَبْلُغُونَ نَعْتَهُ وَحَدَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا عِنْدَ خَلْقِهِ إِبَانَةً لَهَا مِنْ شَبَهِهِ وَإِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا لَمْ يَحْلُلْ فِيهَا فَيُقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ وَلَمْ يَخْلُ مِنْهَا فَيُقَالَ لَهُ أَيْنَ لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَاطَ بِهَا عِلْمُهُ وَأَتْقَنَهَا صُنْعُهُ وَأَحْصَاهَا حِفْظُهُ لَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ خَفِيَّاتُ غُيُوبِ الْهَوَاءِ وَلَا غَوَامِضُ مَكْنُونِ ظُلَمِ الدُّجَى وَلَا مَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى إِلَى الْأَرَضِينَ السُّفْلَى لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا حَافِظٌ وَرَقِيبٌ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا بِشَيْءٍ مُحِيطٌ وَالْمُحِيطُ بِمَا أَحَاطَ مِنْهَا الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَا يُغَيِّرُهُ صُرُوفُ الْأَزْمَانِ وَ لَا يَتَكَأَّدُهُ صُنْعُ شَيْءٍ كَانَ إِنَّمَا قَالَ لِمَا شَاءَ كُنْ فَكَانَ ابْتَدَعَ مَا خَلَقَ بِلَا مِثَالٍ سَبَقَ وَلَا تَعَبٍ وَ لَا نَصَبٍ وَكُلُّ صَانِعِ شَيْءٍ فَمِنْ شَيْءٍ صَنَعَ وَاللَّهُ لَا مِنْ شَيْءٍ صَنَعَ مَا خَلَق...(١)

---

(١) الكافي للكليني ١: ١٣٤ـ ١٣٥.

قال (عليه السلام): «وَ لَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ».

المقام الأوّل: في النعت والصفة

قال إبراهيم بن حسين الخوئي: والصفة كعدةٍ وهي في الأصل مصدرٌ بمعنى النعت، ثُمَّ استعملت اسماء في اصطلاح النحويين والمتكلّمين[١].

وقال حبيب الله الخوئي: «وَ لَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ» أي: رسمٌ موجودٌ يرسم به قياساً على الأشياء المرسومة بلوازمها وأوصافها والّا يلزم كون الذات محلّاً للإعراض والأوصاف، وهو منزهٌ عن ذلك.

ويدلّ عليه ما رواه في الكافي عن الفضيل بن يسار قال: إنّ الله لا يوصف، وكيف يوصف وقد قال في كتابه: (وما قدروا الله حقّ قدره).... الخ[٢].

هذا، وصريح كلام الأوّل الاتّحاد بين الصفة والنعت.

وظاهر كلام الثاني - إن لم يكن صريحاً - ذلك أيضاً، إذ بعد أن تكلّم عن النعت استدل بالروايات التي تكلّمت عن الصفة.

ويرد عليهما: نفس كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) يبطل ذلك، فهو (عليه السلام) يقول: «**لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَ لَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ**» فقد أثبت أنَّ له صفةً لكن ليس لها حدٌّ وبيّناه فيما سبق.

بخلاف النعت فقد نفاه عنه سبحانه مطلقاً في خصوص صفاته الذاتيّة.

---

(١) الدرة النجفيّة، إبراهيم الخوئي ١٥ـ١٦.

(٢) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٠٥.

وربما يدلّ عليه أيضاً ما قاله العسكري في فروقاته: إنّ النعت فيما حكى أبو العلاء (رحمه الله) لما يتغيّر من الصفات.

والصفة لما يتغيّر ولما لا يتغيّر، فالصفة أعم من النعت.

قال: فعلى هذا يصحّ أن ينعت الله تعالى بأوصافه لفعله لأنّه يفعل ولا يفعل.

ولا ينعت بأوصافه لذاته إذ لا يجوز أن يتغيّر.

ولم يستدلّ على صحّة ما قاله من ذلك بشيء.

والذي عندي أنَّ النعت هو ما يظهر من الصفات ويشتهر ولهذا قالوا: هذا نعت الخليفة.

وقالوا: أوّل من ذكر نعته على المنبر، ولم يقولوا صفته.

وإن كان قولهم الأمين صفة له عندهم لأنَّ النعت يفيّد من المعاني التي ذكرناها ما لا تفيده الصفة، ثُمَّ قد تتداخل الصفة والنعت فيقع كلّ واحدٍ منهما موضع الآخر لتقارب معناهما ويجوز أن يقال: الصفة لغةٌ، والنعت لغةٌ أخرى، ولا فرق بينهما في المعنى.

والدليل على ذلك أنَّ أهل البصرة من النحاة يقولون الصفة وأهل الكوفة يقولون النعت ولا يفرقون بينهما.

فأمّا نعت الخليفة فقد غلب على ذلك كما يغلب بعض الصفات على بعض الموصوفين بغير معنى يخصّه فيجري مجرى اللقب في الرفعة ثُمَّ كثرا حتّى استعمل كلّ واحدٍ منهما في موضع الآخر، انتهى[١].

ولنسلّط الضوء على كلاميهما.

---

(١) الفروق اللغويّة للعسكري: ١٨.

فأنت ترى أبا العلاء يتكلّم عنهما قائلاً: الصفة أعمّ من النعت.

وهو ثابتٌ في غير ما نحن فيه، فالنعت يمكن أن ينعت به الله إذا كان خاصّاً بصفات الأفعال كالرزق مثلاً.

أما ما أختصّ بالصفات الذاتيّة فلا يمكن أن ينعت بعد، لأنَّ الله لا يجوز أن يتغيّر حسب قوله، أمّا ما أفاده أبو هلال العسكري فهو مع التنزّل عن قبوله لم يتعرّض لما أفاده أبو العلاء في خصوص صفات الله الذاتيّة.

وما ذكره العسكري من تداخل الصفة والنعت لا يضرّ أبا العلاء لوضوح أنَّ ما ذكره الثاني من النسبة يصدق عليهما؛ إذ كون الصفة أعمّ لا يقتضي الافتراق مطلقاً بل لهما مادّة اجتماعٍ ولأحدهما مادّة افتراقٍ.

ثُمَّ ما ذكره من التقارب يعطي معنى الافتراق والاتّحاد في الجملة.

وما ذكره من الدليل على كونهما لغتين مدخولٌ: إذ أهل البصرة فيهم من طيٍ وفيهم من عقيلٍ ومن غيرهم، كما أنَّ أهل الكوفة فيهم من طيٍ وفيهم من عقيلٍ ومن غيرهم، فكيف يصحّ أن نقول أنَّ النعت لغة أهل الكوفة وأنَّ أهل البصرة لغتهم الصفة.

ولهذا نسبت اللغة إلى الأقوام لا إلى البلدان.

نعم، إذا كانت لغة بلدٍ ما فيعبّر عنها بلغة أهل الحجاز مثلاً.

ويؤيّده: قول الشيخ محمد عبده عندما شرح هذا النصّ فقال:

والنعت يقال لما يتغيّر، وصفاتنا لها نعوت، فحياتنا مثلاً لها أطوار من طفوليّةٍ وصبا وما بعدهما، وقوّةٌ وضعفٌ وتوسّط، وقدرتنا كذلك، وعلمنا له أدوار نقصٍ وكمالٍ وغموضٍ ووضوحٍ.

أمّا صفاته تعالى فهي منزهةٌ عن هذه النعوت وأشباهها.

ثُمَّ هي أزليّة أبديّة لا تعدّ الأوقات لوجودها واتصاف ذاته بها ولا تضرب لها الآجال[١].

المقام الثاني: هل النعت لا يقع إلّا على الموجود

قال صاحب مفتاح السعادة: اعلم أنَّه لا فرق بين النعت والصفة على ما هو المشهور.

والحقّ: هو الفرق بينهما بأنَّ الصفة تقع على الموجود والمعدوم والنعت لا يقع الّا على الموجود.

وإنّما عبّر (عليه السلام) في الجملة السابقة بالصفة وفي الثانية بالنعت، قيل: لئلا يلزم التكرار المستهجن عند البلغاء.

ولقائلٍ أن يقول: يمكن للإمام (عليه السلام) الاكتفاء بالجملة الأولى بضميمة كلمة الوجود مثلاً يقول: الذي ليس لصفته حدٌّ محدودٌ موجودٌ حتّى لا يلزم التكرار مع مراعاة الاختصار[٢].

وفيه: إن كان يتكلّم عنهما لغةً فقد تقدّم ما يخالفه إذ قلنا في المقام الأوّل من بحث النعت أنَّ هناك من يقول: النسبة بينهما العموم المطلق، وأنَّ هناك من يقول بتساويهما وقد ناقشناه وتبيّن عدم صحّة دليله.

وإن كان يتكلّم من وجهة نظر المتكلّمين فقد قلنا أنَّ الصفات يجب أن

---

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده ١: ١٦.

(٢) مفتاح السعادة للقايني ١: ٢٦، ٢٧.

تكون له لأنّها عين ذاته، وإنّما قلنا بذلك من ضيق الخناق، وإن كانت الصفات صفات فعلٍ فيصحّ أن ينعت بها أو لا ينعت بها بعد الفراغ عن وجوده.

لكن ما ذكره من كون الصفة تقع على الموجود والمعدوم لا يمكن التسليم به لما عرفت من أنّ الصفات المتكلّم عنها ههنا هي صفاته الذاتيّة.

ومنه تعلم ضعف ما أفاده بقوله: وإنّما عبّر (عليه السلام)... الخ.

ومنه تعلم أيضاً أنّ عدم ارتضاء البلغاء أو الفصحاء على أيٍّ من كلام الأمير يوجب التشكيك بأصل فصاحتهم وبلاغتهم.

المقام الثالث: سرُّ التعبير بـ «لا»

تقدّم منّا سرّ تعبيره (عليه السلام) بـ «**ليس**» وقلنا: إنَّها وإن دلّت على نفي الحال إلّا أنَّ مدخولها لنفي كلّ زمانٍ، أضف إلى هذا البيان التأكيد الذي حصل بمحدودٍ.

أمّا هنا فقد نفى كلَّ نعتٍ مطلقاً باعتبار النعت لما يتغيّر وهو لا يتغيّر (تقدّست اسماؤه).

والحاصل: أنّه في «**لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ**» أشار إلى مطلبين مهمّين وهما:

- أنَّ صفاته ليس لها حدٌّ.
- أنَّ له صفاتٍ.

وأشار للمطلبين بـ (ليس) وبـ (حدّ) على ما تقدّم.

أمّا هنا فلم يكن له إلّا مطلبٌ واحدٌ، وهو نفي نعته لذا أشار له بـ (لا).

والله تعالى أعلم.

المقام الرابع: حاصل ما تقدّم

إنَّ النعت تارةً يكون لما لا يتغيّر وأخرى تكون لما يتغيّر.

وفي الأوّل المنع مطلقاً وإليه أشار أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفي الثاني الجواز مطلقاً كما في الروايات التي أضافت نعتاً لله تعالى.

قَالَ مُحَمَّدِ بْن زَيْدٍ: «جِئْتُ إِلَى اَلرِّضَا عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ أَسْأَلُهُ عَنِ اَلتَّوْحِيدِ فَأَمْلَى عَلَيَّ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ اَلْأَشْيَاءِ إِنْشَاءً وَ مُبْتَدِعِهَا اِبْتِدَاعاً بِقُدْرَتِهِ وَ حِكْمَتِهِ لاَ مِنْ شَيْءٍ فَيَبْطُلَ اَلاِخْتِرَاعُ وَ لاَ لِعِلَّةٍ فَلاَ يَصِحَّ اَلاِبْتِدَاعُ خَلَقَ مَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ مُتَوَحِّداً بِذَلِكَ لِإِظْهَارِ حِكْمَتِهِ وَ حَقِيقَةِ رُبُوبِيَّتِهِ لاَ تَضْبِطُهُ اَلْعُقُولُ وَ لاَ تَبْلُغُهُ اَلْأَوْهَامُ وَ لاَ تُدْرِكُهُ اَلْأَبْصَارُ وَ لاَ يُحِيطُ بِهِ مِقْدَارٌ عَجَزَتْ دُونَهُ اَلْعِبَارَةُ وَ كَلَّتْ دُونَهُ اَلْأَبْصَارُ وَ ضَلَّ فِيهِ تَصَارِيفُ اَلصِّفَاتِ اِحْتَجَبَ بِغَيْرِ حِجَابٍ مَحْجُوبٍ وَ اِسْتَتَرَ بِغَيْرِ سِتْرٍ مَسْتُورٍ عُرِفَ بِغَيْرِ رُؤْيَةٍ وَ وُصِفَ بِغَيْرِ صُورَةٍ وَ نُعِتَ بِغَيْرِ جِسْمٍ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللَّهُ اَلْكَبِيرُ اَلْمُتَعَالِ»[1].

(١) الكافي للكليني ١: ١٠٥

قال (عليه السلام): «فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِـهِ، وَ نَشَـرَ الرِّيَـاحَ بِرَحْمَتِـهِ، وَ وَتَّـدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ».

المقام الأوّل: في معنى «فَطَرَ»

اختلف الأصحاب في تحديد معنى «فَطَرَ» الوارد في قول أمير المؤمنين (عليه السلام)، وما سبب اختلافهم إلّا اختلاف أنظارهم مع اختلاف المعنى في المعاجم اللغويّة، أو قل اختلافهم في تحديد معنى اللفظ الوارد في معاجمهم.

فمنهم من ذهب إلى كونه بمعنى الخلق والابتداع.

ومنهم من ذهب إلى معنى كونه الشقّ.

ومنهم من رأى كونه بمعنى الايجاد والاختراع، واستند في ذلك إلى بعض التحقيقات.

ومنهم من حاول الجمع في ذلك كلّه أو بعضه كما سيبين ذلك.

فلابدَّ من نسبة الأقوال إلى أصحابها ثُمَّ تمحيصها، فنقول:

أوّلاً: ذهب القطب الراوندي والخوئي - في بعض مقالته - إلى أنَّ «**فَطَرَ**» بمعنى الخلق والابتداع.

قال القطب: «**فَطَرَ**» بمعنى خلق وابتدع.

قال ابن عباس: ما كنت أرى (فاطر) حتّى اختصم إليَّ أعرابيان في بئرٍ.

فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها[1].

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٣٨.

وقال الخوئي: (فَطَرَ) الله الخلق فطراً من باب نَصَرَ، والاسم الفطرة كالخلقة لفظاً ومعنى.

والمعنى: فَطَرَ الخلائق، أي: خلقهم بقدرته، وهذه اللفظة مأخوذةٌ من الكتاب العزيز، قال سبحانه (**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) وفي سورة إبراهيم (**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) وفي الأنعام (**أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) ، أي: خالقهما.

وفي بعض التفاسير: أي مبتدئهما ومبدعهما استشهاداً بما عن ابن عباس[(١)]

وعندئذٍ يكونان مشيرين إلى مطلبٍ مهمٍّ جدّاً، وهو أنَّ قصده (عليه السلام) بـ «**فطَرَ**» معنى الخلق والابتداع، وهما وجود الأشياء بعد عدمٍ، وهو متحقّق بخلق المادّة غير الخلق الحيوان وغيره.

وعليه يكون خلق الدال على الوجود من العدم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[(٢)] وكذلك ﴿خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[(٣)] منصرفاً إلى الخلق لا من عدمٍ بقرينة قوله: من ترابٍ ومن طينٍ.

نعم، هذا أخصّ من المدّعى إذ نتكلّم عن الخلق أجمعين والإنسان واحدٌ من هذا الخلق، لكنّه سهل الاندفاع بعد أن عرفت أنَّ معنى الخلق: الإيجاد من العدم.

ويمكن أن تضاف قرينةً إلى هذا الفهم، وهي ما ذكره حبيب الله الخوئي في قيله: انَّ فاطر من الفطر بمعنى الشقّ.

---

(١) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

إذن، يكون هذا المعنى مغايراً للمعنى الأوّل، وهو هنا قصد من الشقّ عمليّة خلق الإنسان مع ذكرٍ لمادّته.

قال ابن منظور: وأصل الفطر: الشقّ، ومنه قوله تعالى: إذا السماء انفطرت، أي انشقّت.

وفي الحديث: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) «حتّى تفطّرت قدماه».

أي: انشقّت.

ثانياً: ذهب القايني في مفتاحه إلى أنّ قوله (عليه السلام): «**فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ**» بمعنى: أوجد الطبايع المختلفة بسبب قدرته الشاملة.

قال: والمعنى أنَّه تعالى أوجد الطبايع المختلفة بسبب قدرته الكاملة الشاملة، والتعبير بلفظ فَطَرَ إشارةٌ إلى أنَّ الإيجاد على سبيل الاختراع دون الابداع فإنَّ شقّ شيءٌ يستلزم منه المشتق منه أعني المادّة، وهو الفعل الإبداعي.

ولتوضيح المقام نقول: الفعل من الله يتصوّر على أربعة أقسام:

الأوّل: أنْ يكون مسبوقاً بالمادة والمدّة، ويسمى باسم الكائن.

الثاني: أنْ يكون مسبوقاً بهما جميعاً، وهو المبتدع.

الثالث: أن يكون مسبوقاً بالمادّة دون المدّة، وهو المخترع.

الرابع: عكسه، وهو أن يكون غير واقعٍ في الخارج.

ففي الحقيقة أقسام الفعل ثلاثةٌ: كائنٌ، مبتدعٌ، مخترعٌ.

ثُمَّ قال بعد كلامٍ: فاعلم: أنَّ الظاهر من العبارة في المقام هو القسم الثالث أو الثاني أو الأعمّ منهما.

أمّا القسم الأوّل فخارج عن البحث، وذلك لأنّ المبدعات لا تناسب الفطر

الذي بمعنى الشقّ الدالّ على وجود المادّة تلويحاً.

بل المقصود هو القسم الثالث فقط بقرينة قوله (عليه السلام) ونشر الرياح.... إلى آخره.

وذلك لأنَّ سياق العبارة يشعر بإنَّ الغرض إفادة كيفيّة المخلوقات في عالم العناصر، مضافاً إلى أنَّ الخلائق أيضاً بمعنى الطبايع والطبيعة لا تطلق على العقول والنفوس.

وبذلك يظهر لك أنَّ ما قاله الشرّاح في شرح هذه العبارة من أنَّ الغرض من العبارة إيجاد الموجودات لا يرجع إلى محصّل إذ إيجادها ليس على حدٍّ سواء ولا يلائم الفطرة والطبيعة فأفهم(١)".

والظاهر حصول السقط لديه فإنَّ الثاني ما لا يكون مسبوقاً بهما جميعاً.

ثُمَّ إنَّ الفطر بمعنى الشقّ وإن كان صحيحاً لكنّه ليس متعيّناً بعد أن عرفت قول القطب والخوئي.

ثُمَّ من فسّر الخلائق بالطبايع والطبيعة غيرك؟

ثُمَّ قولك: أنَّ إيجادهما ليس على حدٍّ سواء فيه إشكال؛ إذ عمليّة الخلق بالنسبة إلى الخالق واحدةٌ، وإن اختلف في ذلك المخلوقون.

واختار في مصباح السالكين: الفطر: الشقّ والأبداع، واستعار وصفه لإيجاد الخلق ملاحظةً لما يتوهّم من شقّ ظلمة العدم بنور وجودهم(٢)".

وممّا تقدّم تبيّن أنَّ الشقّ لا يلائم الابداع.

---

(١) مفتاح السعادة للقايني ١: ٣٧-٣٨.

(٢) اختيار مصباح السالكين للبحراني ٥٧.

فيظهر: احتمال إرادة أيّ معنى ممّا تقدم ولا قرينة لدينا على أحدٍ فتبقى المسألة مردّدةً بين الاحتمالات الثلاثة، ولا قدر متيقّن فنختاره، ولا اللغة تساعدنا في فهم مراده الواقعي الذي قصده الإمام عليٌّ (عليه السلام).

نعم، سيأتي معنى الانشاء الذي هو موافقٌ لمعنى «فَطَرَ» لكن ببيانٍ آخر.

المقام الثاني: الخلائق

قال الراوندي: الخلائق أبلغ من التأكيد من الخلق لفظاً ومعنى، وأعمّ شياعاً[١].

وقال التستري: الخلائق من النبات والجماد والوحش والطير والهوام والأنعام غير البشر[٢].

هذا، وأرسل الشارح المعتزلي المعنى الثاني مع ادخاله البشر إرسال المسلّمات فقال: فأمّا قوله (عليه السلام) فَطَرَ الخلائق إلى آخر الفصل – فهو تقسيم مشتّقٌ من الكتاب العزيز – فقوله: فَطَرَ الخلائق بقدرته من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[٣].

والذي يظهر من الأوّل إرادة معنى الناس وغيرهم، ولم يبيّن وجه التأكيد مع أنَّهما بمعنى واحدٍ، وأضاف أنّه الأعمّ شياعاً مع أنَّ الأعمّ شياعاً استعمال الخلق، ودونك المعاجم اللغويّة فإنّها تضجّ بنقل استعمال الخلق لدى العرب.

أمّا المعتزلي فلم يذكر أنَّ هذا اللفظ أكد من ذاك وأنه الأعمّ شياعاً واكتفي

(١) منهاج البراعة للرواندي ١: ٣٨.

(٢) بهج الصباغة للتستري ١: ١٥١.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦١.

بما قرأته عنه.

وأنت قد تستغرب من قول التستري فقد أدخل كلّ مخلوقٍ وأخرج البشر صراحاً.

لكن يدلّ عليه ما ذكره لسان العرب: وفي حديث الخوارج هم شرّ الخلق والخليقة: الخلق: الناس، والخليقة: البهائم.

وقيل هما بمعنى واحدٍ ويريد بهما جميع الخلائق(١).

أقول: ما ورد عن ابن منظور تفسيره للخلق والخليقة إن سلّمنا له أنّ الخلائق جمع خليقة ولا بأس به، إلّا أنَّ معناه البهائم فقط لا يمكن قبوله.

وسبب ذلك: إنّه تصدّى لتفسير الحديث ففسّر الخلق بالناس والخليقة بغيرهم بسبب ورود الاسمين وتعاطفهما الدالّ على المغايرة بينهما فآمن فوراً - على ما يبدو - بالفرق المذكور.

وبيان الحال: إنَّ الخلق له عدّة مصاديق فهو شاملٌ لمطلق ما خلقه الله إلّا أنَّ هذا لا يعني عدم إمكان قصد حصّةٍ منه بحسب الاستعمال أو بحسب الوجود، فقد يحصل لنا أنسٌ بين لفظ الخلق وحصّةٍ خاصّةٍ منه وهي الإنسان فنعبّر عن تلك الحصة بالخلق.

وقد تكثر تلك الحصّة الخاصّة فنعبّر عنها دون غيرها بالخلق، فإذا أردنا مطلق الخلق جئنا بقرينةٍ، وعندئذٍ يكون الاستعمال الأوّل وكذا الثاني استعمالاً حقيقيّاً صحيحاً.

وبما أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) تكلّم عن الخوارج وهم بشرٌ فقد ينصرف ذهن

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٤: ١٩٣.

السامع إلى كونه أراد من الخلق البشر، ولذا أكّد مطلوبه بالخليقة الدالّة نصّاً على البهائم والبشر وغيرهما.

وهنا عطف النصّ على الظاهر بغض النظر عن كونه (صلى الله عليه وآله) أراد من الخلق مطلقهم أم أراد من الخلق الحصّة الخاصّة.

فلو أراد مطلقهم يكون ظاهراً.

ولو أراد الحصّة الخاصّة يكون ظاهراً أيضاً بخلاف تعبيره بالخليقة فهو نصٌّ في جميع الحصص، هذا أوّلاً.

ثانياً: الحديث - وإن كان صحيحاً على مذاق العامّة - مرويٌّ بغير طرقنا.

ثالثاً: التفسير المفاد معارضٌ بتفسيرٍ غيره، وقد نقله ابن منظور نفسه.

رابعاً: ورد عن طريق أهل بيت العصمة رواياتٌ عديدةٌ عبّرت عن الإنسان بالخلائق، سأذكرها في المقام الأخير إن شاء الله تعالى.

المقام الثالث: في قوله (عليه السلام): «بِقُدْرَتِهِ»

اتفق القطبان على معنى واحدٍ، بل اتفقا على تفسيره لفظاً، فذهبا إلى أنّ الباء لاستصحاب الحال.

قال الكيذري: الباء في «بِقُدْرَتِهِ» لاستصحاب الحال كقولنا: رفع يديه بالتكبير، أي: مكبّراً[1].

وقال الراوندي: والباء في قوله «بِقُدْرَتِهِ» لاستصحاب الحال، كقولنا: رفع يديه

---

(١) حدائق الحقائق للكيذري ١: ١٢٠.

بالتكبير، أي: مكبّراً[١].

وهنا نظرٌ من عدّة وجوهٍ:

الأوّل: إنّه مخالفٌ لاصطلاح النحاة، فعندما يقولون استصحاب الحال يقصدون غير المعنى الذي طرحاه[٢].

الثاني: لا وجود لهذه الباء في عرفهم، والمراجع لأقوالهم يشهد بصحّة ما نقول[٣].

الثالث: بما أنّه يمكن الإبقاء على حرف الجرّ فلا موجب لتأويل المجرور بمنصوبٍ، خصوصاً أنَّ المتكلّم عليٌّ وهو سيّد الكلام.

الرابع: إذا رجعنا إلى مفردة الاستصحاب نجد معناها طلب الملازمة وهذا يعني المستصحَب - بالفتح - يطلبه المستصحِب - بالكسر - ممّا يعني جواز انفكاك أحدهما عن الآخر، وهذا يعطي معنى المغايرة بين الذات والصفة.

نعم، ما ذكراه من المثال لا يعطي معنى المغايرة.

وعلى هذا لابدّ أنْ نقول أنَّ الباء هنا بمعنى الإلصاق وليست هي حرفاً زائداً، فترتفع المشكلة حينها إنْ كانت.

قال ابن هشام: الإلصاق، قيل هو معنى لا يفارقها، فلهذا اقتصر عليه سيبويه، ثُمَّ الإلصاق حقيقيٌّ كـ (أمسكت بزيد) إذا قبضت على شيءٍ من جسمه أو على ما يحسبه من يدٍ أو ثوب ونحوه، ولو قلت: (أمسكته) احتمل ذلك وأن تكون منعته من

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) أنظر: لمع الأدلّة لابن الأنباري: ٤١.

(٣) أنظر: مغني اللبيب للأنصاري ١: ٣٧.

التصرّف.

ومجازيٌ نحو (مررت بزيدٍ) أي: ألصقت مروري بمكان يقرب من زيدٍ.

ثُمَّ قال: وأقول: إنَّ كلّاً من الإلصاق والاستعلاء إنّما يكون حقيقيّاً إذا كان مفضياً إلى نفس المجرور كـ (أمسكت بزيدٍ، وصعدت على السطح) فإنْ أفضى إلى ما يقرب منه فمجازٌ كـ (مررت بزيدٍ)(١).

وبما أنَّ القدرة ملاصقة للذات بل عينها جاز التعبير عن ذلك بذلك.

هذا كلّه مع إمكان أن نقول إنّه (عليه السلام) راعى السجعة بينه وبين ما يليه.

المقام الرابع: الريح والرياح

هناك دعوى حاصلها: أنَّ القرآن والعرب يستعملون الرياح في الخير، والريح في الشرّ، وممّن قال ذلك ابن ميثم البحراني: واستقراء كلام العرب يدلُّ على أنَّ استعمالهم لفظ الرياح في الرحمة، والريح في العذاب(٢).

وأيضاً قاله التستري: كما أنَّ الريح الأغلب استعمالها في الشرّ.

بل نَسَبَ إلى فقه لغة الثعالبي: لم يأت لفظ الريح في القرآن الّا في الشرّ، والرياح الّا في الخير، قال التستري: ثُمَّ ذكر آياتٍ(٣).

وكذلك قال القطب الراوندي: (نشر الرياح برحمته).... وأصله من نشرت الكتاب خلاف طويته.

ويعتبرون في صفة الريح النشر إذا كان فيها خيرٌ لا شرّ معه، كالرياح

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الانصاري ١: ١٣٧.

(٢) اختيار مصباح السالكين للبحراني ٥٧.

(٣) بهج الصباغة للتستري ١: ١٥٣، ١٥٤.

الملقّحات التي ينشرها الله فتكون سببها الأنوار والأزهار والفواكه والثمار، وكالتأثيرات رياح الرحمة ينتشرون السحاب في الجو، فتكون منه الأمطار والرياح تجمع قطع السحاب من المواضع المختلفة حتّى إذا اتصل السحاب أنزلت الأقطار.

وفي الخبر: (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً) وهذا إشارةٌ إلى عرف العرب في ذلك، فإنَّهم يقولون ريح العذاب ورياح الرحمة، وبه نزل القرآن، قال الله تعالى: ريحاً صرصراً عاتيّة.

الريح العقيم، وتنشر الرياح ترسل السحاب[1].

إذن، هناك عدّة أمور أجملها في التالي:

١- استعمال العرب لفظ الريح في الشرّ، والرياح في الخير.

٢- استعمال القرآن لفظ الريح في الشرّ، والرياح في الخير.

٣- ورود الروايات بذلك.

٤- ما ذكره الراوندي من الخبر.

أمّا عن الأوّل فقد استعمل الريح في غير الشرّ كثيراً فممّا ورد عن الشعراء الجاهليين قول أمية بن أبي الصلّت:

تباري الريح مكرمةً ومجداً إذا ما الكلب اجحره الشتاء[2]

وكذلك ورد مدح الأعشى:

طابت له الريح فامتدت غورابه ترى حوالبه من موجه ترعا[3]

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٣٩.

(٢) الريح في الشعر الجاهلي لمجدولين عبد الحميد رسالة ماجستير ٣٩.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

ومن استعمال الرياح في الشرّ قول الأسود بن جعفر:

جرت الرياح على مكان ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد[١]

وقالت الخنساء تصف رياح الشتاء الذي تهب رياحه وفيها بعض المطر الّا أنّه لا نفع فيه:

حين الرياح بلائلٌ نكبٌ هوائجها صوارد

ينفين عن ليط السماء ظلائلاً والماء جامد

مزقاً تطردها الرياح كأنّها خرقٌ طرائد[٢]

ومنه قول عبيد بن الأبرص:

جرت عليها رياح الصيف فاطّرت والريح فيها تعفيها بأذيال[٣]

وهنا نلاحظ كيف استعمل الرياح والريح في الرياح ذات الغبار والعجاج.

أمّا عن القرآن الكريم فهو وإن لم يستعمل الرياح بمعنى الشرّ لكنّه استعمل الريح بمعنى الخير، كقوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾[٤]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾[٥]، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾[٦]، وغير ذلك.

---

(١) نفس المصدر: ٨١.

(٢) نفس المصدر: ٨٢.

(٣- نفس المصدر: ٨٥.

(٤) سورة ص، الآية: ٣٦.

(٥) سورة سبأ، الآية: ١٢.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٣٣.

أمّا عن رواياتنا فقد وردت رواياتٌ عديدة جدّاً في هذا المضمون، منها:

عَنْ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْن مُحَمَّدِ بْن عِيسَى عَن الْحَسَن بْن مَحْبُوبٍ عَنْ عَلِيِّ بْن رِئَابٍ وَ هِشَامِ بْن سَالِمٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ (عليه السلام) عَن الرِّيَاحِ الْأَرْبَعِ الشَّمَالِ وَ الْجَنُوبِ وَ الصَّبَا وَ الدَّبُورِ وَ قُلْتُ إِنَّ النَّاسَ يَذْكُرُونَ أَنَّ الشَّمَالَ مِنَ الْجَنَّةِ وَ الْجَنُوبَ مِنَ النَّارِ فَقَالَ إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ جُنُوداً مِنْ رِيَاحٍ يُعَذِّبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ عَصَاهُ وَ لِكُلِّ رِيحٍ مِنْهَا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ يُعَذِّبَ قَوْماً بِنَوْعٍ مِنَ الْعَذَابِ أَوْحَى إِلَى الْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِذَلِكَ النَّوْعِ مِنَ الرِّيحِ الَّتِي يُرِيدُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا قَالَ فَيَأْمُرُهَا الْمَلَكُ فَيَهِيجُ كَمَا يَهِيجُ الْأَسَدُ الْمُغْضَب...» إلى آخر الخبر[1].

وهنا استعمل الامام (عليه السلام) الرياح في معنى والريح في نفس المعنى.

وفي حديث آخر عن الامام الباقر (عليه السلام) قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ رِيَاحَ رَحْمَةٍ وَ رِيَاحَ عَذَابٍ فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ الْعَذَابَ مِنَ الرِّيَاحِ رَحْمَةً فَعَل...» إلى آخر الخبر[2].

أمّا عن الحديث الذي نقله القطب فهو من أعجب ما سمعناه إذ الحديث غير مروي في كتبنا، أضف إليه أنَّه ضعيفٌ عندهم.

والتحقيق: تبيّن عدم صحّة الدعوى السابقة، بل نريد أن نشير إلى مسألةٍ وهي: بما أنَّهم سلّموا صحّة الوضع وحوّلوا بوصلة البحث إلى الاستعمال، فالاستعمال لا يمكن تحديده بذلك ولا بغير شيءٍ أصلاً، وإذا قيل استعملت هذه اللفظة في هذا

(١) الكافي للكليني ٨: ٩١.

(٢) الكافي للكليني ٨: ٩٢.

المعنى فليس معنى ذلك عدم جواز استعمالها في المعنى الآخر غير المنافي للوضع، بل يمكن استعمال الألفاظ في غير ما وضعت له من المعاني، ولهذا قيل: الاستعمال أعمّ من الحقيقة والمجاز.

المقام الخامس: في ذكر روايات الخلق والخلائق

جاء رجلٌ إلى أبي جعفرٍ (عليه السلام) مِنْ أَهْلِ اَلشَّامِ مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ «يَا أَبَا جَعْفَرٍ جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ قَدْ أَعْيَتْ عَلَيَّ أَنْ أَجِدَ أَحَداً يُفَسِّرُهَا وَ قَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا ثَلاَثَةَ أَصْنَافٍ مِنَ اَلنَّاس فَقَالَ كُلُّ صِنْفٍ مِنْهُمْ شَيْئاً غَيْرَ اَلَّذِي قَالَ اَلصِّنْفُ اَلْآخَرُ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام) مَا ذَاكَ قَالَ فَإِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اَللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ سَأَلْتُهُ قَالَ اَلْقَدَرُ وَ قَالَ بَعْضُهُمُ اَلْقَلَمُ وَ قَالَ بَعْضُهُمُ اَلرُّوحُ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام) مَا قَالُوا شَيْئاً أُخْبِرُكَ أَنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى كَانَ وَ لاَ شَيْءَ غَيْرُهُ وَ كَانَ عَزِيزاً وَ لاَ أَحَدَ كَانَ قَبْلَ عِزِّهِ وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ (سُبْحٰانَ رَبِّكَ رَبِّ اَلْعِزَّةِ عَمّٰا يَصِفُونَ) وَ كَانَ اَلْخَالِقُ قَبْلَ اَلْمَخْلُوقِ وَ لَوْ كَانَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ اَلشَّيْءَ مِنَ اَلشَّيْءِ إِذاً لَمْ يَكُنْ لَهُ اِنْقِطَاعٌ أَبَداً وَ لَمْ يَزَلِ اَللَّهُ إِذاً وَ مَعَهُ شَيْءٌ لَيْسَ هُوَ يَتَقَدَّمُهُ وَ لَكِنَّهُ كَانَ إِذْ لاَ شَيْءَ غَيْرُهُ وَ خَلَقَ اَلشَّيْءَ اَلَّذِي جَمِيعُ اَلْأَشْيَاءِ مِنْهُ وَ هُوَ اَلْمَاءُ اَلَّذِي خَلَقَ اَلْأَشْيَاءَ مِنْهُ فَجَعَلَ نَسَبَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى اَلْمَاءِ وَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْمَاءِ نَسَباً يُضَافُ إِلَيْهِ وَ خَلَقَ اَلرِّيحَ مِنَ اَلْمَاءِ ثُمَّ سَلَّطَ اَلرِّيحَ عَلَى اَلْمَاءِ فَشَقَّقَتِ اَلرِّيحُ مَتْنَ اَلْمَاءِ حَتَّى ثَارَ مِنَ اَلْمَاءِ زَبَدٌ عَلَى قَدْرِ مَا شَاءَ أَنْ يَثُورَ فَخَلَقَ مِنْ ذَلِكَ اَلزَّبَدِ أَرْضاً بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَيْسَ فِيهَا صَدْعٌ وَ لاَ ثَقْبٌ وَ لاَ صُعُودٌ وَ لاَ هُبُوطٌ وَ لاَ شَجَرَةٌ ثُمَّ طَوَاهَا فَوَضَعَهَا فَوْقَ اَلْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ اَللَّهُ اَلنَّارَ مِنَ اَلْمَاءِ فَشَقَّقَتِ اَلنَّارُ مَتْنَ اَلْمَاءِ حَتَّى ثَارَ مِنَ اَلْمَاءِ دُخَانٌ عَلَى قَدْرِ مَا شَاءَ اَللَّهُ أَنْ يَثُورَ فَخَلَقَ مِنْ ذَلِكَ

اَلدُّخَانِ سَمَاءً صَافِيَةً نَقِيَّةً لَيْسَ فِيهَا صَدْعٌ وَ لاَ ثَقْبٌ وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿السَّمٰاءُ بَنٰاهٰا * رَفَعَ سَمْكَهٰا فَسَوّٰاهٰا * وَ أَغْطَشَ لَيْلَهٰا وَ أَخْرَجَ ضُحٰاهٰا﴾ قَالَ وَ لاَ شَمْسٌ وَ لاَ قَمَرٌ وَ لاَ نُجُومٌ وَ لاَ سَحَابٌ ثُمَّ طَوَاهَا فَوَضَعَهَا فَوْقَ اَلْأَرْضِ ثُمَّ نَسَبَ اَلْخَلِيقَتَيْنِ فَرَفَعَ اَلسَّمَاءَ قَبْلَ اَلْأَرْضِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ ذِكْرُهُ ﴿وَ اَلْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰاهٰا﴾ يَقُولُ بَسَطَهَا فَقَالَ لَهُ اَلشَّامِيُّ يَا أَبَا جَعْفَرٍ قَوْلُ اَللَّهِ تَعَالَى ﴿أَ وَ لَمْ يَرَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ كٰانَتٰا رَتْقاً فَفَتَقْنٰاهُمٰا﴾ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام) فَلَعَلَّكَ تَزْعُمُ أَنَّهُمَا كَانَتَا رَتْقاً مُلْتَزِقَتَيْنِ مُلْتَصِقَتَيْنِ فَفُتِقَتْ إِحْدَاهُمَا مِنَ اَلْأُخْرَى فَقَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام) اِسْتَغْفِرْ رَبَّكَ فَإِنَّ قَوْلَ اَللَّهِ جَلَّ وَ عَزَّ ﴿كٰانَتٰا رَتْقاً﴾ يَقُولُ كَانَتِ اَلسَّمَاءُ رَتْقاً لاَ تُنْزِلُ اَلْمَطَرَ وَ كَانَتِ اَلْأَرْضُ رَتْقاً لاَ تُنْبِتُ اَلْحَبَّ فَلَمَّا خَلَقَ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى اَلْخَلْقَ ﴿وَ بَثَّ فِيهٰا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ فَتَقَ اَلسَّمَاءَ بِالْمَطَرِ وَ اَلْأَرْضَ بِنَبَاتِ اَلْحَبِّ فَقَالَ اَلشَّامِيُّ أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ وُلْدِ اَلْأَنْبِيَاءِ وَ أَنَّ عِلْمَكَ عِلْمُهُمْ»[1].

وكذلك ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنَّه قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مَنْ كَتَمَ شَهَادَةً أَوْ شَهِدَ بِهَا لِيُهْدِرَ لَهَا بِهَا دَمَ اِمْرِئٍ مُسْلِمٍ أَوْ لِيَزْوِيَ مَالَ اِمْرِئٍ مُسْلِمٍ أَتَى يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ وَ لِوَجْهِهِ ظُلْمَةٌ مَدَّ اَلْبَصَرِ وَ فِي وَجْهِهِ كُدُوحٌ تَعْرِفُهُ اَلْخَلاَئِقُ بِاسْمِهِ وَ نَسَبِهِ وَ مَنْ شَهِدَ شَهَادَةَ حَقٍّ لِيُحْيِيَ بِهَا حَقَّ اِمْرِئٍ مُسْلِمٍ أَتَى يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ وَ لِوَجْهِهِ نُورٌ مَدَّ اَلْبَصَرِ تَعْرِفُهُ اَلْخَلاَئِقُ بِاسْمِهِ وَ نَسَبِهِ ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام) أَ لاَ تَرَى أَنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى يَقُولُ وَ أَقِيمُوا اَلشَّهٰادَةَ لِلّٰهِ»[2].

و عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ اَلنَّضْرِ

---

(١) الكافي للكليني ٨: ٩٤.

(٢) الكافي للكليني ٧: ٣٨٠.

وَ غَيْرِهِ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ عَمْرِو بْن ثَابِتٍ عَنْ رَجُلٍ سَمَّاهُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ اَلسَّبِيعِيِّ عَنِ اَلْحَارِثِ اَلْأَعْوَرِ قَالَ: «خَطَبَ أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) خُطْبَةً بَعْدَ اَلْعَصْرِ فَعَجِبَ اَلنَّاسُ مِنْ حُسْنِ صِفَتِهِ وَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ تَعْظِيمِ اَللَّهِ جَلَّ جَلاَلُهُ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ فَقُلْتُ لِلْحَارِثِ أَ وَ مَا حَفِظْتَهَا قَالَ قَدْ كَتَبْتُهَا فَأَمْلاَهَا عَلَيْنَا مِنْ كِتَابِهِ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِي لاَ يَمُوتُ وَ لاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ لِأَنَّهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ مِنْ إِحْدَاثِ بَدِيعٍ لَمْ يَكُنِ اَلَّذِي ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فَيَكُونَ فِي اَلْعِزِّ مُشَارَكاً ﴿وَ لَمْ يُولَدْ﴾ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً وَ لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ اَلْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ شَبَحاً مَاثِلاً وَ لَمْ تُدْرِكْهُ اَلْأَبْصَارُ فَيَكُونَ بَعْدَ اِنْتِقَالِهَا حَائِلاً اَلَّذِي لَيْسَتْ فِي أَوَّلِيَّتِهِ نِهَايَةٌ وَ لاَ لآِخِرِيَّتِهِ حَدٌّ وَ لاَ غَايَةٌ اَلَّذِي لَمْ يَسْبِقْهُ وَقْتٌ وَ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ زَمَانٌ وَ لاَ يَتَعَاوَرُهُ زِيَادَةٌ وَ لاَ نُقْصَانٌ وَ لاَ يُوصَفُ بِأَيْنٍ وَ لاَ بِمَ وَ لاَ مَكَانٍ اَلَّذِي بَطَنَ مِنْ خَفِيَّاتِ اَلْأُمُورِ وَ ظَهَرَ فِي اَلْعُقُولِ بِمَا يُرَى فِي خَلْقِهِ مِنْ عَلاَمَاتِ اَلتَّدْبِيرِ اَلَّذِي سُئِلَتِ اَلْأَنْبِيَاءُ عَنْهُ فَلَمْ تَصِفْهُ بِحَدٍّ وَ لاَ بِبَعْضٍ بَلْ وَصَفَتْهُ بِفِعَالِهِ وَ دَلَّتْ عَلَيْهِ بِآيَاتِهِ لاَ تَسْتَطِيعُ عُقُولُ اَلْمُتَفَكِّرِينَ جَحْدَهُ لِأَنَّ مَنْ كَانَتِ اَلسَّمَاوَاتُ وَ اَلْأَرْضُ فِطْرَتَهُ وَ مَا فِيهِنَّ وَ مَا بَيْنَهُنَّ وَ هُوَ اَلصَّانِعُ لَهُنَّ فَلاَ مَدْفَعَ لِقُدْرَتِهِ اَلَّذِي نَأَى مِنَ اَلْخَلْقِ فَلاَ شَيْءَ كَمِثْلِهِ اَلَّذِي خَلَقَ خَلْقَهُ لِعِبَادَتِهِ وَ أَقْدَرَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ بِمَا جَعَلَ فِيهِمْ وَ قَطَعَ عُذْرَهُمْ بِالْحُجَجِ فَعَنْ بَيِّنَةٍ هَلَكَ مَنْ هَلَكَ وَ بِمَنِّهِ نَجَا مَنْ نَجَا وَ لِلَّهِ اَلْفَضْلُ مُبْدِئاً وَ مُعِيداً ثُمَّ إِنَّ اَللَّهَ وَ لَهُ اَلْحَمْدُ اِفْتَتَحَ اَلْحَمْدَ لِنَفْسِهِ وَ خَتَمَ أَمْرَ اَلدُّنْيَا وَ مَحَلَّ اَلْآخِرَةِ بِالْحَمْدِ لِنَفْسِهِ فَقَالَ وَ قَضَى ﴿بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ﴾ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَللاَّبِسِ اَلْكِبْرِيَاءِ بِلاَ تَجْسِيدٍ وَ اَلْمُرْتَدِي بِالْجَلاَلِ بِلاَ تَمْثِيلٍ وَ اَلْمُسْتَوِي عَلَى اَلْعَرْشِ بِغَيْرِ زَوَالٍ وَ اَلْمُتَعَالِي عَلَى اَلْخَلْقِ بِلاَ تَبَاعُدٍ مِنْهُمْ وَ لاَ مُلاَمَسَةٍ مِنْهُ لَهُمْ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ يُنْتَهَى إِلَى حَدِّهِ وَ لاَ لَهُ مِثْلٌ فَيُعْرَفَ بِمِثْلِهِ ذَلَّ مَنْ تَجَبَّرَ غَيْرَهُ وَ صَغُرَ مَنْ تَكَبَّرَ دُونَهُ وَ تَوَاضَعَتِ اَلْأَشْيَاءُ لِعَظَمَتِهِ وَ

اِنْقَادَتْ لِسُلْطَانِهِ وَ عِزَّتِهِ وَ كَلَّتْ عَنْ إِدْرَاكِهِ طُرُوفُ اَلْعُيُونِ وَ قَصُرَتْ دُونَ بُلُوغِ صِفَتِهِ أَوْهَامُ اَلْخَلاَئِقِ اَلْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ لاَ قَبْلَ لَهُ وَ اَلْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ وَ لاَ بَعْدَ لَهُ اَلظَّاهِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِالْقَهْرِ لَهُ وَ اَلْمُشَاهِدِ لِجَمِيعِ اَلْأَمَاكِنِ بِلاَ اِنْتِقَالٍ إِلَيْهَا لاَ تَلْمِسُهُ لاَمِسَةٌ وَ لاَ تُحِسُّهُ حَاسَّةٌ ﴿هُوَ اَلَّذِي فِي اَلسَّمٰاءِ إِلٰهٌ وَ فِي اَلْأَرْضِ إِلٰهٌ وَ هُوَ اَلْحَكِيمُ اَلْعَلِيمُ﴾ أَتْقَنَ مَا أَرَادَ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ اَلْأَشْبَاحِ كُلِّهَا لاَ بِمِثَالٍ سَبَقَ إِلَيْهِ وَ لاَ لُغُوبٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي خَلْقِ مَا خَلَقَ لَدَيْهِ اِبْتَدَأَ مَا أَرَادَ اِبْتِدَاءَهُ وَ أَنْشَأَ مَا أَرَادَ إِنْشَاءَهُ عَلَى مَا أَرَادَ مِنَ اَلثَّقَلَيْنِ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ لِيَعْرِفُوا بِذَلِكَ رُبُوبِيَّتَهُ وَ تَمَكَّنَ فِيهِمْ طَاعَتُهُ نَحْمَدُهُ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ كُلِّهَا عَلَى جَمِيعِ نَعْمَائِهِ كُلِّهَا وَ نَسْتَهْدِيهِ لِمَرَاشِدِ أُمُورِنَا وَ نَعُوذُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَ نَسْتَغْفِرُهُ لِلذُّنُوبِ اَلَّتِي سَبَقَتْ مِنَّا وَ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيّاً دَالاًّ عَلَيْهِ وَ هَادِياً إِلَيْهِ فَهَدَى بِهِ مِنَ اَلضَّلاَلَةِ وَ اِسْتَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ اَلْجَهَالَةِ ﴿مَنْ يُطِعِ اَللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فٰازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ وَ نَالَ ثَوَاباً جَزِيلاً وَ مَنْ يَعْصِ اَللَّهَ وَ رَسُولَهُ ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرٰاناً مُبِيناً﴾ وَ اِسْتَحَقَّ عَذَاباً أَلِيماً فَأَنْجِعُوا بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اَلسَّمْعِ وَ اَلطَّاعَةِ وَ إِخْلاَصِ اَلنَّصِيحَةِ وَ حُسْنِ اَلْمُؤَازَرَةِ وَ أَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِلُزُومِ اَلطَّرِيقَةِ اَلْمُسْتَقِيمَةِ وَ هَجْرِ اَلْأُمُورِ اَلْمَكْرُوهَةِ وَ تَعَاطَوُا الْحَقَّ بَيْنَكُمْ وَ تَعَاوَنُوا بِهِ دُونِي وَ خُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ السَّفِيهِ وَ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اعْرِفُوا لِذَوِي الْفَضْلِ فَضْلَهُمْ عَصَمَنَا اللَّهُ وَ إِيَّاكُمْ بِالْهُدى وَ ثَبَّتَنَا وَ إِيَّاكُمْ عَلَى التَّقْوى، وَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَ لَكُمْ»[1].

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْن مَرَّارٍ عَنْ يُونُسَ عَنْهُمْ (عليهم السلام) قَالُوا: «خَمْسَةُ أَشْيَاءَ ذَكِيَّةٌ مِمَّا فِيهَا مَنَافِعُ اَلْخَلْقِ اَلْإِنْفَحَةُ وَ اَلْبَيْضَةُ وَ اَلصُّوفُ وَ اَلشَّعْرُ وَ اَلْوَبَرُ

---

(١) الكافي للكليني ١: ١٤١.

لاَ بَأْسَ بِأَكْلِ اَلْجُبُنِّ كُلِّهِ مِمَّا عَمِلَهُ مُسْلِمٌ أَوْ غَيْرُهُ وَ إِنَّمَا يُكْرَهُ أَنْ يُؤْكَلَ سِوَى اَلْإِنْفَحَةِ مِمَّا فِي آنِيَةِ اَلْمَجُوسِ وَ أَهْلِ اَلْكِتَابِ لِأَنَّهُمْ لاَ يَتَوَقَّوْنَ اَلْمَيْتَةَ وَ اَلْخَمْرَ»(1).

خلاصة المقامات

أثنى عليٌّ (عليه السلام) على الله كثيراً، وحمده تعالى على انعامه حمداً يليق بجماله وجلاله.

وأخبر (عليه السلام) عن غيره أنَّه كذلك حامدٌ لله تعالى إن لم يكن بجارحة اللسان فبالجوانح والجنان.

ومدّ أمير المؤمنين (عليه السلام) جسراً من الألفاظ للوصول إلى حقيقة المراد حين تعدّى من مدحه المجرّد إلى بيان ما يعجز عنه البشر إذ هو تعالى فوق الفكر.

لذلك قال: «**لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ**».

والمدحة اسمٌ للهيأة فأنت أيّها الإنسان مهما مدحت لا يمكنك أن تبلغ بمدحتك، ولا يمكنك أن تكشف اللثام عن وجه محبوبك، إذ كيف يستطيع المحدود إدراك غير المحدود، وكيف يستطيع ما له ابتداء أن يصف ما لا ابتداء له.

ولا يمكن حمل كلام المولى عليٍّ (عليه السلام) على اسم المرّة إذ لا يخفاك ما لكثرة الحمد غير الموصولة فضلاً عن واحدةٍ.

وذكر (عليه السلام) العادّين، فالعادّون لا يستطيعون عدّ نعماءه بل لا يستطيعون عدّ واحدةٍ منها من حيث كشف أسرارها من نشؤها إلى استعمالها إلى زوالها واضمحلالها، فما بالك بعدّ نعمه كلّها؟.

---

(1) الكافي للكليني ٦: ٢٥٧.

وكذا لا يستطيع من حاز النظر والاجتهاد تأدية حقٍّ من حقوقه.

وحقّه واسعٌ ليس بمقدور أحدٍ أن يدركه فضلاً عن تأديته.

فلا يمكن لعالي الهمّة الطيّار أن يدركه، ولا يمكن أن يناله من غاصّ في بحر جوده وكرمه ناهيك عن أن يبحر الغواص في بحر ذاته وصفاته.

فهو تعالى وإن اتصف بالصفات الذاتيّة لكن لا يمكن أن تكون لصفته غايةٌ أو نهايةٌ.

فبما أنّها باقيةٌ ببقائه وثابتةٌ بثبوته فيتفرّع عدم إمكان نعته إذ النعت يكون لمّا ينقطع أو يتغيّر وهو ثابتٌ فلا تتحيّر.

ولا يمكن أن يجعل في وقت لأنَّه قبل الوقت موجودٌ ولا يمكن أن يحيط به أجلٌ ممدودٌ.

فسبحانه من فَطَرَ الخليقة بقدرته ونشر الرياح برحمته، ووتد الجبال وأثبتها في ميدان أرضه.

قال (عليه السلام): «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ».

المقام الأوّل: «أوّل».

تعرّض القطب الكيذري إلى معنى «أوّلُ» الوارد في الخطبة الشريفة، بينما اكتفى مشهور الشارحين لبيان معناه لغةً.

وقدّر فيه أن يكون الأوّل مضافاً إلى أمور الدين المقصودة في نفسها.

قال: يعني أوّل أمور الدين المقصودة في نفسها؛ وعند العلماء النظر أوّل واجب لأنّه الوصلة إليها؛ والتصديق به، قيل: هو أن يصوّر هويّته ويصوّر معنى اسمه تعالى تصوّراً بحسب الذات[1]، انتهى.

ويلاحظ عليه: أنّ الإضافة بين الأوّل والدين بيانيّةٌ، وعندما توسّط أمراً بينهما فذلك يعني أنّك لابدّ أن تجعل (من) قبل الأمر و(من) بعد الأمر، فتكون عندنا إضافتان، مع أنّه عندما زاد الإضافة لم يزد فيها معنى، وهذا دليلٌ على البطلان.

المقام الثاني: هل الأوّل -لغةً- ما له ثانٍ؟

قيل: فمعنى الأوّل في اللغة ابتداء الشيء، ثُمَّ قد يكون له ثانٍ وقد لا يكون، كما يقول: هذا أوّل ما اكتسبته، فقد يكتسب بعده شيئاً وقد لا يكسب.

واستدلّ الزجّاج عليه بقوله تعالى حكايةً عن الكفار المنكرين للبعث: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾ فعبّر لهم بالأولى وليس لهم غيرها[2].

---

(١) حدائق الحقائق للكيذري ١: ١٢٠ـ ١٢٢.

(٢) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣١٧.

لكن، صحيحٌ أنَّ الأوّل لا يستبطن الثاني أو الآخر وضعاً إلّا أنّه المتعارف عند الاستعمال، ولا نجازف إن قلنا هناك ملازمةً عرفيّةً بين لفظ الأوّل والثاني، أو بين الأوّل والآخر، بدليل عدم جواز التعبير عن أنّه الأوّل إن لم يكن ثانٍ يذكر.

وعندئذٍ يقال: ما ذكره من المثال الأوّل: هذا أوّل ما اكتسبته ويسكت عن الثاني لكن مع توقّع حصوله وإمكان وقوعه.

وكذا الآية المباركة إذ هم قالوا: إلّا موتتنا الأولى ولا نعترف بالثانية التي ذكرتموها.

وأين هذا ممّا نحن فيه.

المقام الثالث: المعرفة والعلم

وهذه من المسائل المهمّة التي صارت مثاراً للبحث والتأويل بين الفلاسفة والمتكلّمين.

نعم، لم يختلف اللغويون فيها طرّاً إذ قالوا بالمرادفة بينها ويشهد لذلك قول ابن منظور: علمت الشيء أعلمه علماً: عرفته[١].

وكذلك قول الكرباسي - وهو من المتأخّرين جدّاً -: عرّفه بفلانٍ أي: أعلمه[٢].

وتفرّع على اختلافهم أنَّهم اتفقوا على عدم صحّة القول: عالمٌ بالله، وأجازوا: عارفٌ بالله.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٩: ٣٧١.

(٢) نظرات في أخطاء المنشئين للكرباسي ٢: ٦٦.

بل تفرّع عند القائلين بأنَّ المعرفة علمٌ مسبوقٌ بنسيان، ونحوه عدم جواز القول: عرف الله، بل لابدَّ من القول: علم الله.

قال الخوئي: قيل: هي إدراك البسائط والجزئيات، والعلم إدراك المركّبات والكلّيّات، ومن ثُمَّ يقال: عرفت الله، ولا يقال: علمته.

وقيل: هي عبارةٌ عن الإدراك التصوّري، والعلم عبارةٌ عن الإدراك التصديقي.

وقيل: هي إدراك الشيء ثانياً بعد توسّط نسيانه، فلذلك يسمّى الحقّ سبحانه بالعالم دون العارف.

قيل: وهذا أشهر الأقوال في تعريف المعرفة(١).

هذا، والذي يبدو لأوّل وهلةٍ الفرق بين المعرفة والعلم من نواحٍ:

الناحيّة الأوّلى: الفارق الوجداني بينهما.

الثاني: الفارق اللغوي بينهما، فعلمت تتعدى لمفعولين، والفعل المصوغ من المعرفة يتعدى لمفعولٍ واحدٍ.

الثالث: اختلاف أضدادهما؛ لأنَّ المعرفة يضادّها الإنكار، والعلم يضادّه الجهل.

والتحقيق:

أوّلاً: ما ذكر من الفرق الوجداني بين العلم والمعرفة هو ليسٌ، بل هو بين العلم بمعنى اليقين أو الظنّ وبين المعرفة.

ثانياً: ما ذكر من الفرق بينهما لغةً من التعدي لمفعولين أو لمفعولٍ واحدٍ سرّه يكمن في أنَّ العلم أو الظنّ إنّما تتعدّى لمفعولين الثاني منها يكون صفةً غير

---

(١) منهاج البراعة، للخوئي ١: ٣١٨.

اصطلاحيّة، والأوّل يكون نفس الذات التي يراد نفي الصفة عنها أو ثبوتها، تقول: علمت زيداً منطلقاً، وما علمته منطلقاً، فأنت في كلتا الحالتين تريد أن تثبت وتخبر عن انطلاقه بالنسبة لك، أو عدم انطلاقه كذلك.

وما تعدية فعلك إلى الأوّل إلّا بمثابة الجسر للوصول إلى الثاني، وهذا بخلاف عرفت فإنّها تتسلّط على الذوات مباشرةً من دون فرقٍ بين واجب الوجود وممكنه، فتقول: عرفت الله وزيداً.

بل يمكن أن تقول: علمت الله وزيداً، إذ العلم هنا بمعنى المعرفة لا بمعنى اليقين والظنّ الذي يتعلّق بمفعولين.

ويدخل تحت العلم ما كان مورّثاً للجزم وما كان مطابقاً للواقع إضافةً للإذعان والجزم.

ومنهما يظهر الجواب على الثالث.

ويدلّ على صحّة ما ذهبنا إليه الروايات الشريفة المصرّحة بـ عرف الله والعلم به.

فمنها ما رواه الصحاف عن إمامنا الصادق (عليه السلام): «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اَللَّهِ (عليه السلام) عَنْ قَوْلِهِ ﴿فَمِنْكُمْ كٰافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ فَقَالَ عَرَفَ اَللَّهُ (عزّ وجلّ) إِيمَانَهُمْ بِمُوَالاَتِنَا وَ كُفْرَهُمْ بِهَا يَوْمَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ اَلْمِيثَاقَ وَ هُمْ ذَرٌّ فِي صُلْبِ آدَمَ وَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ (عزّ وجلّ) ﴿أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمٰا عَلىٰ رَسُولِنَا اَلْبَلاٰغُ اَلْمُبِينُ﴾ فَقَالَ أَمَا وَ اَللَّهِ مَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَ مَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ حَتَّى يَقُومَ قَائِمُنَا عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ إِلاَّ فِي تَرْكِ وَلاَيَتِنَا وَ جُحُودِ حَقِّنَا وَ مَا خَرَجَ رَسُولُ اَللَّهِ (صلّى الله عليه وآله) مِنَ اَلدُّنْيَا حَتَّى أَلْزَمَ رِقَابَ

هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ حَقًّا وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ»(١).

ومنها أيضاً عَنْ أَبِي عَبْدِ اَللَّهِ (عليه السلام) عَنْ أَبِيهِ (عليه السلام): «أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ وَ قَدْ كَلَّمَهُ بِكَلاَمٍ كَثِيرٍ فَقَالَ أَيُّهَا اَلرَّجُلُ تَحْتَقِرُ اَلْكَلاَمَ وَ تَسْتَصْغِرُهُ اِعْلَمْ أَنَّ اَللَّهَ (عَزَّ وَ جَلَّ) لَمْ يَبْعَثْ رُسُلَهُ حَيْثُ بَعَثَهَا وَ مَعَهَا ذَهَبٌ وَ لاَ فِضَّةٌ وَ لَكِنْ بَعَثَهَا بِالْكَلاَمِ وَ إِنَّمَا عَرَّفَ اَللَّهُ (جَلَّ وَعَزَّ) نَفْسَهُ إِلَى خَلْقِهِ بِالْكَلاَمِ وَ اَلدَّلاَلاَتِ عَلَيْهِ وَ اَلْأَعْلاَمِ»(٢).

وفي الخطب الجليل من أخبار بنت الخليل محمد (صلى الله عليه وآله) ورد: «مَرِضَتْ فَاطِمَةُ (عليها السلام) مَرَضاً شَدِيداً وَ مَكَثَتْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فِي مَرَضِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَتْ صَلَوَاتُ اَللَّهِ عَلَيْهَا فَلَمَّا نُعِيَتْ إِلَيْهَا نَفْسُهَا دَعَتْ أُمَّ أَيْمَنَ وَ أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ وَ وَجَّهَتْ خَلْفَ عَلِيٍّ وَ أَحْضَرَتْهُ فَقَالَتْ يَا اِبْنَ عَمِّ إِنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي وَ إِنِّي لاَ أَرَى مَا بِي إِلاَّ أَنَّنِي لاَحِقٌ بِأَبِي سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ وَ أَنَا أُوصِيكَ بِأَشْيَاءَ فِي قَلْبِي قَالَ لَهَا عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أَوْصِينِي بِمَا أَحْبَبْتِ يَا بِنْتَ رَسُولِ اَللَّهِ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا وَ أَخْرَجَ مَنْ كَانَ فِي اَلْبَيْتِ ثُمَّ قَالَتْ يَا اِبْنَ عَمِّ مَا عَهِدْتَنِي كَاذِبَةً وَ لاَ خَائِنَةً وَ لاَ خَالَفْتُكَ مُنْذُ عَاشَرْتَنِي فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) مَعَاذَ اَللَّهِ أَنْتِ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَ أَبَرُّ وَ أَتْقَى وَ أَكْرَمُ وَ أَشَدُّ خَوْفاً مِنَ اَللَّهِ مِنْ أَنْ أُوَبِّخَكِ بِمُخَالَفَتِي قَدْ عَزَّ عَلَيَّ مُفَارَقَتُكِ وَ تَفَقُّدُكِ إِلاَّ أَنَّهُ أَمْرٌ لاَ بُدَّ مِنْهُ وَ اَللَّهِ جَدَّدْتِ عَلَيَّ مُصِيبَةَ رَسُولِ اَللَّهِ (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَ قَدْ عَظُمَتْ وَفَاتُكِ وَ فَقْدُكِ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ مِنْ مُصِيبَةٍ مَا أَفْجَعَهَا وَ آلَمَهَا وَ أَمَضَّهَا وَ أَحْزَنَهَا هَذِهِ وَ اَللَّهِ مُصِيبَةٌ لاَ عَزَاءَ لَهَا وَ رَزِيَّةٌ لاَ خَلَفَ لَهَا ثُمَّ بَكَيَا جَمِيعاً سَاعَةً وَ أَخَذَ عَلَى رَأْسِهَا وَ ضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ أُوصِينِي بِمَا شِئْتِ فَإِنَّكِ تجدني [تَجِدِينِي] فِيهَا أَمْضِي كَمَا أَمَرْتِنِي بِهِ وَ أَخْتَارُ

---

(١) الكافي للكليني ١: ٤٢٦.

(٢) الكافي للكليني ٨: ١٤٨.

أَمْرَكِ عَلَى أَمْرِي ثُمَّ قَالَتْ جَزَاكِ اَللَّهُ عَنِّي خَيْرَ اَلْجَزَاءِ يَا اِبْنَ عَمِّ رَسُولِ اَللَّهِ أُوصِيكَ أَوَّلاً أَنْ تَتَزَوَّجَ بَعْدِي بِابْنَةِ أُخْتِي أُمَامَةَ فَإِنَّهَا تَكُونُ لِوُلْدِي مِثْلِي فَإِنَّ اَلرِّجَالَ لاَ بُدَّ لَهُمْ مِنَ اَلنِّسَاءِ قَالَ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالَ أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أَرْبَعٌ لَيْسَ لِي إِلَى فِرَاقِهِ سَبِيلٌ بِنْتُ أَبِي اَلْعَاصِ أُمَامَةُ أَوْصَتْنِي بِهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ثُمَّ قَالَتْ أُوصِيكَ يَا اِبْنَ عَمِّ أَنْ تَتَّخِذَ لِي نَعْشاً فَقَدْ رَأَيْتُ اَلْمَلاَئِكَةَ صَوَّرُوا صُورَتَهُ فَقَالَ لَهَا صِفِيهِ لِي فَوَصَفَتْهُ فَاتَّخَذَهُ لَهَا فَأَوَّلُ نَعْشٍ عُمِلَ عَلَى وَجْهِ اَلْأَرْضِ ذَاكَ وَ مَا رَأَى أَحَدٌ قَبْلَهُ وَ لاَ عَمِلَ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَتْ أُوصِيكَ أَنْ لاَ يَشْهَدَ أَحَدٌ جِنَازَتِي مِنْ هَؤُلاَءِ اَلَّذِينَ ظَلَمُونِي وَ أَخَذُوا حَقِّي فَإِنَّهُمْ عَدُوِّي وَ عَدُوُّ رَسُولِ اَللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَ لاَ تَتْرُكْ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَ لاَ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ وَ اِدْفِنِّي فِي اَللَّيْلِ إِذَا هَدَأَتِ اَلْعُيُونُ وَ نَامَتِ اَلْأَبْصَارُ ثُمَّ تُوُفِّيَتْ صَلَوَاتُ اَللَّهِ عَلَيْهَا وَ عَلَى أَبِيهَا وَ بَعْلِهَا وَ بَنِيهَا فَصَاحَتْ أَهْلُ اَلْمَدِينَةِ صَيْحَةً وَاحِدَةً وَ اِجْتَمَعَتْ نِسَاءُ بَنِي هَاشِمٍ فِي دَارِهَا فَصَرَخُوا صَرْخَةً وَاحِدَةً كَادَتِ اَلْمَدِينَةُ أَنْ تَتَزَعْزَعَ مِنْ صُرَاخِهِنَّ وَ هُنَّ يَقُلْنَ يَا سَيِّدَتَاهْ يَا بِنْتَ رَسُولِ اَللَّهِ وَ أَقْبَلَ اَلنَّاسُ مِثْلَ عُرْفِ اَلْفَرَسِ إِلَى عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وَ هُوَ جَالِسٌ وَ اَلْحَسَنُ وَ اَلْحُسَيْنُ (عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ) بَيْنَ يَدَيْهِ يَبْكِيَانِ فَبَكَى اَلنَّاسُ لِبُكَائِهِمَا وَ خَرَجَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ وَ عَلَيْهَا بُرْقُعَةٌ وَ تَجُرُّ ذَيْلَهَا مُتَجَلِّلَةً بِرِدَاءٍ عَلَيْهَا تُسَبِّحُهَا وَ هِيَ تَقُولُ يَا أَبَتَاهْ يَا رَسُولَ اَللَّهِ اَلْآنَ حَقّاً فَقَدْنَاكَ فَقْداً لاَ لِقَاءَ بَعْدَهُ أَبَداً وَ اِجْتَمَعَ اَلنَّاسُ فَجَلَسُوا وَ هُمْ يَضِجُّونَ وَ يَنْتَظِرُونَ أَنْ تَخْرَجَ اَلْجِنَازَةُ فَيُصَلُّونَ عَلَيْهَا وَ خَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وَ قَالَ اِنْصَرِفُوا فَإِنَّ اِبْنَةَ رَسُولِ اَللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَدْ أُخِّرَ إِخْرَاجُهَا فِي هَذِهِ اَلْعَشِيَّةِ فَقَامَ اَلنَّاسُ وَ اِنْصَرَفُوا فَلَمَّا أَنْ هَدَأَتِ اَلْعُيُونُ وَ مَضَى شَطْرٌ مِنَ اَللَّيْلِ أَخْرَجَهَا عَلِيٌّ وَ اَلْحَسَنُ وَ اَلْحُسَيْنُ (عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ) وَ عَمَّارٌ وَ اَلْمِقْدَادُ وَ عَقِيلٌ

وَ اَلزُّبَيْرُ وَ أَبُو ذَرٍّ وَ سَلْمَانُ وَ بُرَيْدَةُ وَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَ خَوَاصٌّ»[١].

وفي كمال الدين عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: وعَنْ أَبِي عَبْدِ اَللَّهِ (عليه السلام) قَالَ: «إِنَّ صَالِحاً عَلَيْهِ السَّلاَمُ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ زَمَاناً وَ كَانَ يَوْمَ غَابَ عَنْهُمْ كَهْلاً مُبْدَحَ اَلْبَطْنِ حَسَنَ اَلْجِسْمِ وَافِرَ اَللِّحْيَةِ خَمِيصَ اَلْبَطْنِ خَفِيفَ اَلْعَارِضَيْنِ مُجْتَمِعاً رَبْعَةً مِنَ اَلرِّجَالِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ لَمْ يَعْرِفُوهُ بِصُورَتِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ وَ هُمْ عَلَى ثَلاَثِ طَبَقَاتٍ طَبَقَةٌ جَاحِدَةٌ لاَ تَرْجِعُ أَبَداً وَ أُخْرَى شَاكَّةٌ فِيهِ وَ أُخْرَى عَلَى يَقِينٍ فَبَدَأَ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ حَيْثُ رَجَعَ بِالطَّبَقَةِ اَلشَّاكَّةِ فَقَالَ لَهُمْ أَنَا صَالِحٌ فَكَذَّبُوهُ وَ شَتَمُوهُ وَ زَجَرُوهُ وَ قَالُوا بَرِئَ اَللَّهُ مِنْكَ إِنَّ صَالِحاً كَانَ فِي غَيْرِ صُورَتِكَ قَالَ فَأَتَى اَلْجُحَّادَ فَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ اَلْقَوْلَ وَ نَفَرُوا مِنْهُ أَشَدَّ اَلنُّفُورِ ثُمَّ اِنْطَلَقَ إِلَى اَلطَّبَقَةِ اَلثَّالِثَةِ وَ هُمْ أَهْلُ اَلْيَقِينِ فَقَالَ لَهُمْ أَنَا صَالِحٌ فَقَالُوا أَخْبِرْنَا خَبَراً لاَ نَشُكُّ فِيكَ مَعَهُ أَنَّكَ صَالِحٌ فَإِنَّا لاَ نَمْتَرِي أَنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى اَلْخَالِقُ يَنْقُلُ وَ يُحَوِّلُ فِي أَيِّ صُورَةٍ شَاءَ وَ قَدْ أُخْبِرْنَا وَ تَدَارَسْنَا فِيمَا بَيْنَنَا بِعَلاَمَاتِ اَلْقَائِمِ إِذَا جَاءَ وَ إِنَّمَا يَصِحُّ عِنْدَنَا إِذَا أَتَى اَلْخَبَرُ مِنَ اَلسَّمَاءِ فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ أَنَا صَالِحٌ اَلَّذِي أَتَيْتُكُمْ بِالنَّاقَةِ فَقَالُوا صَدَقْتَ وَ هِيَ اَلَّتِي نَتَدَارَسُ فَمَا عَلاَمَتُهَا فَقَالَ: لَهَا شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِمَا جِئْتَنَا بِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ فَقَالَ أَهْلُ اَلْيَقِينِ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ` قَالَ اَلَّذِينَ اِسْتَكْبَرُوا وَ هُمُ اَلشُّكَّاكُ وَ اَلْجُحَّادُ إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ قُلْتُ هَلْ كَانَ فِيهِمْ ذَلِكَ اَلْيَوْمَ عَالِمٌ بِهِ قَالَ اَللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يَتْرُكَ اَلْأَرْضَ بِلاَ عَالِمٍ يَدُلُّ عَلَى اَللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَقَدْ مَكَثَ اَلْقَوْمُ بَعْدَ خُرُوجِ صَالِحٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ عَلَى فَتْرَةٍ لاَ يَعْرِفُونَ إِمَاماً غَيْرَ أَنَّهُمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ دِينِ اَللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ فَلَمَّا ظَهَرَ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ اِجْتَمَعُوا

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٤٣: ١٩١.

عَلَيْهِ وَ إِنَّمَا مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَثَلُ صَالِحٍ»[(١)].

وفي بصائر الدرجات: «خَرَجْنَا مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَكَّةَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِسَرَفٍ اِسْتَقْبَلَهُ غُرَابٌ يَنْعِقُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ مُتْ جُوعاً مَا تَعْلَمُ شَيْئاً إِلاَّ وَ نَحْنُ نَعْلَمُهُ إِلاَّ أَنَا أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْكَ فَقُلْنَا هَلْ كَانَ فِي وَجْهِهِ شَيْءٌ قَالَ نَعَمْ سَقَطَتْ نَاقَةٌ بِعَرَفَاتٍ»[(٢)].

وأني لأجد كفاية من نقل هذه الآثار عنهم (سلام الله عليهم) مع أنَّ الجميع – في حدود ما أعلم – لم يراجع أقوالهم واعتمدوا على عقولهم واعتباراتهم، علماً أنّه لا موجب لمراجعة الأسانيد لأنّنا نبحث عن الاستعمال فقط وهو حاصلٌ سواء منهم (عليهم السلام) أو من المتشرعة الذين نقلوا لنا تلكم الأحاديث.

ولا نزيد على هذا المقدار من التوضيح ومن سرد الروايات فإنّها أكثر ممّا ذكرنا جزماً والحمد لله الذي أحاطنا بها علماً.

---

(١) كمال الدين ١: ١٣٦.

(٢) بصائر الدرجات للصفار ١: ٣٤٥.

المقام الرابع: هل قصد (عليه السلام) من المعرفة التصوريّة أم التصديقيّة؟

قد يتصوّر أنّه (عليه السلام) قصد من قوله: «مَعْرِفَتُهُ»، المعرفة التصديقيّة التي تستبطن المعرفة التصوريّة، أو قصد (عليه السلام) معرفته فقط؟ وربّما يشهد للأوّل ما أفاده البحراني: وأعلم أنّ المعرفة على مراتبٍ فأدناها أن يعرف العبد أنّ له صانعاً...[(١)]

بل ستعرف ما قاله المعتزلي فانتظر.

ويشهد للثاني ما قاله الصدر الأعظم: أوّل الدين معرفته إشارةٌ إلى أنّ معرفة الله (تعالى) ولو بوجهٍ ابتداء الإيمان واليقين، فإنّ ما لم يتصوّر شيءٌ لا يمكن التصديق بوجوده[(٢)].

وأيضاً أفاد القطب في قيله: هو أن يصوّر هوّيته، ويصوّر معنى اسمه تصوّراً بحسب الذات[(٣)].

هذا، والصحيح الرأي الثاني إذ معرفة كونه صانعاً فرعٌ عن معرفة وجوده ومعرفة وجوده يتكفلّها قوله (عليه السلام) الآتي: «وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ» على ما سيبين.

أمّا عن المعتزلي القائل: لأنّ التقليد باطلٌ[(٤)]، فقد علمت كونه (عليه السلام) ليس بصدد غير التصوّر، وعندئذٍ لا يمكن أن ينتج من كلامه معلولاً حاوٍ على التصديق والاستدلال؛ إذ المعلول تابعٌ لعلّته وجوداً وسعةً أيضاً.

---

(١) مصباح السالكين للبحراني ٥٩.

(٢) الحكمة المتعالية للملا صدرا ٦: ١٣٩.

(٣) حدائق الحقائق للكيذري ١: ١٢١.

(٤) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٣.

قال (عليه السلام):«وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ».

المقام الأوّل: الفرق بين الكمال والتمام

إدّعى القطب الراوندي بمفرده – حيث لم أجد من تعرّض لهذا المطلب من الشرّاح – أنّ الكمال مصدر كمل، أي: تمّ.

وقال: والكمال أبلغ من التمام[1].

اذن، هناك دعويان يراد اثباتهما:

١- إنّ الكمال بمعنى تمّ.

٢- إنّ استعماله للكمال أبلغ من استعماله – فيما لو أراد (عليه السلام) – التمام.

وإذا أردنا اثبات ذلك فعلينا بمراجعة اللغويين.

قال الخليل: الكمال: التمام الذي يجرأ منه أجزاءه، تقول: لك نصفه وبعضه وكماله[2].

وقال ابن منظور نفس قول الخليل بحروفه.

وقبل ذلك قال ابن منظور: وتتمّة كلّ شيءٍ ما يكون تمام غايته كقولك هذه الدراهم تمام هذه المائة وتتمّة هذه المائة، والتمّ الشيء التامّ[3].

وأيضاً تابع الخليلَ القائل: وتتمّة كلّ شيءٍ ما يكون تماماً لغايته كقولك: هذه الدراهم تمام هذه المائة وتتمّة هذه المائة[4].

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٤٤.

(٢) العين للخليل ٣: ١٥٩٤ـ ١٥٩٥.

(٣) لسان العرب لابن منظور ١٢: ١٥٧

(٤) لسان العرب لابن منظور ٢: ٥٢.

وعلى هذا فقد تمّت له الدعوى الأوّلى.

وكيف تتمّ الثانية؟

نقول: من قولهما التمام الذي يجزأ منه أجزاءه.

وهذا يعني أنَّ الجزء يطلق عليه بالتامّ بعد حصوله.

بخلاف الكامل فإنّه مجموع التمام إن صحّ التعبير وجاز.

ومنه يظهر كلام الإمام (عليه السلام) فإنّه لو قال: وتمام معرفة التصديق به لما استطاع أن يكمل قوله وتمام التصديق به توحيده...

ومنه ينقدح تعبير الآية الشريفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1].

إذ عبّر بالكلام وأردفه بالتمام وكان مقصوده والله العالم: اليوم أكملت لكم فرائضكم وما تحتاجونه في أمر دنياكم ودينكم، وأتممت عليكم نعمتي وهي الولاية لعليٍّ.

قد يقال: على هذا كيف تكون الولاية جزءاً من قبال الأجزاء الأخرى ونحن نعلم أنَّها من الأصول وغيرها ممّا ذكرتَ من الفروع؟

فإنَّه يجاب: ليس المراد ذلك، إذ الولاية لا يمكن أنْ تكون جزءاً والصلاة جزءاً، إنّما المراد كونها جزءاً من الشهادتين أعني أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله.

وبهذا تعرف حقيقة الإيمان وأنّه لا يمكن منكره أن يكون مؤمناً بالله وبرسوله.

وهذا غير الفرائض المعهودة.

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

ولهذا أفردها النبيّ بالذكر فجعلها معه في قبال تلك، فاغتنم.

المقام الثاني: التَّصْدِيقُ بِهِ

قال الصدر الأعظم: وكمال معرفته التصديق به، وذلك لأنَّ من عرف معنى واجب الوجود أنّه الوجود المتأكّد الذي لا أتمّ منه الذي يفتقر إليه الممكنات والوجودات الناقصة الذوات المصحوبة للنقائص والأعدام والقصورات، فقد عرف: أنْ لابدَّ أنْ يكون في الوجود موجودٌ واجب الوجود، وإلّا لم يوجد موجودٌ في العالم أصلاً.

واللازم باطلٌ بالضرورة فكذا الملزوم...[1]

وأمّا الشارح المعتزلي فقد قال: فلأنَّ معرفته قد تكون ناقصةً، وقد تكون غير ناقصةٍ، فالمعرفة الناقصة هي المعرفة بأنَّ للعالم صانعاً غير العالم، وذلك باعتبار أنَّ الممكن لابدَّ له من مؤثّرٍ.

فمن علم هذا فقط علم الله تعالى ولكن علماً ناقصاً، وأمّا المعرفة التي ليست ناقصة فأن تعلم أنَّ ذلك المؤثّر خارج عن سلسلة الممكنات، والخارج عن كلّ الممكنات ليس بممكنٍ، وما ليس بممكنٍ فهو واجب الوجود؛ فمن علم أنَّ للعالم مؤثّراً واجب الوجود فقد عرفه عرفاناً أكمل من عرفان أنَّ للعالم مؤثّراً فقط؛ وهذا الأمر الزائد هو المكنّى عنه بالتصديق به؛ لأنّ أخصّ ما يمتاز به البارئ عن مخلوقاته هو وجوب الوجود[2].

وقد تابع الخوئي المعتزلي بما يقرب من ألفاظه[3].

---

(١) الحكمة المتعالية للملا صدرا ٦: ١٣٩.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٣.

(٣) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٢٠.

هذا، وواضحٌ أنّهم بنوا على ذلك لاعتقادهم أنَّ جملة «**أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ**» كما سمعت المراد منها المعرفة التصديقيّة ولو التزاماً الذي يدل على كون الملزوم تصديقاً خلافاً لرأينا وقد حرّرناه.

ولذا نجد من الصعوبة الانتقال معهم إلى ما فهموه.

وعليه: أنّه أشار (عليه السلام) إلى التصديق بوجوده بعد تصوّر معرفته ومن هنا ينفتح البحث إلى كونه واجباً وإلى كون وجوده بنحو أي اشتراك وهكذا.

فيكون قوله (عليه السلام) بمثابة الجواب عن هل البسيطة وبعده تنفتح الآفاق لهل المركبة.

نعم، هنا ثغرةٌ لابدّ من علاجها أو التنزل عنها، وهي: أنَّ المتفرّع على وجوده يبقى مدلولاً بلا دالّ عليه.

وهذه المشكلة إنّما ترد علينا جميعاً وإن اختلفت مفرداتها.

فعندئذٍ نستطيع أن نقول: لم يرد (عليه السلام) من ذلك إلّا التصديق بكونه موجوداً.

ونفي الصفات عنه واثبات توحيده والإخلاص له سيتكفّل بها باقي كلامه (عليه السلام).

هذا كلّه على غير رأي الصدر الأعظم فإنّه لم يبن على كون المعرفة تصديقيّة، وبالرغم من ذلك قال مقالته التي لا نوافقه على شطرٍ منها وهو كونه واجب الوجود إذ تقدّم منا أنَّ اللفظ لا يفيده بل يفيد ما قاله مؤخّراً: أنَّ الصورة العلميّة في الوجود لابدَّ وأن يكون نفس حقيقته المعلومة بخلاف ساير المهيات...[1].

(١) الحكمة المتعاليّة ١: ١٣٧.

قال (عليه السلام): «وَ كَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ».

المقام الأوّل: ثبت وأثبت

قال القطب الراوندي: (وحدت الشيء) أي: قلت أنّه واحدٌ أو علمت، لقولهم: أثبت الشيء إذا قلت بثبوته[1].

وقد يقال أنّه أخطأ، إذ المصدر من أثبت إثباتاً، كما أنَّ ثبوته هو مصدر ثبت.

وقد خلط القطب الراوندي بين الأمرين.

هذا، والحقّ هو ما أفاده القطب، إذ لم يوجد في العربيّة إلّا الفعل ثبت وإذا أردت تعديته عديته بتضعيف عينه أو بهمزة التعديّة فتقول: ثبت الشيء فهو ثابتٌ، وثبّت الشيء وأثبته.

ولهذا لما أراد أن يعدّي ما ثبت لزومه أضاف للفعل الهمزة.

ومنه يظهر التواضع للفلاسفة وغيرهم فإنَّهم عبّروا بالواسطة في الإثبات وأرادوا معنى وعبّروا بالواسطة بالثبوت وأرادوا معنى آخر.

والمراد من الواسطة في الإثبات هو الحدّ الأوسط الموجب لإذعان النفس بثبوت الأكبر للأصغر.

وبتعبير آخر: انَّ الواسطة في الإثبات هو ما يكشف عن ثبوت شيء لشيء أو قل هو ما يكشف عن ثبوت المحمول للموضوع، فعندما يكون لنا مجهول تصديقي وهو فناء زيد إذ لا ندري انَّه يفنى أو لا، فيمكن تشكيل هذا القياس للخروج منه بمعلوم تصديقي:

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٤٤.

إنَّ زيداً إنسانٌ.

وكلّ إنسانٍ فانٍ.

إذن: زيدٌ فانٍ.

تلاحظون أنَّ هذه النتيجة والتي هي ثبوت الحدّ الأكبر (الفناء) للحدّ الأصغر (زيد) تمَّ بواسطة الحدّ الأوسط وهو الإنسان فهو الذي كشف لنا عن فناء زيد، ولهذا كان الحدّ الأوسط هو الواسطة في الإثبات أي هو السبب الذي انكشف عنه ثبوت المحمول للموضوع.

ثمّ انَّ الواسطة في الإثبات قد تكون علّة حقيقيّة لثبوت المحمول للموضوع والتي هي الواسطة في الثبوت، وحينئذٍ تكون الواسطة في الثبوت هي الواسطة في الإثبات، فهي واسطة في الثبوت من جهة أنَّها العلّة الموجبة لثبوت المحمول للموضوع، وهي واسطة في الإثبات من جهة أنَّها الكاشفة عن ثبوت المحمول للموضوع، وهذه الحالة التي تجتمع فيها الحيثيّتان يُعبَّر عنها بالبرهان اللمِّي.

إلاّ أنَّه لا تكون الواسطة في الثبوت واسطة في الإثبات إلاّ في الحالة التي يدرك فيها العقل العليّة بالإضافة إلى احراز وجود العلّة، وحينئذٍ تكون الواسطة في الثبوت واسطة في الإثبات، أي أنَّه يمكن الانتقال من العلّة إلى المعلول المعبَّر عنه بالبرهان اللمِّي.

وقد لا تكون الواسطة في الإثبات علّة بل تكون معلولاً ينكشف باحرازه وجود العلّة أو ينكشف باحرازه معلول آخر لعلّة ثالثة، وهذه الحالة بقسميها يعبَّر عنها بالبرهان الإنّي.

ومثال القسم الأوّل: احراز وجود الحرارة فإنَّه يكشف عن وجود النار، وهنا

صار المعلول طريقاً لإحراز العلّة.

ومثال القسم الثاني: إحراز الاحتراق فإنَّه يوجب إحراز وجود الحرارة وكلٌّ من الاحتراق والحرارة معلولان لعلّة ثالثة هي النار راجع عنوان (البرهان اللمّي والبرهان الإنّي)[١].

والواسطة في الثبوت: المراد من الواسطة في الثبوت هو العلّة الموجبة لثبوت شيء لشيء خارجاً أو قل هي العلّة لعروض المحمول لموضوعه، والمقصود من العلّة هو الأعمّ من العلّة الفاعليّة والعلّة الغائيّة.

ومثاله: ثبوت الحرارة للماء فإنَّ الواسطة في ذلك هي النار ولهذا تكون النار واسطة في الثبوت، لأنَّها هي علّة عروض الحرارة للماء.

ثمّ أنَّه قد تكون العليّة بين الشيئين مدركة وقد لا تكون مدركة، وإدراكها وعدم إدراكها لا دخل له في كون العلّة الواقعيّة واسطة في الثبوت، نعم العليّة إذا أدركت وأحرزنا بعد ذلك وجود العلّة أمكن الإنتقال منها إلى احراز المعلول وهذا ما يُعبَّر عنه ببرهان اللم.

فبرهان اللم وإن كان مورده الواسطة في الثبوت والتي هي العلَّة الواقعيّة إلاّ أنَّ ذلك وحده لا يصحّح البرهان اللمِّي بل لابدَّ من أن ينضمّ إلى احراز العلّة الواقعيّة إدراك عليّتها وإلاّ لما أمكن الانتقال منها إلى احراز المعلول، فاحراز المعلول بواسطة احراز العلّة المعبَّر عنه بالبرهان اللمِّي منوط بإدراك العليَّة بينهما.

ومن هنا كان البرهان اللمِّي كالبرهان الإنِّي من جهة أنَّه عبارة عن اثبات الحدّ الأكبر للحدّ الأصغر بواسطة الحدّ الأوسط إلاّ أنَّهما يختلفان من جهة أنَّ الحدّ

---

(١) المعجم الأصولي للبحراني: ٩٦٨.

الأوسط في البرهان اللمِّي هو العلّة الواقعيّة المدركة[١].

المقام الثاني: في توحيده.

بعد أن صدقنا بوجوده تعالى قد يُطرح سؤالٌ:

هل الوجود له كسائر وجود الممكنات؟ إذ الشيء ما لم يجب لم يوجد.

ويجاب: إنَّ الوجودات إمّا واجبة الوجود بالذات، وإمّا واجبة الوجوب بالغير، وبما أنَّ الممكنات واجبة الوجود بالغير الذي هو واجب الوجود، فدلّ ذلك على وجوب الواجب وإمكان الممكن وإلّا لزم التسلسل.

ثُمَّ يطرح السؤال الآتي: لماذا لا نفترض وجود واجبين بالذات؟

ويجاب أيضاً: يلزم من ذلك حاجة كلّ منهما إلى الآخر وعندئذٍ يمتنع أن يكون واجباً، فنعود إلى أنَّ الوجود ممكنٌ ويلزم التسلسل.

فتبيّن من ذلك وحدانيته وهو الذي وعدناك به.

---

(١)المعجم الأصولي للبحراني: ٩٦٩.

قال (عليه السلام): «وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ».

المقام الأوّل: في الإخلاص.

قال الصدر الأعظم: (وكمال توحيده الإخلاص له) يعني الزوائد والثواني إذ لو كان في الوجود غيره سواء كان صفةً أو شيئاً آخر لم يكن بسيطاً حقيقياً لما مرّ سابقاً أنَّ بسيط الحقيقة لا يسلب عن ذاته ما هو كمالٌ وجوديٌّ الّا النقائص والاعدام، إذ جهة سلب الوجود غير جهة ثبوت الوجود، فلو سلبت عن ذاته حقيقةً وجوديّةً يلزم التركيب في ذاته مع أنَّه بسيط الذات، هذا خلفٌ[1].

لكنّ مع كون كلامه تامّاً جدّاً إلّا أنّه لم يتعرّض لشرح كلمة الإخلاص المراد شرحها مع شرح كمال التوحيد، وهذا واضحٌ من ابتداء كلامه هنا إلى انتهاءه.

المقام الثاني في الإخلاص أيضاً.

قال الأعلام في شرح قوله (عليه السلام):

في العبادة لأنَّ من وحده من الإيجاد ولكن جعل له شريكاً في العبادة كالوثنية الذين قالوا في أوثانهم: (ما نعبدهم الّا ليقربونا الى الله زلفى) توحيده غير كامل[2].

وقال الراوندي: والإخلاص أن يفرد الانسان المعبود بعبادته لا يشرك فيها

(١) الحكمة المتعالية للملا صدرا ١: ١٤٠.

(٢) بهج الصباغة للتستري ١: ١٥٧.

غيره[١].

وقال الكيذري: قيل: الإخلاص أن يغيب عن نفسه فيلحظ جناب القدس فقط، وان لحظ نفسه فمن هي حيث لاحظةٌ.

قال الوبري: يدخل في الإخلاص العلم، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، كما ذكر تعالى في قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

وقيل: الإخلاص في العمل أن يكون المتقاضي في النية للعمل الصالح واحداً كأن يصوم مثلاً وغرضه الثواب، فإن كان غرضه الثواب وحفظ الصحّة أو قلّة [المؤنة] المئونة فهذا خارجٌ عن الإخلاص[٢].

ويمكن أن يلاحظ على الجميع أنَّ الإخلاص الذين تكلّموا عنه حقٌّ ولكن ليس مراداً للإمام (عليه السلام)، بقرينة قوله بعد «**وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَ كَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ**... إلخ.

إضافة إلى إشكالاتٍ أخرى على أقوالهم لا نفرد لها ذكراً.

نعم، يبقى ما نسبه الكيذري إلى القيل وجيهاً لولا ذكره ما يجب تأخيره أوّلاً ثمّ تقدّيم ما أخرّه إذ الفناء بعد اللقاء لا قبله.

والأمر فيه سهلٌ.

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٤٤.

(٢) حدائق الحقائق ١: ١٢١.

قال (عليه السلام): «وَ كَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَ شَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ».

المقام الأوّل: هل له تعالى صفة أم لا؟

قال القطب الراوندي في كلامٍ طويلٍ: فقال بعضهم: المراد من عرف أنّ له صانعاً وعرف أنَّه قادرٌ عالمٌ وحيٌّ ولا يكمل له هذا حتى يعلم أنّه قادرٌ لا بقدرةٍ، عالمٌ بلا علمٍ، حيٌّ لا بحياةٍ.

يعني لا يكون كامل الإخلاص حتّى يصف الله بتلك الأوصاف لا على الوجه الحاصل [للواحد منا، بل يقول: إنَّ تلك الصفات له تعالى واجبةٌ ولو كانت معنويّة] لكانت جائزةً كما للواحد منّا، فينبغي أن ينفي عنه هذه الصفات على هذه الوجوه لنا.

والأشعري وكل من يثبت لله قدرةً وعلماً وحياةً وغيرها من المعاني ويقولون إنَّها قديمةٌ يلزمهم أن تكون تلك المعاني كلّها مثل القديم تعالى.

وإذا قال هؤلاء من أصحابنا: أنَّ كونه تعالى قادراً عالماً [حيّاً] [أنَّ الله تعالى قادرٌ عالمٌ حيٌّ] صفات واجبة، فما ذكرناه في قوله: (وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه) إمّا أن يكون على سبيل الاستعارة والمجاز على ما حكيناه.

وإمّا أن يكون على جهة التحقيق بعد تجوّزٍ، وهو أن يكون المراد بالصفات المعاني من القدرة والعلم والحياة، فإنَّ هذه المعاني إذا وجدت توجب صفاتها البتة على كلّ حالٍ.

ولمّا لم تنفصل تلك العلل من معلولاتها جاز أن يقوم مقامها كما تذكر المسببات وتقام مقام الأسباب وعلى عكس ذلك.

وجميعه حسنٌ في العربيّة لا مانع منه، سيمّا إذا اقترن به أدلّةٌ عقليّةٌ.

والذي يؤكّد هذا التأويل ما أورده الشيخ المفيد في كتاب (الإرشاد) برواية أخرى عن عليٍّ (عليه السلام) أنّه قال: «أَوَّلُ عِبَادَةِ اللَّهِ مَعْرِفَتُهُ وَ أَصْلُ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ وَ نِظَامُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ التَّشْبِيهِ عَنْهُ جَلَّ عَنْ أَنْ تَحُلَّهُ الصِّفَاتُ لِشَهَادَةِ الْعُقُولِ أَنَّ كُلَّ مَنْ حَلَّتْهُ الصِّفَاتُ مَصْنُوعٌ وَ شَهَادَةِ الْعُقُولِ أَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ صَانِعٌ لَيْسَ بِمَصْنُوعٍ بِصُنْعِ اللَّهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ وَ بِالْعُقُولِ تُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ وَ بِالنَّظَرِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ جَعَلَ الْخَلْقَ دَلِيلًا عَلَيْهِ فَكَشَفَ بِهِ عَنْ رُبُوبِيَّتِهِ هُوَ الْوَاحِدُ الْفَرْدُ فِي أَزَلِيَّتِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ وَ لَا نِدَّ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ بِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ عُلِمَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ الْمُقْتَرِنَةِ عُلِمَ أَنْ لَا قَرِينَ لَه».

فهذه الرواية تصحّح ما ذكرناه وما نذكره من بعد.

وقال أكثر أصحابنا: المراد بنفي الصفات عنه وإن أطلق اطلاقاً صفات المخلوقين على التخصيص، كما ذكره في آخر هذه الخطبة في وصف الملائكة أنّهم لا يجرون على الله صفات المصنوعين.

وذلك لأنّه (عليه السلام) أثبت الصفة لله في أوّل الخطبة بقوله: (ليس لصفته حدٌّ محدودٌ) على ما تقتضي أدلّة العقول.

فإنّ صفات العظمة لا تنفى عنه، وإنّما يجب نفي الصفات عنه، وكيف يجوز أن يقال: إنّه لا يوصف بكونه قادراً عالماً وقد نطق القرآن بذلك فضلاً عن الدلائل العقليّة، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿وهُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

فلمّا أثبت له تعالى الصفة أوّلاً وقال ههنا (وكمال الإخلاص نفي الصفات

تعنه) علمنا أنَّ إثباته في الأوّل على وجهٍ ونفيه ثانياً على وجهٍ آخر، إذ لا يجوز أن يتناقض كلام مثله.

ومعنى ذلك: إنَّ كمال الإخلاص لله تعالى نفي صفات مصنوعاته عنه.

وقال بعض أصحابنا ممّن يختار طريقه أبي الحسن البصري: إنَّ لله ذاتٌ مخصوصة ليس له صفات، وإنّما يخالف غيره بذاته المتميّزة (من غيرها) لأنّه لو تميّزت بصفةٍ مميزةٍ لوجب في تلك الصفة أن تتميز من سائر الأحكام بحكمٍ آخر حتّى تؤدّي أيضاً إلى ما لا يتناهى.

فإذا تخالف ذات الله غيره بنفسها ولا حاجة إلى اثبات صفة له تعالى.

قالوا: وذلك هو التوحيد، وكمال الإخلاص نفي الصفات عنه تعالى كلّها على العموم.

وتعليله (عليه السلام) نفي صفات المصنوعين عنه لشهادة كلّ صفةٍ أنّها غير الموصوف، معناه: أنَّ الفعل في الشاهد لا يشابه الفاعل، والفاعل غير الفعل، لأنَّ ما يوصف به الغير إنّما هو الفعل أو معنى الفعل، كالضرب والفهم فإنَّ الفهم والضرب كلاهما فعلٌ والموصوف بهما فاعلٌ.

والدليل لا يختلف شاهداً وغائباً، فإذا كان الله قديماً، وهذه الأجسام محدثةٌ كانت معدومةٌ ثُمَّ وجدت، يدلّ على أنَّها غير الموصوف بأنّه خالقها ومدبرها[(١)]، انتهى موضع الحاجة من كلامه.

ثُمَّ قال المعتزلي: ولقائلٍ أن يقول: لو أراد نفيَ صفات المخلوقين عنه لم يستدلّ على ذلك بدليل الغيريّة، وهو قوله: (لشهادة كل صفة أنها غيرُ الموصوف)،

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٤٥-٤٩.

لأنَّ هذا الاستدلال لا ينطبق على دَعْوَى أنه غير موصوف بصفات المخلوقين، بل كان ينبغي أن يستدلّ بأن صفات المخلوقين من لوازم الجسمية والعَرَضيّة، والبارئ ليس بجسم ولا عَرَض، ونحن قد بيّنا أنَّ مراده (عليه السلام) إبطال القول بالمعاني القديمة، وهي المسمّاة بالصفات في الاصطلاح القديم، ولهذا يسمَّى أصحاب المعاني بالصفاتية. فأمّا كونه قادراً وعالماً فأصحابها أصحاب الأحوال، وقد بيّنا أنَّ مراده (عليه السلام) بقوله: (ليس لصفته حدّ محدود)، أي لكنهه وحقيقته، وأما كون الملائكة لا تصف البارئ بصفات المصنوعين فلا يقتضي أن يُحْمَلَ كل موضوع فيه ذكر الصفات على صفات المصنوعين، لأجل تقييد ذلك في ذكر الملائكة، وأين هذا من باب حمل المطلق على المقيّد! لاسيّما وقد ثبت أنَّ التعليل والاستدلال يقضي ألا يكون المراد صفات المخلوقين[1].

هذا، والحقَّ أنَّ كلامه (عليه السلام) أوّلاً عندما قال: ليس لصفته حدٌّ محدودٌ أراد فيه إثبات الصفة أو الصفات الذاتيّة التي قال فيها بعدم حدّها وأنّها موجودةٌ بوجود الذات.

وهنا أراد أن ينفي كلّ صفة غير موجودة بوجود الذات.

فالصفات التي أثبتها له تعالى غير الصفات التي نفاها عنه (جلّ جلاله) ومنه يظهر ضعف ما عن الراوندي لصيرورته إلى مقام التعارض وكأنّ الإمام (عليه السلام) يتكلّم عن الصفات المتداخلة الأفراد، وقد بيّنا أنَّهما متباينان صدقاً.

علاوةً على ذلك فكيف يمكنه الجمع بين الأقوال وأمير المؤمنين (عليه السلام) قال قولاً واحداً.

---

(١) نهج البلاغة للمعتزلي ١: ٦٥.

ومنه يظهر ما على المعتزلي أيضاً حيث لم يستشكل على الراوندي في أصل التعامل مع الأدلّة، إنّما استشكل في كون الملائكة لا تصف البارئ بصفات المصنوعين.

ولنذهب معاً إلى القول الحقيق الذي أفاده الصدر الأعظم على شرح عبارة المولى أمير المؤمنين (عليه السلام) في المقام الآتي ذكره.

المقام الثاني: مع الملا صدرا (قدّست نفسه الزكية)

أراد به نفي الصفات التي وجودها غير وجود الذات والّا فذاته بذاته مصداق لجميع النعوت الكمالية، والأوصاف الإلهيّة من دون أمرٍ زائدٍ بذاته (تعالى) فرض أنّه صفة كماليّة له، فعلمه وقدرته وأرادته وحيوته وسمعه وبصره كلّها موجودةٌ بوجود ذاته الأحديّة، مع أنَّ مفهوماتها متغائرةٌ ومعانيها متخالفةٌ فإنّ كمال الحقيقة الوجود في جامعيتها للمعاني الكثيرة الكماليّة مع وحدة الوجود[1].

المقام الثالث: في الروايات

فِي خُطْبَةٍ أُخْرَى لَهُ (عليه السلام): «أوَّلُ عِبَادَةِ اَللَّهِ مَعْرِفَتُهُ وَأَصْلُ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ وَنِظَامُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ اَلصِّفَاتِ عَنْهُ جَلَّ أنْ تَحُلَّهُ اَلصِّفَاتُ لِشَهَادَةِ اَلْعُقُولِ أنَّ كُلَّ مَنْ حَلَّتْهُ اَلصِّفَاتُ مَصْنُوعٌ وَشَهَادَةِ اَلْعُقُولِ أنَّهُ جَلَّ جَلاَلُهُ صَانِعٌ لَيْسَ بِمَصْنُوعٍ فصنع (بِصُنْعِ) اَللَّهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ وَبِالْعُقُولِ يُعْقَدُ مَعْرِفَتُهُ وَبِالْفِكْرِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ جَعَلَ اَلْخَلْقَ دَلِيلاً عَلَيْهِ فَكَشَفَ بِهِ عَنْ رُبُوبِيَّتِهِ هُوَ اَلْوَاحِدُ اَلْفَرْدُ فِي أزَلِيَّتِهِ لاَ شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ وَلاَ نِدَّ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ بِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ اَلْأَشْيَاءِ اَلْمُتَضَادَّةِ عُلِمَ أنْ لاَ ضِدَّ لَهُ وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ اَلْأُمُورِ

---

(١) الحكمة المتعالية لملا صدرا ٦: ١٤٠.

اَلْمُقْتَرِنَةِ عُلِمَ أَنْ لاَ قَرِينَ لَهُ»[١].

وفي العيون: «أَنَّ اَلْمَأْمُونَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَسْتَعْمِلَ اَلرِّضَا (عليه السلام) جَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْتَعْمِلَ اَلرِّضَا عَلَى هَذَا اَلْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي فَحَسَدَهُ بَنُو هَاشِمٍ وَقَالُوا تُوَلِّي رَجُلاً جَاهِلاً لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ بِتَدْبِيرِ اَلْخِلاَفَةِ فَابْعَثْ إِلَيْهِ يَأْتِنَا فَتَرَى مِنْ جَهْلِهِ مَا تَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَيْهِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ بَنُو هَاشِمٍ يَا أَبَا اَلْحَسَنِ اِصْعَدِ اَلْمِنْبَرَ وَ اِنْصِبْ لَنَا عَلَماً نَعْبُدُ اَللَّهَ عَلَيْهِ فَصَعِدَ عليه السلام اَلْمِنْبَرَ فَقَعَدَ مَلِيّاً لاَ يَتَكَلَّمُ مُطْرِقاً ثُمَّ اِنْتَفَضَ اِنْتِفَاضَةً وَاِسْتَوَى قَائِماً وَحَمِدَ اَللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ثُمَّ قَالَ أَوَّلُ عِبَادَةِ اَللَّهِ مَعْرِفَتُهُ وَأَصْلُ مَعْرِفَةِ اَللَّهِ تَوْحِيدُهُ وَنِظَامُ تَوْحِيدِ اَللَّهِ نَفْيُ اَلصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ اَلْعُقُولِ أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ مَخْلُوقٌ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّ لَهُ خَالِقاً لَيْسَ بِصِفَةٍ وَلاَ مَوْصُوفٍ وَشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ وَمَوْصُوفٍ بِالاِقْتِرَانِ وَشَهَادَةِ اَلاِقْتِرَانِ بِالْحَدَثِ وَشَهَادَةِ اَلْحَدَثِ بِالاِمْتِنَاعِ مِنَ اَلْأَزَلِ اَلْمُمْتَنِعِ مِنَ اَلْحَدَثِ فَلَيْسَ اَللَّهَ (عَرَفَ) مَنْ عَرَفَ بِالتَّشْبِيهِ ذَاتَهُ وَ لاَ إِيَّاهُ وَحَّدَ مَن اِكْتَنَهَهُ وَ لاَ حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ وَلاَ بِهِ صَدَّقَ مَنْ نَهَّاهُ وَلاَ صَمَدَ صَمْدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَلاَ إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ وَلاَ لَهُ تَذَلَّلَ مَنْ بَعَّضَهُ وَ لاَ إِيَّاهُ أَرَادَ مَنْ تَوَهَّمَهُ كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ بِصُنْعِ اَللَّهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ وَبِالْعُقُولِ تُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ وَبِالْفِطْرَةِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ خِلْقَةُ اَللَّهِ اَلْخَلْقَ حِجَابٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَمُبَايَنَتُهُ إِيَّاهُمْ مُفَارَقَتُهُ أَيْنِيَّتَهُمْ وَ اِبْتِدَاؤُهُ إِيَّاهُمْ دَلِيلُهُمْ عَلَى أَنْ لاَ اِبْتِدَاءَ لَهُ لِعَجْزِ كُلِّ مُبْتَدَإٍ عَن اِبْتِدَاءِ غَيْرِهِ وَأَدْوُهُ إِيَّاهُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لاَ أَدَاةَ فِيهِ لِشَهَادَةِ اَلْأَدَوَاتِ بِفَاقَةِ المادّين (اَلْمُؤَدِّينَ) فَأَسْمَاؤُهُ تَعْبِيرٌ وَأَفْعَالُهُ تَفْهِيمٌ وَذَاتُهُ حَقِيقَةٌ وَكُنْهُهُ تَفْرِيقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ وَغُيُورُهُ تَحْدِيدٌ لِمَا سِوَاهُ فَقَدْ جَهِلَ اَللَّهَ مَن اِسْتَوْصَفَهُ وَ قَدْ تَعَدَّاهُ مَن اِشْتَمَلَهُ وَقَدْ

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٤: ٢٥٣.

أَخْطَأَهُ مَن إِكْتَنَهَهُ وَمَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدْ شَبَّهَهُ وَمَنْ قَالَ لِمَ فَقَدْ عَلَّهُ وَمَنْ قَالَ مَتَى فَقَدْ وَقَّتَهُ وَمَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَمَنْ قَالَ إِلَامَ فَقَدْ نَهَّاهُ وَمَنْ قَالَ حَتَّامَ فَقَدْ غَيَّاهُ وَمَنْ غَيَّاهُ فَقَدْ غَايَاهُ وَمَنْ غَايَاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ وَصَفَهُ وَمَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ أَلْحَدَ فِيهِ لَا يَتَغَيَّرُ اللَّهُ بِانْغِيَارِ الْمَخْلُوقِ كَمَا لَا يَنْحَدُّ بِتَحْدِيدِ الْمَحْدُودِ أَحَدٌ لَا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ ظَاهِرٌ لَا بِتَأْوِيلِ الْمُبَاشَرَةِ مُتَجَلٍّ لَا بِاسْتِهْلَالِ رُؤْيَةٍ بَاطِنٌ لَا بِمُزَايَلَةٍ مُبَايِنٌ لَا بِمَسَافَةٍ قَرِيبٌ لَا بِمُدَانَاةٍ لَطِيفٌ لَا بِتَجَسُّمٍ مَوْجُودٌ لَا بَعْدَ عَدَمٍ فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَارٍ مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ مُدَبِّرٌ لَا بِحَرَكَةٍ مُرِيدٌ لَا بِهَمَامَةٍ شَاءٍ لَا بِهِمَّةٍ مُدْرِكٌ لَا بِمَجَسَّةٍ سَمِيعٌ لَا بِآلَةٍ بَصِيرٌ لَا بِأَدَاةٍ لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وَلَا تَضَمَّنُهُ الْأَمَاكِنُ وَلَا تَأْخُذُهُ السِّنَاتُ وَلَا تَحُدُّهُ الصِّفَاتُ وَلَا تُفِيدُهُ الْأَدَوَاتُ سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ وَالِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ وَبِتَجْهِيرِهِ الْجَوَاهِرَ عُرِفَ أَنْ لَا جَوْهَرَ لَهُ وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ وَالْجَلَايَةَ بِالْبُهَمِ وَالْجُسُوءَ بِالْبَلَلِ وَالصَّرْدَ بِالْحَرُورِ مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا دَالَّةً بِتَفْرِيقِهَا عَلَى مُفَرِّقِهَا وَبِتَأْلِيفِهَا عَلَى مُؤَلِّفِهَا ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَفَرَّقَ بِهَا بَيْنَ قَبْلٍ وَبَعْدٍ لِيُعْلَمَ أَلَّا قَبْلَ لَهُ وَلَا بَعْدَ شَاهِدَةً بِغَرَائِزِهَا أَلَّا غَرِيزَةَ لِمُغْرِزِهَا دَالَّةً بِتَفَاوُتِهَا أَلَّا تَفَاوُتَ لِمُفَاوِتِهَا مُخْبِرَةً بِتَوْقِيتِهَا أَلَّا وَقْتَ لِمُوَقِّتِهَا حَجَبَ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ لِيُعْلَمَ أَلَّا حِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مِنْ غَيْرِهَا لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ وَحَقِيقَةُ الْإِلَهِيَّةِ إِذْ لَا مَأْلُوهٌ وَمَعْنَى الْعَالِمِ وَلَا مَعْلُومٌ وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقٌ وَتَأْوِيلُ السَّمْعِ وَلَا مَسْمُوعٌ لَيْسَ مُذْ خَلَقَ اسْتَحَقَّ مَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرَايَا اسْتَفَادَ مَعْنَى الْبَارِئِيَّةِ كَيْفَ وَلَا تُغَيِّبُهُ مُذْ وَلَا تُدْنِيهِ قَدْ وَلَا يَحْجُبُهُ لَعَلَّ وَلَا يُوَقِّتُهُ مَتَى وَلَا يَشْتَمِلُهُ حِينٌ وَلَا تُقَارِنُهُ مَعَ إِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ

أَنْفُسَهَا وَ تُشِيرُ اَلْآلَةُ إِلَى نَظَائِرِهَا وَ فِي اَلْأَشْيَاءِ يُوجَدُ أَفْعَالُهَا مَنَعَتْهَا مُذُ اَلْقِدْمَةَ وَ حَمَتْهَا قَدُ اَلْأَزَلِيَّةَ وَ جَنَّبَتْهَا لَوْلاَ اَلتَّكْمِلَةَ اِفْتَرَقَتْ فَدَلَّتْ عَلَى مُفَرِّقِهَا وَ تَبَايَنَتْ فَأَعْرَبَتْ عَنْ مُبَايِنِهَا بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ وَ بِهَا اِحْتَجَبَ عَنِ اَلرُّؤْيَةِ وَ إِلَيْهَا تَحَاكَمَ اَلْأَوْهَامُ وَ فِيهَا أُثْبِتَ غَيْرُهُ وَ مِنْهَا أُنِيطَ اَلدَّلِيلُ وَ بِهَا عَرَّفَهَا اَلْإِقْرَارَ بِالْعُقُولِ يُعْتَقَدُ اَلتَّصْدِيقُ بِاللَّهِ وَ بِالْإِقْرَارِ يَكْمُلُ اَلْإِيمَانُ بِهِ لاَ دِيَانَةَ إِلاَّ بَعْدَ مَعْرِفَةٍ وَ لاَ مَعْرِفَةَ إِلاَّ بِإِخْلاَصٍ وَ لاَ إِخْلاَص مَعَ اَلتَّشْبِيهِ وَ لاَ نَفْيَ مَعَ إِثْبَاتِ اَلصِّفَاتِ لِلتَّشْبِيهِ فَكُلُّ مَا فِي اَلْخَلْقِ لاَ يُوجَدُ فِي خَالِقِهِ وَ كُلُّ مَا يُمْكِنُ فِيهِ يَمْتَنِعُ فِي صَانِعِهِ لاَ تجْرِي عَلَيْهِ اَلْحَرَكَةُ وَ اَلسُّكُونُ وَ كَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ أَوْ يَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ اِبْتَدَأَهُ إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ وَ لَتجَزَّأَ كُنْهُهُ وَ لاَمْتَنَعَ مِنَ اَلْأَزَلِ مَعْنَاهُ وَ لَمَا كَانَ لِلْبَارِئِ مَعْنًى غَيْرُ اَلْمَبْرُوءِ وَ لَوْ حُدَّ لَهُ وَرَاءٌ إِذاً حُدَّ لَهُ أَمَامٌ وَ لَو اُلْتُمِسَ لَهُ اَلتَّمَامُ إِذاً لَزِمَهُ اَلنُّقْصَانُ كَيْفَ يَسْتَحِقُّ اَلْأَزَلَ مَنْ لاَ يَمْتَنِعُ مِنَ اَلْحَدَثِ وَ كَيْفَ يُنْشِئُ اَلْأَشْيَاءَ مَنْ لاَ يَمْتَنِعُ مِنَ اَلْإِنْشَاءِ إِذاً لَقَامَتْ فِيهِ آيَةُ اَلْمَصْنُوعِ وَ لَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ مَا كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ لَيْسَ فِي مُحَالِ اَلْقَوْلِ حُجَّةٌ وَ لاَ فِي اَلْمَسْأَلَةِ عَنْهُ جَوَابٌ وَ لاَ فِي مَعْنَاهُ لَهُ تَعْظِيمٌ وَ لاَ فِي إِبَانَتِهِ عَنِ اَلْخَلْقِ ضَيْمٌ إِلاَّ بِامْتِنَاعِ اَلْأَزَلِيِّ أَنْ يُثَنَّى وَ مَا لاَ بَدْأَ لَهُ أَنْ يُبْدَأَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللَّهُ اَلْعَلِيُّ اَلْعَظِيمُ كَذَبَ اَلْعَادِلُونَ بِاللَّهِ وَ ضَلُّوا ضَلاَلاً بَعِيداً وَ خَسِرُوا خُسْرَاناً مُبِيناً وَ صَلَّى اَللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ اَلطَّاهِرِينَ»(١)

وعَنِ اَلْحُسَيْن بْن عَلِيٍّ (عليه السلام) قَالَ: «كُنَّا جُلُوساً فِي اَلْمَسْجِدِ إِذْ صَعِدَ اَلْمُؤَذِّنُ اَلْمَنَارَةَ فَقَالَ اَللَّهُ أَكْبَرُ اَللَّهُ أَكْبَرُ فَبَكَى أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَبَكَيْنَا بِبُكَائِهِ فَلَمَّا فَرَغَ اَلْمُؤَذِّنُ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ اَلْمُؤَذِّنُ قُلْنَا اَللَّهُ وَرَسُولُهُ وَوَصِيُّهُ أَعْلَمُ فَقَالَ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا يَقُولُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً فَلِقَوْلِهِ اَللَّهُ أَكْبَرُ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ

---

(١) عيون أخبار الرضا ١: ١٤٨.

مِنْهَا أَنَّ قَوْلَ ٱلْمُؤَذِّنِ ٱللَّهُ أَكْبَرُ يَقَعُ عَلَى قِدَمِهِ وَأَزَلِيَّتِهِ وَ أَبَدِيَّتِهِ وَ عِلْمِهِ وَقُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ وَعَطَائِهِ وَكِبْرِيَائِهِ فَإِذَا قَالَ ٱلْمُؤَذِّنُ ٱللَّهُ أَكْبَرُ فَإِنَّهُ يَقُولُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ وَ بِمَشِيَّتِهِ كَانَ ٱلْخَلْقُ وَمِنْهُ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ لِلْخَلْقِ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ ٱلْخَلْقُ وَهُوَ ٱلْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَزَلْ وَٱلآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ يَزَالُ وَٱلظَّاهِرُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ يُدْرَكُ وَ ٱلْبَاطِنُ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ يُحَدُّ فَهُوَ ٱلْبَاقِي وَكُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ فَانٍ وَٱلْمَعْنَى ٱلثَّانِي ٱللَّهُ أَكْبَرُ أَيِ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ عَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ وَٱلثَّالِثُ ٱللَّهُ أَكْبَرُ أَيِ ٱلْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَقْدِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ ٱلْقَوِيُّ لِقُدْرَتِهِ ٱلْمُقْتَدِرُ عَلَى خَلْقِهِ ٱلْقَوِيُّ لِذَاتِهِ وَقُدْرَتُهُ قَائِمَةٌ عَلَى ٱلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَٱلرَّابِعُ ٱللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى مَعْنَى حِلْمِهِ وَكَرَمِهِ يَحْلُمُ كَأَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ وَيَصْفَحُ كَأَنَّهُ لاَ يَرَى وَيَسْتُرُ كَأَنَّهُ لاَ يُعْصَى لاَ يُعَجِّلُ بِالْعُقُوبَةِ كَرَماً وَصَفْحاً وَحِلْماً وَٱلْوَجْهُ ٱلآخَرُ فِي مَعْنَى ٱللَّهُ أَكْبَرُ أَيِ ٱلْجَوَادُ جَزِيلُ ٱلْعَطَاءِ كَرِيمُ ٱلْفَعَالِ وَ ٱلْوَجْهُ ٱلآخَرُ ٱللَّهُ أَكْبَرُ فِيهِ نَفْيُ كَيْفِيَّتِهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ ٱللَّهُ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُدْرِكَ ٱلْوَاصِفُونَ قَدْرَ صِفَتِهِ ٱلَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ وَ إِنَّمَا يَصِفُهُ ٱلْوَاصِفُونَ عَلَى قَدْرِهِمْ لاَ عَلَى قَدْرِ عَظَمَتِهِ وَجَلاَلِهِ تَعَالَى ٱللَّهُ عَنْ أَنْ يُدْرِكَ ٱلْوَاصِفُونَ صِفَتَهُ عُلُوّاً كَبِيراً وَ ٱلْوَجْهُ ٱلآخَرُ ٱللَّهُ أَكْبَرُ كَأَنَّهُ يَقُولُ ٱللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ وَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ عَنْ عِبَادِهِ لاَ حَاجَةَ بِهِ إِلَى أَعْمَالِ خَلْقِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ ٱللَّهُ فَإِعْلاَمٌ بِأَنَّ ٱلشَّهَادَةَ لاَ تَجُوزُ إِلاَّ بِمَعْرِفَةٍ مِنَ ٱلْقَلْبِ كَأَنَّهُ يَقُولُ أَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ مَعْبُودَ إِلاَّ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّ كُلَّ مَعْبُودٍ بَاطِلٌ سِوَى ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ أُقِرُّ بِلِسَانِي بِمَا فِي قَلْبِي مِنَ ٱلْعِلْمِ بِأَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّهُ لاَ مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ وَلاَ مَنْجَى مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ وَفِتْنَةِ كُلِّ ذِي فِتْنَةٍ إِلاَّ بِاللَّهِ وَ فِي ٱلْمَرَّةِ ٱلثَّانِيَةِ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ ٱللَّهُ مَعْنَاهُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ هَادِيَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَلاَ دَلِيلَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَأُشْهِدُ ٱللَّهَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ ٱللَّهُ

وَأُشْهِدُ سُكَّانَ اَلسَّمَاوَاتِ وَ سُكَّانَ اَلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ مِنَ اَلْمَلاَئِكَةِ وَ اَلنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَمَا فِيهِنَّ مِنَ اَلْجِبَالِ وَ اَلْأَشْجَارِ وَاَلدَّوَابِّ وَ اَلْوُحُوشِ وَكُلِّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ خَالِقَ إِلاَّ اَللَّهُ وَلاَ رَزَّاقَ وَلاَ مَعْبُودَ وَلاَ ضَارَّ وَلاَ نَافِعَ وَلاَ قَابِضَ وَلاَ بَاسِطَ وَلاَ مُعْطِيَ وَلاَ مَانِعَ وَلاَ دَافِعَ وَلاَ نَاصِحَ وَلاَ كَافِيَ وَلاَ شَافِيَ وَلاَ مُقَدِّمَ وَلاَ مُؤَخِّرَ إِلاَّ اَللَّهُ لَهُ اَلْخَلْقُ وَاَلْأَمْرُ وَ بِيَدِهِ اَلْخَيْرُ كُلُّهُ تَبَارَكَ اَللَّهُ رَبُّ اَلْعَالَمِينَ وَأَمَّا قَوْلُهُ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اَللَّهِ يَقُولُ أُشْهِدُ اَللَّهَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ نَبِيُّهُ وَصَفِيُّهُ وَنَجِيبُهُ أَرْسَلَهُ إِلَى كَافَّةِ اَلنَّاسِ أَجْمَعِينَ بِالْهُدىٰ وَدِينِ اَلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى اَلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ اَلْمُشْرِكُونَ وَ أُشْهِدُ مَنْ فِي اَلسَّمَاوَاتِ وَاَلْأَرْضِ مِنَ اَلنَّبِيِّينَ وَ اَلْمُرْسَلِينَ وَاَلْمَلاَئِكَةِ وَاَلنَّاسِ أَجْمَعِينَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اَللَّهِ صلى الله عليه وآله سَيِّدُ اَلْأَوَّلِينَ وَاَلْآخِرِينَ وَ فِي اَلْمَرَّةِ اَلثَّانِيَةِ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اَللَّهِ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ حَاجَةَ لِأَحَدٍ إِلَى أَحَدٍ إِلاَّ إِلَى اَللَّهِ اَلْوَاحِدِ اَلْقَهَّارِ اَلْغَنِيِّ عَنْ عِبَادِهِ وَاَلْخَلاَئِقِ أَجْمَعِينَ وَأَنَّهُ أَرْسَلَ مُحَمَّداً إِلَى اَلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اَللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً فَمَنْ أَنْكَرَهُ وَجَحَدَهُ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ أَدْخَلَهُ اَللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً لاَ يَنْفَكُّ عَنْهَا أَبَداً وَأَمَّا قَوْلُهُ حَيَّ عَلَى اَلصَّلاَةِ أَيْ هَلُمُّوا إِلَى خَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَدَعْوَةِ رَبِّكُمْ وَ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِطْفَاءِ نَارِكُمُ اَلَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا عَلَى ظُهُورِكُمْ وَ فَكَاكِ رِقَابِكُمُ اَلَّتِي رَهَنْتُمُوهَا بِذُنُوبِكُمْ لِيُكَفِّرَ اَللَّهُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُبَدِّلَ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ فَإِنَّهُ مَلِكٌ كَرِيمٌ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِيمِ وَقَدْ أَذِنَ لَنَا مَعَاشِرَ اَلْمُسْلِمِينَ بِالدُّخُولِ فِي خِدْمَتِهِ وَاَلتَّقَدُّمِ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ وَفِي اَلْمَرَّةِ اَلثَّانِيَةِ حَيَّ عَلَى اَلصَّلاَةِ أَيْ قُومُوا إِلَى مُنَاجَاةِ رَبِّكُمْ وَعَرْضِ حَاجَاتِكُمْ عَلَى رَبِّكُمْ وَ وَسَّلُوا إِلَيْهِ بِكَلاَمِهِ وَ تَشَفَّعُوا بِهِ وَأَكْثِرُوا اَلذِّكْرَ وَ اَلْقُنُوتَ وَ اَلرُّكُوعَ وَاَلسُّجُودَ وَ اَلْخُضُوعَ وَ اَلْخُشُوعَ وَ اِرْفَعُوا إِلَيْهِ حَوَائِجَكُمْ فَقَدْ أَذِنَ

لَنَا فِي ذَلِكَ وَأَمَّا قَوْلُهُ حَيَّ عَلَى ٱلْفَلاَحِ فَإِنَّهُ يَقُولُ أَقْبِلُوا إِلَى بَقَاءٍ لاَ فَنَاءَ مَعَهُ وَ نَجَاةٍ لاَ هَلاَكَ مَعَهَا وَتَعَالَوْا إِلَى حَيَاةٍ لاَ مَمَاتَ مَعَهَا وَإِلَى نَعِيمٍ لاَ نَفَادَ لَهُ وَإِلَى مُلْكٍ لاَ زَوَالَ عَنْهُ وَإِلَى سُرُورٍ لاَ حُزْنَ مَعَهُ وَإِلَى أُنْسٍ لاَ وَحْشَةَ مَعَهُ وَإِلَى نُورٍ لاَ ظُلْمَةَ مَعَهُ وَإِلَى سَعَةٍ لاَ ضِيقَ مَعَهَا وَإِلَى بَهْجَةٍ لاَ اِنْقِطَاعَ لَهَا وَإِلَى غِنًى لاَ فَاقَةَ مَعَهُ وَإِلَى صِحَّةٍ لاَ سُقْمَ مَعَهَا وَإِلَى عِزٍّ لاَ ذُلَّ مَعَهُ وَإِلَى قُوَّةٍ لاَ ضَعْفَ مَعَهَا وَإِلَى كَرَامَةٍ يَا لَهَا مِنْ كَرَامَةٍ وَاِعْجَلُوا إِلَى سُرُورِ اَلدُّنْيَا وَ ٱلْعُقْبَى وَ نَجَاةِ ٱلْآخِرَةِ وَ ٱلْأُولَى وَفِي ٱلْمَرَّةِ ٱلثَّانِيَةِ حَيَّ عَلَى ٱلْفَلاَحِ فَإِنَّهُ يَقُولُ سَابِقُوا إِلَى مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ وَإِلَى جَزِيلِ ٱلْكَرَامَةِ وَعَظِيمِ ٱلْمِنَّةِ وَسَنِيِّ اَلنِّعْمَةِ وَٱلْفَوْزِ ٱلْعَظِيمِ وَنَعِيمِ ٱلْأَبَدِ فِي جِوَارِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ وَ أَمَّا قَوْلُهُ اَللَّهُ أَكْبَرُ اَللَّهُ أَكْبَرُ فَإِنَّهُ يَقُولُ اَللَّهُ أَعْلَى وَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْكَرَامَةِ لِعَبْدٍ أَجَابَهُ وَ أَطَاعَهُ وَ أَطَاعَ أَمْرَهُ وَ عَرَفَهُ وَعَبَدَهُ وَ اِشْتَغَلَ بِهِ وَبِذِكْرِهِ وَ أَحَبَّهُ وَ أَنِسَ بِهِ وَ اِطْمَأَنَّ إِلَيْهِ وَ وَثِقَ بِهِ وَ خَافَهُ وَ رَجَاهُ وَاِشْتَاقَ إِلَيْهِ وَ وَافَقَهُ فِي حُكْمِهِ وَ قَضَائِهِ وَ رَضِيَ بِهِ وَ فِي ٱلْمَرَّةِ ٱلثَّانِيَةِ اَللَّهُ أَكْبَرُ اَللَّهُ أَكْبَرُ فَإِنَّهُ يَقُولُ اَللَّهُ أَكْبَرُ وَ أَعْلَى وَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ مَبْلَغَ كَرَامَاتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ وَعُقُوبَتِهِ لِأَعْدَائِهِ وَ مَبْلَغَ عَفْوِهِ وَ غُفْرَانِهِ وَ نِعْمَتِهِ لِمَنْ أَجَابَهُ وَأَجَابَ رَسُولَهُ وَ مَبْلَغَ عَذَابِهِ وَنَكَالِهِ وَ هَوَانِهِ لِمَنْ أَنْكَرَهُ وَ جَحَدَهُ وَ أَمَّا قَوْلُهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللَّهُ مَعْنَاهُ لِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ عَلَيْهِمْ بِالرَّسُولِ وَاَلرِّسَالَةِ وَ ٱلْبَيَانِ وَاَلدَّعْوَةِ وَهُوَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَيْهِ حُجَّةٌ فَمَنْ أَجَابَهُ فَلَهُ اَلنُّورُ وَٱلْكَرَامَةُ وَمَنْ أَنْكَرَهُ فَإِنَّ اَللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَاسِبِينَ وَمَعْنَى قَدْ قَامَتِ اَلصَّلاَةُ فِي ٱلْإِقَامَةِ أَيْ حَانَ وَقْتُ اَلزِّيَارَةِ وَٱلْمُنَاجَاةِ وَقَضَاءِ ٱلْحَوَائِجِ وَ دَرْكِ ٱلْمُنَى وَ ٱلْوُصُولِ إِلَى اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى كَرَامَتِهِ وَغُفْرَانِهِ وَعَفْوِهِ وَرِضْوَانِهِ[1].

---

(١) بحار الأنوار ٨١: ١٣١.

قال (عليه السلام): «فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَ مَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَ مَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَ مَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَه، وَ مَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَ مَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَ مَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْه».

المقام الأول: في التأكيد

قال القطب الراوندي: عطف هذه الجملة التي قبلها بالواو مؤكّداً بهما ما تقدّمهما[1].

وقال المعتزلي: ثُمَّ أكّد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الإشارات الإلهية بقوله: فمن وصف الله...[2].

وهل كلا الكلامين متّحدٌ أم فيه اختلاف؟

إنَّه مختلف وإن اتحدا في التأكيد.

أمّا القطب الرواندي فقد أشار به في جملة: ومن أشار إليه فقد حدّه، وقد طوى عن قول الإمام (عليه السلام): «فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ».

أما المعتزلي فقد قال ذلك صريحاً في جملة: «فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ».

ثُمَّ القطب أفاد: مؤكّداً بهما ما تقدّمهما، وهذا معناه أنَّ المؤكّد جملة «فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَ مَنْ قَرَنَهُ...» مع أنَّ هذه الجملة نفسها تؤكّد معنى

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٤٩.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٤.

الجملة الأولى إذ سنفترض فيها عطف الخاص على العام وما عطفه إلّا للتأكيد لكن في غير مقامنا كما ستشهده قريباً إن شاء الله.

ثُمَّ إنّا لو جئنا للواو لوجدنا فيها معنى عطف الخاصّ على العامّ ولكن لا يسمّونه – اصطلاحاً – تأكيداً.

فيطلقون عليه عطف الخاصّ على العامّ أو عكسه.

وليس المراد منه التأكيد، وذلك لأنَّ التأكيد معنى لا ينسجم مع المصدّقين بباقي الفقرات من الرواية الشريفة.

ولهذا قال الدكتور أحمد مطلوب: التأكيد أكّد العقد والعهد لغةً في وكّده، والتأكيد لغةٌ في التوكيد، وقد أكّدت الشيء ووكّدته.

قال العلوي: التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره.

وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدّده[(١)].

فهل المصدّقون شاكّون؟

نعم، هو ذكر تبعاً لهم أنَّ التأكيد الخاص بعلوم البلاغة يتعلّق بعلم البيان ويقال له التكرير وهو قسمان: مفيدٌ وغير مفيدٍ.

وعندئذٍ كان ينبغي عليهما الإشارة إلى هذا المطلب لا أن يطلقا القول ويعتمدا.

ومنه يظهر أنَّ إرجاع ذلك إلى الإطناب بذكر الخاصّ أوفق من إرجاعه إلى التأكيد.

على أنَّ فيه إشكالاً ستسمعه في المقام الآتي.

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، الدكتور أحمد مطلوب: ٢٣٩.

المقام الثاني: في الفاء من قوله (عليه السلام): «فَمَنْ وَصَفَ اللّهَ سُبْحَانَهُ...»

لم يتعرّض الشارحون لمعنى الفاء، وهل هي تفيد التعقيب أو الترتيب أو السببية أو لا تفيدهن طرّاً، بل تفيد الإستيناف؟

فنقول وعلى الله التكلان:

الفاء العاطفة ترد لثلاثة أمور:

١- الترتيب.

٢- التعقيب.

٣- السببيّة.

لكن كلّ المعاني التي ذكرناها في الفاء لا يمكن جريانها في قول الإمام (عليه السلام)«فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ...»

باعتبار وجود التباين بين: «كَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ» وبين «فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ».

وعليه لا يمكن القول بوجود العطف لأنَّ أساس العطف أن يحكم بالاشتراك.

نعم، قد يقال أنَّه معطوف على جملتي التعليل التي أفاد فيها (روحي فداه): أنَّ كلَّ صفةٍ غير الموصوف وكلّ موصوف غير الصفة، فأراد أن يبيّن بعدما أجمل ويفصّل بعدما اختصر، وعندئذٍ يكون الكلام تامّاً.

وهل يكون دالّاً على المعاني المذكورة؟

أمّا السببيّة فلا، إذ بينهما علاقة بالإجمال والتفصيل لا علاقة السبب بالمسبب.

أمّا التعقيب فلا أيضاً: لأنَّه يقتضي أنَّ الفاء بين اثنين متغايرين موضوعاً

مشتركين حكماً، كما تقول: جاءني زيدٌ فبكرٌ.

أمّا الترتيب فنعم، لأنّه يكون الثاني بمثابة الأوّل مع زيادة تفصيلٍ، وهو المتعيّن.

ويشهد لتلك المثابة قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾(١).

وأنت ترى أنَّ ابني من أهلي نفس نداء نوحٍ (عليه السلام) غاية الأمر هو يختلف عنه بالتفصيل والبيان.

المقام الثالث: في معنى قَرَنَ.

قال الخليل: وقرنت الشيء أقرنه قرّناً، أي شددته إلى شيءٍ.

والقَرَنُ: الحبل يقرن به، وهو القرآن أيضاً.

وكان رجلٌ عبد صنماً فأسلم ابن له وأهله، فجهدوا عليه، فأبى فعمد الى ضمه فقلده سيفاً وركز عنده رمحاً، وقال: امنع عن نفسك، وخرج مسافراً فرجع ولم يره في مكانه، فطلبه فوجده وقد قرن إلى كلبٍ ميّتٍ في كناسةٍ قومٍ فتبيّن له جهله، فقال:

إنّك لو كنت إلهاً لم تكن
أنت وكلبٌ وسط بئرٍ في قرن
أفٍّ لملقاك إلهاً يُستدن

فقال هذه الأبيات وأسلم(٢).

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٥.

(٢) العين للفراهيدي ٣: ١٤٦٩.

وقال ابن منظور: وقارن الشيء مقارنةً وقراناً: اقترن به وصاحبه.

واقترن الشيء بغيره وقارنته قراناً: صاحبته، ومنه قران الكواكب وقرنت الشيء بالشيء: وصلته[١].

المقام الرابع: من قرن ذاته (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

قال البحراني: وقوله: لشهادة كل صفةٍ... إلى قوله: غير الصفة.

توطيدٌ للقياس ببيان المغايرة بين الصفة والموصوف، والشهادة هنا شهادة الحال، فإنَّ حال الصفة تشهد بحاجتها إلى الموصوف، وحال الموصوف يشهد بالاستغناء عنها، والحالان يشهدان بمغايرتهما لأنَّ اختلاف اللوازم يدلّ على اختلاف الملزومات.

فأمّا صحّة المقدّمات.

فبيان الأولى: أنَّ الصفة لما ثبت كونها مغايرة للذات لزم كونها زيادة عليها فلزم اقترانها بها عند فرضها صفة لها.

وبيان الثانية: انّ من قرن ذاته بشيءٍ أو أشياء فقد اعتبر في مفهومه أمرين أو أموراً فكانت فيه كثرة...[٢].

وفيه ما لا يخفى: إذ التكثّر لازمٌ للمفهوم على أيّ حال، وإنّما الكلام في التحقّق أو قل: في المصداق.

لذلك أشار الصدر الأعظم: فعلمه وقدرته وارادته وحياته وسمعه وبصره كلّها

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١١: ١٣٩.

(٢) مصباح السالكين للبحراني ٦٠.

موجودة بوجود ذاته الأحديّة، مع أنَّ مفهوماتها متغائرةٌ متخالفة[١].

وقال العلّامة: فصفات كماله مختلفةٌ بحسب المفهوم واحدةٌ بحسب المصداق الذي هو الذات المتعالية[٢].

المقام الخامس: في وقوع التحريف.

ادّعى المحقّق التستري عدم البعد في وقوع التحريف فقال: هكذا في النسخ ولا يبعد أن يكون وقع تحريفٌ، وأنَّ الأصل (ومن قرنه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد ثنّاه).

فإنَّ القول بتثنيته أشنع من القول بتجزيته، فبطلان القول بالتثنية مسلّمٌ عند جميع الفرق بخلاف القول بتجزيته فيدين به المشبهة منهم والمجسمة[٣].

وخفي عليه انتقاله (عليه السلام) من الأعمّ إلى الأخصّ فإنَّ التثنية أعم من التجزيّة باعتبار دخول كلّ اثنين فيها أعمّ من كونهما جزءاً، ولهذا قال بعد ذلك بالتجزيّة.

هذا أوّلاً.

ثانياً: لم يرد هذا المعنى لا في النهج ولا في الكافي ولا في غيرهما.

ثالثاً: أنَّ هذا الاحتمال منفيٌّ بأصالة عدم التحريف، خصوصاً وأنّه أبرز هذه النكتة دون أن يلاحظها في الروايات.

رابعاً: بغض النظر عمّا قلناه أولاً نقول: لمّا كان القول بالتثنية أشنع قدّم الإمام (عليه السلام) بطلانه على القول بالتجزيّة.

---

(١) الحكمة المتعالية لملا صدرا ٦: ١٤٠.

(٢) بداية الحكمة للطباطبائي ٢٠١.

(٣) بهج الصباغة للتستري ١: ١٥٩.

خامساً: أنَّه (عليه السلام) أبطل القولين غاية الأمر أخّر (روحي فداه) الكلام عن التجزيّة الذي قلنا أنّه هو المتأخّر بحسب الطبع وبمقتضى التسلسل المنطقي.

سادساً: قد يكون في التقديم فوات الغرض لأننا قلنا أنَّ التجزيّة دالّة على التثنيّة وعندئذٍ سيفوت على الإمام ذكر التثنية.

ولله في خلقه شؤون.

المقام السادس: في ايراد الخوئي على المعتزلي.

قال المعتزلي: (ومن ثنّاه فقد جزّأه)؛ وهذا حقٌّ، لأنّه إذا أطلق لفظة الله تعالى على الذات والعلم القديم فقد جعل مسمى هذا اللفظ وفائدته متجزئةٌ، كإطلاق لفظ (الأسود) على الذات التي حلّها سوادٌ[١].

وقال الخوئي معقّباً: فليس بشيء، لأنَّ الكلام في مرتبة الحقّ من حيث هي، لا من حيث اطلاق لفظه عليها، كما هو ظاهرٌ[٢].

وهذا حقٌّ، حيث إنَّ الألفاظ مهما بلغت بحقيقتها ومجازها تبقى عاجزةً عن الوفاء بحقّ المولى (جلَّ شأنه) ثُمَّ من قال بإمكان اطلاق لفظ الله وإرادة الذات المقدّسة مع العلم القديم فإنَّ إطلاق لفظ الله دالٌّ على إرادة الذات المقدّسة فقط.

نعم، يمكن إرادتهما بتعددّ الدالّ والمدلول والأمر لا يقتضي الشرح أكثر إذ هو والأشعري قولهما واضح البطلان.

ثُمَّ إنَّ المعتزلي ردّ على الأشعري مقالته في الصفات فبقي علينا نفي مقاله

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٤.

(٢) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٢٥.

المعتزلي نفسه.

وقد اخترنا ما صرّح به الصدر الأعظم في كلامه عن صفات الله تعالى الذي جاء فيه ردّ قول المعتزلي.

قال الصدر الأعظم: تتمةٌ وتبصرةٌ.

وممّا يجب التنبيه عليه أنّه ليس معنى نفي الصفات عنه (تعالى) أنّها غير متحقّقة في حقّه (تعالى) ليلزم التعطيل كيف؟! وهو منعوتٌ بجميع النعوت الإلهيّة والأسماء الحسنى في مرتبة وجوده الواجبي، وجلّ جناب الحقّ عن فقد وعدم لصفة كمالية، بل المراد أنَّ أوصافه ونعوته كلّها موجودةٌ بوجودٍ واحد هو وجود الذات كما أنّ ذاتيّات المهيّة لنا موجودة بوجود واحدٍ شخصيٍّ، لكن الواجب لا مهيّة له إذ لا جهة إمكانيّة فيه، فالعالم الربوبي عظيمٌ جدّاً وهو الكل في وحدة، فتلك الصفات الإلهيّة كثيرة بالمعنى والمفهوم، واحدة بالهوية والوجود، بل للحق (سبحانه) بحسب كل نوعٍ من أنواع الممكنات صفةٌ إلهيةٌ هي ربّ ذلك النوع ومبدؤه ومعاده، وله بحسب كل يوم شأن من شئون ذاتية، وتجليات في مقامات إلهية ومراتب صمدية، وله بحسب تلك الشئون صفات وأسماء، كما يكاشفه (العرفاء) الكاملون، ولهذا قالوا: (أول كثرة وقعت في الوجود وبرزخ بين الحضرة الأحدية الذاتية وبين كثرة الممكنات والمظاهر الخلقية للصفات، هي كثرة الأوصاف والأسماء الإلهية)، وهي غير مجعولة بل متحقّقة بنفس تحقّق الذات الواجبة اللامجعولة، لا كما يقوله (المعتزلة) من أنّها ثابتة منفكة عن الوجود، إذ قد علمت: أنّ القول بشيئية المعدومات باطلٌ جداً، بل كما وقع التنبيه عليه من أنّ لها معان متكثرة معقولة في غيب الوجود الحق (تعالى) متحدة في الوجود، واجبة غير

مجعولة، ومع ذلك يصدق عليها أنّها بحسب أعيانها ما شمت رائحة الوجود، لما ثبت وتبين أنّ الموجودات بالذات هو الوجود فهي ليست بما هي هي موجودة ولا معدومة، وهذا من العجائب التي يحتاج نيلها إلى تلطف شديد للسريرة(١).

المقام السابع: وصف الجهل.

في قوله (عليه السلام): «وَ مَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَه» هل نحتاج فعلاً الى ما ذكره بعض الشرّاح من أنَّ كلّ ذي جزءٍ فهو مفتقرٌ إلى جزئه، وجزئه غيره، فكلّ ذي جزء فهو مفتقر إلى غيره، والمفتقر لغيره ممكن فالمتصوّر له جزئاً متصوّر في الحقيقة لأمر، وممكن الوجود لا الواجب الوجود بذاته فيكون جاهلاً به...(٢).

وكذا أفاد البحراني ما مضمونه(٣).

والحقّ أنَّ هذا لا يظهر من كلام الإمام (عليه السلام) فهو قد أشار إلى التجزئة ووصف صاحبها بأنّه جاهلٌ.

وكيف لا يكون جاهلاً وهو لا يعرف أنَّ تلك الصفات متحقّقة بتحقّق الذات.

وما ذكره الخوئي والبحراني بمثابة اللازم الذي يجب فيه من أيقين بوجوده الجهل كما يجب الجهل على من جزّأه فحسب.

---

(١) الحكمة المتعالية ٦: ١٤٢ ـ ١٤٤.

(٢) الدرّة النجفية إبراهيم الخوئي ٢٠.

(٣) مصباح السالكين للبحراني ٦٠.

المقام الثامن: ما المقصود بالإشارة؟

ما المراد من قوله (عليه السلام): «وَ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ» فهل المراد الإشارة الحسّية أو العقليّة أو الأعمّ منهما؟

أفاد البحراني أنّه أراد مطلق الإشارة فقال: أراد مطلق الإشارة وبيّن ذلك بقياسٍ هو قوله: ومن أشار إليه... إلى قوله: فقد عدّه.

بيان الأوّلى: إنّ الإشارة إمّا حسيّة أو عقليّة.

أمّا الحسّيّة فإنّها تستلزم الوضع والكون في المحلّ والحيّز، وما كان كذلك فلابدّ وأن يكون له حدٌّ أو حدودٌ.

أمّا الإشارة العقليّة فلأنَّ المشير إلى حقيقة شيءٍ زاعماً أنَّه وجده، وتصوّره، فقد أوجب له حدّاً يقف ذهنه عنده، ويميّزه به عن غيره.

وبيان الثانية: إنّ من حدّه بالإشارة الحسّيّة فقد جهله مركباً من أمورٍ معدودةٍ إذ الواحد في الوضع ليس مجرّد وحدةٍ فقط والّا لم تتعلّق الإشارة الحسّيّة به، بل لابدَّ معها من أمورٍ أخرى مشخصةٍ مخصّصةٍ له، فكان في نفسه معدوداً لكثرته من تلك الجهة.

ومن حدّه بالإشارة العقليّة فلابدّ أن يحكم بتركيبه لما علمت أنَّ كل محدودٍ مركّبٌ في المعنى، فكان أيضاً ذا كثرةٍ معدودة.

فإذن، الإشارة المطلقة ممتنعة في حقّه تعالى مستلزمةٌ للجهل به(١).

وقال الخوئي أيضاً: أي: من أشار إليه بإشارة عقليّة أو حسيّة(١).

---

(١) مصباح السالكين للبحراني ٦٠، ٦١.

بل قال الصدر الأعظم: أي من أشار إليه بأيّ إشارةٍ كانت – حسيّة أو عقليّة – بأن قال: ههنا أو هناك أو كذا أو كذلك فقد جعله محدوداً بحدّ خاصٍ"[٢].

أقول: ليس المراد هنا بالإشارة الإشارة الحسيّة.

بيان ذلك: إنّ الإمام (عليه السلام) بعد أن أخبر عن الله أنّه ذو صفة، قال: «**فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ**».

وقلنا عندها معنى ذلك أنَّ صفاته تعالى منبعثة من مقام ذاته الواجب لا أنَّها أمرٌ عارضٌ سواءٌ كانت قديمةً أم محدثةً.

وفرّع (عليه السلام) على ذلك القول بالاقتران والتثنية والتجزيّة ثُمَّ أشار إلى الجاهل به المشير إليه بالإشارة العقليّة دون الإشارة الحسّيّة.

وذلك: باعتبار عدم أخذه الذات المقدّسة مرئية وما إلى ذلك، فكيف يمكن جعله مشيراً لها بالحسّ.

نعم، هو أخبر عن ذاتٍ موجودةٍ إلّا أنّ هذا الوجود لا يمكن أن يشار إليه عقلاً، ومع ذلك؛ لأنَّ العقل مهما تناهى سعةً لا يمكنه أن يدرك كنه ذاته ولا يمكنه الإحاطة به، فيبقى الإنسان الذي يريد الإشارة به في دائرة الحدّ المحدود الذي خطّه له ذلك الوجود.

وعندئذٍ يصل بالإنسان المستوى الى دائرة العدّ بعد أن أدخل نفسه في الحدّ لأنّ البارئ الذي لا يمكنه حدّه ولا عدّه إذا ادّعى الجاهل أنَّه أدركه ثُمَّ أشار إليه فمعنى ذلك أنَّه حدّه بحدود عقله وإدراكه وإذا جعلته محدوداً بحدود عقلك

---

(١) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٣٣.

(٢) الحكمة المتعالية لملا صدرا ٦: ١٤١.

وإدراكك جعلته كالممكنات التي يمكنك ادراكها ومعرفة كنّها.

وهو معنى العدّ فيما يظهر، والله أعلم ورسوله ووليّه.

ومن هنا ظهر لك ما في الإطلاق المزعوم الذي تمسّك به البحراني فمجرّد إبراز هذه النكتة مانعةٌ عن الأخذ به إن كانت نكتةً حقّاً.

ومنه يظهر معنى قوله: «**وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ**» أيضاً.

ولا يمكن المصير إلى اختيار الملا صدرا أي: جعله واحداً بالعدد لا بالحقيقة، ولو عن طريق ما قلناه قبلاً.

المقام التاسع: في قوله (عليه السلام): فِيمَ وعَلَامَ

قال سيبويه: وأمّا قولهم: عَلامَهْ، وفِيمَهْ، ولِمَهْ، وبِمَهْ، وحَتَّامَهْ؟ فالهاء في هذه الحروف أجود إذا وقفتَ، لأنَّك حذفت الألف من مَا، فصار آخره كآخر ارمِه واغزُه.

وقد قال قومٌ: فيمْ، وعلامْ، وبمْ، ولِمْ؟ كما قالوا: اخش.

وليس هذه مثل إنَّ، لأنَّه لم يحذف منها شيءٌ من آخرها[١].

وهذا يعني أنَّ مثل علامَ اذا وقفت عليها زدتها هاءً واذا لم تقف عليها فوصلتها بكلامك قلت علامَ.

وقد قال قومٌ: علامّ بالتسكين مطلقاً.

فأنت بالخيار في كلّ ذلك عدا علامه فيما إذا لم تقف.

---

(١) الكتاب لسيبويه ٤: ١٦٤.

المقام العاشر: في التضمين والخلو.

قال القطب الكيذري: وقيل: أراد من أشار إلى معبوده بنظيرٍ، وتوهّمه بتصويرٍ، فقد جعل له من المكان غايةً، ومن المحل نهايةً، ومن حدّه بالمحالّ والجهات فقد جعله من المعدودات، ومن قال أنّه حالٌّ في شيءٍ فقد جعله من الأعراض الحادثات.

من تصوره مستقراً على العرش فقد أخلى منه الأرضين والسماوات، وفي ذلك ردٌّ على المجسمة والحلوليّة ومن جعل له محلّاً جعل وجوده مضمّناً بوجود محلّه مع كلّ شيء بمعنى الحفظ والعلم، لا بمعنى الحلول والمجاورة، بعيدٌ من أن يدركه الحواس أو يقاس بالناس في المباينة والمزايلة(١).

خلاصة المقامات

شرع الإمام (عليه السلام) ببيان مراتب التصديق ومراحل الإيمان.

فقال: أول الدين معرفته، والأوّل ما له ثانٍ عرفاً، وقصد بذلك تصوّر الذات الإلهيّة من دون أن يتعدى إلى حقيقتها وواقعها.

ثُمَّ بدأ (عليه السلام) ببيان مراحل التصديق وهو ثاني المقامات من غير أن ينطق (عليه السلام) أنّه ثانٍ واتكأ بذلك على معرفة مرامه من خطابه (روحي فداه).

ولم يقصد من العلم به العلم به المتعدي إلى مفعولين إذ لم يرَ في الكون من اثنيين.

ولمّا كان الكمال كمثل النور الذي يستضاء به، فهو يبيّن حقائق الأشياء كلّما سطع، فله درجات ولدرجاته درجات.

---

(١) حدائق الحقائق ١: ١٢٥.

وسطّر (عليه السلام) الكلمات المؤدّيات إلى معرفته والتصديق به وتوحيده والإخلاص له عابراً بذلك الآفاق، مكسراً أصنام أهل النفاق والشقاق.

وحذّر (عليه السلام) العباد بما يخرجهم عن وصفهم عن طريق مدحهم الله بما لا يستحقّه، ووصفهم إيّاه بما ليس أهلاً له.

مستدلّاً على ذلك بشهادة كلٍّ من الصفة والموصوف أنَّهما غير.

فبيّن بعد أن أجمل، وفصّل وهو خير المفصّلين.

فأفاد: اياكم أن تذهب بكم المذاهب، فتكونوا ميدان الرغائب فتجعلونه كأحدكم وهو ليس منكم، وتصفونه بما يصدق على العباد ولله الأمر يوم التناد.

فلازم التوصيف الاقتران ومنه تلزم التثنية ولازمها التجزئة – إذ تكلّم قبلاً عن التوحيد وأخرج الثاني من دائرة واجب الوجود فلم يبق له إلّا الثاني المتركّب مع الأوّل – وبذلك يحصل الجهل بل لا يقف عند الجهل بل يتعدّى الى الحدّ ثُمَّ العدّ.

وبالتالي يصير الموحّد كافراً، والمؤمن عابثاً، فلا يبقى للإنسان إلّا زينة التوحيد وفخر الافتقار الذي يخبأ تحته نتن الإشراك وسوء الاشباه والاعتراف بالنظير، وليس ما دونه من ظهير.

وقال (عليه السلام) أحسنوا مع الله السؤال بما يليق بجلاله وجماله فلا يقولنَّ أحدٌ منكم فيمَ ولا علامَ.

قال (عليه السلام): «كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ».

اختلفت عبارات القوم في تفسيرها، وبيان المراد منها.

فقال بعضٌ: إنَّ الجملة الثانية توكيد للجملة الأولى.

وقال آخر: إنّه دلّ بكلامه (عليه السلام) على وجوب وجوده.

وقال ثالثٌ: المراد نفي الحدوث الزماني من الجملة الأولى، ونفي الحدوث الذاتي من الجملة الثانية.

وإليك بعض نصوصهم مع ما يرد عليهم:

قال الكيذري: أي: موجودٌ لم يزل، وقد يستعمل كائنٌ بمعنى موجود، كما يستعمل بمعنى شاغل للجهة، والثاني لا يليق بغير الجسم والجوهر.

موجودٌ لا عن عدمٍ تأكيداً لما سبقه، أي: لم يسبق وجوده عدم؛ إذ لو كان كذلك لاحتاج إلى سبب في الوجود ولكان ممكن الوجود، وقد تحقّق كونه تعالى واجب الوجود.

وقيل: كائنٌ لا عن حدثٍ، أي: موجود لا كوجود الإنسان من النطفة المحدثة والسيف الحديد المحدث، والمتولّدات من الأسباب المحدثة.

موجودٌ لا عن عدمٍ أي لا يسبقه عدم أصلاً كالعالم المحدث، كان الله تعالى أحدثه لا عن مادّةٍ ولا أصلٍ ومثالٍ[1].

وها أنت ترى قوله، وإنّما ذهب إلى توكيد الثانية للأولى لأنّه لم يتصوّر فرقاً بين معنى (كائنٌ وموجودٌ).

---

(١) حدائق الحقائق ١: ١٢٥ ـ ١٢٦.

وأقول: ستسمع الفرق بينهما وعندئذٍ يبطل التوكيد، ثُمَّ هب عدم الفرق بينهما في طرفي الجملتين ولكن أليس هناك فرقٌ بين الحدوث والعدم فلماذا أغفلته؟

قال الراوندي: إنّه (عليه السلام) حمد الله في أوّل الخطبة، ثُمَّ أثبت له ما هو له أهلٌ، ونفى عنه ما هو منزّه عنه.

وبيّن حكم العارف به والجاهل له، ثُمَّ قال: هذا المعبود هو الكائن لم يزل والباقي لا يزال لأنَّه قديمٌ لا أوّل لوجوده ولا آخر.

لا يقال أنّه تعالى كان معدوماً ثُمَّ حدث فصار موجوداً.

ولا يقال أنّه تعالى مع كونه الآن موجوداً فإنّه يصير معدوماً[(١)].

وأنت تراه كيف يجعل الجملة الثانية تعليلاً للجملة الأولى فعامل الجملتين على أنّها جملةٌ معلّلةٌ، والحقّ غيره كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.

وقال المعتزلي: فإن قيل: فقد قال بعده: (موجودٌ لا عن عدمٍ) فلا يبقى بين الكلمتين فرقٌ.

قيل: بينهما فرقٌ، ومراده بالموجود لا عن عدم ههنا وجوب وجوده ونفي إمكانه، لأنَّ من أثبت قديماً ممكناً، فإنّه وإن نفى حدوثه الزماني فلم ينف حدوثه الذاتي، وأمير المؤمنين (عليه السلام) نفى عن الباري تعالى في الكلمة الأولى الحدوث الزماني، ونفي عنه في الكلمة الثانية الذاتي[(٢)].

وتابعه تقريباً حبيب الله فقال: الفرق بين الفقرتين بعد إتّحادهما في الدلالة على نفي الوجود التجددي، هو أنَّ الأولى نافيّةٌ للحدوث الزماني، والثانية نافيّة

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٥٠.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٦.

للحدوث الذاتي، وهي أبلغ في الدلالة على وجوب الوجود من الأولى كما لا يخفى[1].

ويرد عليه:

أوّلاً: وجوب وجوده وإن كان حقاً إلّا أنه ليس مدلولاً لكلامه.

ثانياً: كيف يمكن أن تفسّر كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنّه وإن أثبت قديماً ممكناً فجاء بالجملة الثانية متمماً للأولى.

وهذا معناه عدم استقلال الجملة الأولى في تأدّية المعنى.

ثالثاً: إذا كان كذلك لِمَ لم يقل الإمام: موجود لا عن عدمٍ فينفي بذلك الحدوث الذاتي فينتفي معه كلّ حدوثٍ.

ويرد على الخوئي مثل ما ورد عن المعتزلي بحذافيره ما خلا الثاني.

والمهمّ لنا أن نفسّر قوله (عليه السلام) بنحو لا تدخله الريبة ولا ينتابه شكٌّ على أن تساعد عليه اللغة والعرف.

فنقول بعد التوكل على الله:

كائنٌ وموجودٌ وإن كانا بمعنى واحد إلّا أنّه عند اضافتهما إلى ما بعدهما تحدث صورةً ذهنيّة مغايرة للصورة الذهنيّة الأخرى عن طريق تعدّد الدال والمدلول.

مثلاً يقال: الجو باردٌ والجو حارٌ، فهل تجد اتفاقاً بينهما؟ لا تجده إلّا في قولك الجو مع أنّه أضيف إلى الأول فصار بمعنى وإلى الثاني فصار بمعنى مغاير.

بل تستطيع أن تخبر عنهما بخبرين أحدهما يختلف عن الآخر فتقول للأوّل:

---

(١) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٤٤.

لطيفٌ، وللثاني: مزعجٌ.

وأنت تعلم أنَّ الخبرين للمبتدأين المتغايرين المتحدين بلفظ الجو ومعناه، فكذلك الوجود فهو وإن كان مطلقاً بالنسبة إلى الله تعالى إلّا أننا يمكن أن نلحظ فيه ما قبل العدم وما قبل الأحداث وما بعدها، مع إبقاء الوجود على حاله لكن عند إضافة الدال يتغيّر المدلول قطعاً.

ولمّا كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) متصوّراً الذات الإلهية، وكيف أحاطت بالوجود وكيف كان اتصالها بالموجود فعبّر عن الكون مع الحدث بأنّه كائنٌ بلا حدثٍ.

ولكن بقي في الذهن سؤالٌ عن وجود الحقّ قبل الإحداث فأجاب: موجودٌ لا عن عدم.

فتحصّل: أنَّ الأول المراد به معنى، والثاني المراد منه معنى آخر.

إن قلت: لماذا قدّم الكون على الوجود؟

قلنا: للإستيناس، فإننا عادةً ما نميل إلى معرفة وجوده مع الأحداث أوّلاً.

ثُمَّ تفضل علينا ثانياً.

قال (عليه السلام): «مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ».

قال السرسخي: مع كلّ شيءٍ لا يعزب عنه مثقال ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض، وذلك لإحاطته بكلّ شيءٍ علماً بالمقارنة الحسّيّة(١).

وقال التستري: مع كلّ شيء لا بمقارنة، قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾(٢).

وفيما قاله التستري نظرٌ بيّنٌ إذ تفسيره وإن كان صحيحاً لكن لقوله (عليه السلام) مع كلّ شيءٍ فلا يشمل لا بمقارنةٍ.

لذا قال البحراني: ولمّا كان مفهوم المقارنة تعتبر في الزمان والمكان لا جرم نزّه تلك المعيّة عنها بقوله: لا بمقارنةٍ.

وقد سبق للتستري الإشارة الناقصة في قوله (عليه السلام): (موجودٌ لا عن عدمٍ) فقال: لأنّه موجد المعدومات.

وأنت تعلم ما في هذا الكلام إذ كونه موجد المعدومات أعمّ من كونه كان معدوماً أو لا.

والظاهر حصول الاشتباه من النسّاخ فيما جاء عن المعتزلي(٣).

---

(١) أعلام نهج البلاغة للسرخسي: ٣٧.

(٢) بهج الصباغة للتستري ١: ١٦١.

(٣) شرح النهج إذ ورد فيه: مع كلّ شيءٍ بمقارنةٍ.

قال (عليه السلام): «وَ غَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ».

المقام الأول: غير كلّ شيءٍ

قال الكيذري: وغير كلّ شيء لا بمزايلةٍ: الغيريّة بالمزايلة هي انفراد الذات عن ذاتٍ أخرى، وهي صفةٌ ثابتةٌ لكلّ شيءٍ فلا يقع بها المباينة (بين القديم، وكلّ محدثٍ فلا يعقل الغيريّة لا بالمزايلة إلّا المخالفة والمباينة) في الصفات[1].

وقيل: معناه أنَّ واجب الوجود لا يشارك شيئاً ما في معنى جنسيٍ منفصلٍ بائن بذاته عن كلّ شيءٍ لا بمزايلة الإنسان بالفرس بالفصل الذاتي.

ويرد عليه:

أوّلاً: لسنا بحاجة إلى التعرّض للقول: الغيريّة بالمزايلة لأنّه إذا ثبتت الغيريّة فهي بمزايلةٍ قطعاً، ولهذا نفى (عليه السلام) أن تكون غيرته تعالى تزايلاً، أي: عندما يطلق لفظ (غير) فمعناه أنه بمزايلةٍ ولهذا أقدم الإمام على طرد هذا المعنى بقوله: لا بمزايلةٍ.

ثانياً: اذا فسرنا الكلام غاضين الطرف عن القوسين فسيكون: إنَّ الذات المنفردة عن الذات الأخرى لا يقع بها المباينة في الصفات.

و(بها) تحتمل معنيين: المزايلة، الغيريّة.

وعلى الأوّل: كيف لا يقع بينهما مزايلةٌ والحال أنَّ صفاته غير عارضةٍ عليه بخلاف صفاتنا!!؟

وعلى الثاني: يكون الكلام متناقضاً إذ فرض أنَّ الذات الأولى مغايرةٌ للذات الأخرى.

---

(١) حدائق الحقائق ١: ١٢٦.

وهل معنى الغيريّة إلّا المباينة؟

ثُمَّ إن كان هذا مراده فلمَ عدل بالغيريّة لا بمزايلة إلى تفسير الغيريّة بالمزايلة مع أنَّه لم يذكر لها معنى!!؟

ثالثاً: لو فسرنا (بها) مع حفظ الأقواس فلا يمكن أن يظهر المعنى المراد.

رابعاً: ما نقله من القيل لا يمكن المساعدة عليه إذ مع كونه واضحاً في تفسير الغيريّة، لكن لم يتعرّض لتفسير لا بمقارنةٍ، أضف إليه صعوبة استخراج هذا المعنى من كلامه (عليه السلام).

فتحصّل: أنَّ ما يريده (عليه السلام) بعد أنْ ذكر أنَّه تعالى مع كلّ شيءٍ لا بنحو الحلول ولا الزمان ولا المكان وأنَّه غير كلّ شيءٍ لا بفرقةٍ وافتراقٍ.

وقال السرخسي: وغير كلّ شيءٍ لا بمزايلة.

يحتمل معنيين أحدهما: إنّه إذا كان مع كلّ شيءٍ لا يكون مزايلا عنه وإن كان غيره.

الثاني: إنّه لم يكن قبل شيئاً، فخلع صورته ومعناه، واكتسب صورةً أخرى، أي: حقيقةً أخرى، وزائل الحقيقة الأولى مثل الهواء إذا صار ماءً فإنّه صار غير الهواء بمزايلة الصورة الهوائية وملامسة الصورة المائيّة[1].

وفيه ما لا يخفى إذ تجده يقول: مع كل شيءٍ لا يكون مزايلاً عنه وإن كان غيره وما هذا إلّا خلطٌ بين الصورتين اللتين أفادهما (عليه السلام).

أمّا قوله الثاني فلا يمكن قبوله ونستعيذ بالله من تفسيره، ولعلّه يقصد غير ما ظهر منه.

---

(١) أعلام نهج البلاغة للسرخسي ٣٧، ٣٨.

المقام الثاني: هل فعله تعالى بنحو الاختراع أم بنحو الإبداع

يبدو من القطب الكيذري عدم الفرق بينهما، وكذلك أفاد المعتزلي.

قال القطب الكيذري: فاعل لا بمعنى الحركات والآلة: أن يبدع الخلق بلا توسّط مادّةٍ أو آلةٍ أو زمانٍ أو غير ذلك، بل على سبيل الاختراع[١].

وقال المعتزلي: لأنَّ فعله اختراعٌ، والحكماء يقولون: ابداع، ومعنى الكلمتين واحدٌ؛ وهو أن يفعل لا بالحركة والآلة كما يفعل الواحد منّا، ولا يوجد شيئاً من شيءٍ[٢].

لكن تقدّم نقل عبارة القايني التي محصلها: عدم كون فعله مسبوقاً بالمدّة والمادّة ويسمّى بالإبداع.

وعدم كونه مسبوقاً بالمادّة دون المدّة ويسمّى بالاختراع.

نعم، ما أفاده المعتزلي حسنٌ لولا أنّه ذكر أخيراً: ولا يوجد شيئاً من شيءٍ.

ونعني بالحسن أنَّ أفعاله تعالى كلّها ليست بنحو أفعال البشر وهو أنَّه تعالى يفعل لا بحركةٍ ولا آلةٍ.

لكنَّه أضاف القيد الأخير وطرد فيه ما طرد.

مع أنَّه (عليه السلام) لم يشر إلى تلك الجهة وكان نظره إلى عدم الاحتياج في فعله لآلةٍ أو حركةٍ غير ناظر إلى خلقه وفعله أكان من عدمٍ أم من وجودٍ أوجده هو.

ومنه ظهر ما في كلام القطب الكيذري.

---

(١) حقائق الحقائق ١: ١٢٦.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٧.

المقام الثالث: السمع والبصر

هل هو عين العلم بالمسموعات والمبصرات أو صفة أخرى؟

تعرّض حبيب الله الخوئي إلى هذا المطلب وأشار إلى ضعف مذهب أبي هاشم وضعف رأي المعتزلي، فأفاد بعد أن ذكر مقدمةً: ذهب المحقّقون على ما عزي إليهم إلى الأوّل.

وذهب طائفةٌ إلى الثاني استدلالاً بذكرهما مع العلم في كثير من الآيات والروايات وبتجشّم الاستدلال في إثباتهما بعد إثبات العلم بجميع المعلومات.

ويضعّف بأنَّ ذكر الخاصّ مع العام شايع، وتكلّف الاستدلال في اثباتهما على تحقّق هذا العلم المخصوص له سبحانه أعني العلم بالمسموع والمبصر من حيث إنّه مسموعٌ ومبصرٌ، حتّى أنَّهما حاضران عنده على هذه الحيثيّة المشاهدة الذاتيّة بلا آلةٍ، كما أنّهما حاضران عندك بالمشاهدة العينيّة وتوسط الآلة، فإثبات السمع والبصر من حيث إنَّهما علمٌ داخلٌ تحت إثبات العلم مطلقاً ومن حيث الخصوصيّة المذكورة محتاجٌ إلى دليلٍ مستقلٍّ.

ومّما ذكرنا ظهر ما في كلام بعض الأعلام حيث أورد بقوله: فإن قلت: لم يكن شيءٌ من المبصرات والمسموعات في الأزل، فلم يكن الله سميعاً وبصيراً في الأزل، إذ لا يعقل سماع المسموعات الحادثة، وإبصار المبصرات الحادثة في الأزل.

وأجاب بقوله: قلنا: إنَّه سميعٌ وبصيرٌ في الأزل بمعنى أنّه كان على وجهٍ إذا وجد المسموع والمبصر لإدراكهما عند وجودهما، انتهى كلامه.

وتوضيح ما أجاب به ما حكاه الشارح المعتزلي عن أبي هاشم وأصحابه، حيث قال: إنَّهم يطلقون عليه في الأزل أنّه سميعٌ بصيرٌ، وليس هناك مسموعٌ ولا

مبصرٌ، ومعنى ذلك كونه بحالٍ ويصحّ منه إدراك المسموعات والمبصرات إذا وجدت، وذلك يرجع إلى كونه حيّاً لا آفة به، ولا يطلقون عليه أنّه سامعٌ مبصرٌ في الأزل، لأنَّ السامع هو المدرك بالفعل لا بالقوّة، وكذلك المبصر.

وأنت بعد الخبرة بما ذكرناه تعرف فساد جميع ما ذكروا من السؤال والجواب وما حكيناه عن أبي هاشم وأصحابه.

أمّا السؤال فلأنَّ السمع والبصر حسبما عرفت عبارة عن العلم، والعلم بالشيء غير متوقّفٍ على وجوده، وقد يتحقّق ذلك في أفراد البشر، فكيف الباري الذي لا يخفى عليه شيءٌ.

وأمّا الجواب فلأنَّ فيه اعترافاً بورود السؤال، وأنّه تعالى لا يدرك المسموع والمبصر قبل وجودهما، وإشعاراً بأنَّ فيه جلّ شأنه استعداداً لحصول العلم والإدراك كما ينّبه عليه ما حكيناه عن أبي هاشم من أنَّ القول بذلك ضروري البطلان، حيث إنَّ الصفات الذاتيّة الكماليّة كلّها فعليّة في حقّه سبحانه وليست شأنية(١).

أقول: بما أنَّ الموجودات – بما هي معاليل له – قائمة الذوات به قيام الربط بالمستقل.

حاضرةٌ بوجوداتها عنده، فهي معلومةٌ له علماً حضورياً في مرتبة وجوداتها، المجرّدة منها بأنفسها، والمادّية منها بصورها المجرّدة.

فقد تحقّق أنَّ للواجب (تعالى) علماً حضورياً بذاته، وعلماً حضورّياً تفصيليّاً بالأشياء في مرتبة ذاته قبل إيجادها، وهو عين ذاته: وعلماً حضوريّاً تفصيليّاً بها في مرتبتها وهو خارجٌ من ذاته.

---

(١) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٤٧ ـ ٣٤٨.

ومن المعلوم أنَّ علمه بمعلوماته يستوجب العلم بما عندها من العلم[1].

وقد أثبتنا أنَّ السمع والبصر هما العلم بالمسموعات والمبصرات.

ثُمَّ لا ننسى أنّنا في مقام شرح خطبة الأمير (عليه السلام) الظاهرة جدّاً في الفعليّة لا الشأنيّة ولو بوحدة السياق الذي هو قطعاً في الفعليّة.

المقام الرابع: في روايةٍ شريفةٍ.

روي في الكافي عن أبي بصير قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ: «لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ رَبَّنَا وَ الْعِلْمُ ذَاتُهُ وَ لَا مَعْلُومَ وَ السَّمْعُ ذَاتُهُ وَ لَا مَسْمُوعَ وَ الْبَصَرُ ذَاتُهُ وَ لَا مُبْصَرَ وَ الْقُدْرَةُ ذَاتُهُ وَ لَا مَقْدُورَ فَلَمَّا أَحْدَثَ الْأَشْيَاءَ وَ كَانَ الْمَعْلُوم وَقَعَ الْعِلْمُ مِنْهُ عَلَى الْمَعْلُومِ وَ السَّمْعُ عَلَى الْمَسْمُوعِ وَ الْبَصَرُ عَلَى الْمُبْصَرِ وَ الْقُدْرَةُ عَلَى الْمَقْدُور»[2].

أقول: بما أنَّ علمه تعالى غير موقوفٍ على المعلوم خارجاً فثبت أنَّ علمه فعليٌّ، فكذا سائر صفاته لوحدة السياق كما قلنا في المقام المتقدّم.

---

(١) بداية الحكمة للطباطبائي ٢٠٤.

(٢) الكافي للكليني ١: ١٠٧.

قال (عليه السلام): «مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَ لَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ».

المقام الأول: في معنى سَكَنَ

قال ابن منظور: والسَكَنُ: كلّ ما سكنت إليه واطمأننت به من أهل وغيره، وربما قالت العرب السَكَنُ لما يَسكَن إليه، ومنه قوله تعالى: جعل لكم الليل سَكَناً. والسَّكَنُ: المرأة لأنَّها يُسكَنَ إليها[1].

والمعنى: أنَّه تعالى لم يكن له أنيسٌ فيستأنس به ويركن إليه حتّى إذا فقد الأنس به استوحش لفقده؛ إذ الإستيناس والإستيحاش يتعلّقان بالميل والنفرة وكلاهما تابعٌ للمزاج وقد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

المقام الثاني: في الكلام المستأنف.

قال المعتزلي ردّاً على القطب الراوندي: قوله (عليه السلام): (يستوحش)، كلامٌ مستأنفٌ.

ولقائلٍ أن يقول: كيف يكون كلاماً مستأنفاً، والهاء في (فقده) ترجع إلى السكن المذكور أوّلاً![2].

ولا أعرف كيف وقع ذلك للشارح المعتزلي، وكيف يتصوّر انه قصد بقوله الإستيناف انقطاع الثاني عن الأوّل مع أنَّ القطب أجلّ من هذا وأرفع.

وكيف للقطب أن يحكم بالإستيناف والجملة أخذ بينها وبين ما تقدّمها واو

---

(١) لسان العرب ٦: ٣١٢.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٩.

العطف؟

وكيف يمكن أن نتصوّر أنّه فسّر الواو بالإستيناف مع أنَّ لا يستوحش مرتبطة بما قبلها لفظاً ومعنى.

وهذا كلّه يحتم علينا أن نفسر قوله بأنَّ الجملة: متوحدٌ إذ لا سكن... إستينافيّةٌ.

بقرينة عدم إمكان حمله للإستيناف بخصوص (يستوحش).

وقرينة عدم ذكره الواو أنَّها للإستيناف.

مثله مثل واسأل القرية فهل تسجل إشكالاً على التعبير القرآني؟!!

وإذا حملت الكلام على ما يناسبه فاحمل كلامه على ما يناسبه أيضاً.

فصحّ للقطب الاعتماد لولا وجود مثله في البلاد.

المقام الثالث: (إذ) الظرفيّة.

قال المعتزلي: (متوحدٌ، إذ لا سكن يستأنس به، ويستوحش لفقده)، فـ(إذ) ههنا ظرفٌ، ومعنى الكلام: أنَّ العادة والعرف إطلاق (متوحد) على من قد كان له من يستأنس بقربه ويستوحش ببعده فانفرد عنه، والبارئ سبحانه يطلق عليه أنَّه متوحّد في الأزل ولا موجود سواه؛ وإذا صدق سلب الموجودات كلّها في الأزل صدق سلب ما يؤنس أو يوحش؛ فتوحّده بخلاف توحّد غيره[1].

وقوله: (إذ) ههنا ظرفٌ لا نسلّم به؛ إذ كلام الأمير (عليه السلام) شاملٌ لجميع الأزمنة بل شاملٌ لغير الزمان، وإذ تكون اسماً للزمن الماضي فقط.

وعليه: فبالإمكان اتخاذ الخلان في الزمن المضارع بل ما قبل الأزمان.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٧.

وهذا المعنى فاسدٌ.

قد يقال: أنَّه يؤّول بما يشمل الأزل والزمان.

فإنّه يجاب: نقبل ذلك لو انحصر الأمر به، وهو غير منحصرٍ لأنَّ إذ كما تجيء اسماً للزمن الماضي واسماً للزمن المستقبل قد تجيء لمحض التعليل كما في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[1]، وعندئذٍ تكون هنا تعليليّة، وهي حرفٌ لا اسم كما قاله ابن هشام[2].

ثُمَّ إنَّ قوله: فتوحّده بخلاف توحّد غيره ينافي قوله: وإذا صدق سلب الموجودات كلّها...

(١) سورة الزخرف، الآيتين: ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ١: ١١٤.

قال (عليه السلام): أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَ ابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَ لَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا، وَ لَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا».

المقام الأول: الإنشاء والابتداء.

قال القايني في كلامٍ طويلٍ سنعرضه لأنّه تناول الآراء:

قوله (عليه السلام): «**أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَ ابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً**».

قال المحقّق البحراني (قده): لم أجد لأهل اللغة فرقاً بين الإنشاء وبين الابتداء وهو الإيجاد الذي لم يسبق بمثله إلّا أنّه يمكن الفرق بينهما ها هنا صوناً لكلامه (عليه السلام) عن التكرار.

بأن يقال: المفهوم من الأشياء [الإنشاء] هو الإيجاد الذي لم يسبق غير الموجد إليه، والمفهوم من الابتداء هو الايجاد الذي لم يقع من الموجود قبل، انتهى.

وقال الشارح المعتزلي: فأمّا قوله (عليه السلام): أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه ابتداءً، فكلمتان مرادفتان على طريقة الفصحاء والبلغاء كقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ ، انتهى.

وقال الشارح الخوئي: الإنشاء والابتداء لغةً بمعنى واحدٍ، كقوله تعالى وهو الذي أي ابتدأكم هو خلقكم ثُمَّ قال: وقد يفرق بينهما حيث اجتمعا صوناً للكلام عن التكرار، تارةً بأنَّ الإنشاء هو الإيجاد لا عن مادة، والابتداء هو الإنشاء لا لعلّةٍ.

ففي الأوّل إشارةٌ إلى نفي العلّة المادّية.

وفي الثاني اشارةٌ إلى نفي العلّة الغائية.

وتارة أخرى بأنَّ الإنشاء هو الإيجاد الذي لم يسبق غير الموجد إلى إيجاد

مثله، والابتداء هو الإيجاد الذي لم يوجد الموجد قبله مثله.

وثالثةً بأنَّ الإنشاء هو الإيجاد من غير مثالٍ سابقٍ، والابتداء هو الإيجاد من غير صورٍ الهاميّة، فالصفة على الموجد، انتهى.

هذا ما ذكروه في شروح الجملة، والمآل فيه أنّهم لمن يفرقوا بين الإنشاء والابتداء إلّا صوناً وليس كذلك.

فإنَّ الإنشاء غير الابتداء كما أنَّ الابتداء غير الإنشاء، وكلّ واحد اختصّ بموردٍ خاصٍّ من حيث الاستعمال.

وليس في العبارة تكرار حتّى يحتاج إلى هذه التكلّفات التي لا يساعدها العقل، ولابدَّ لنا أوّلاً الفرق بينهما ثُمَّ الخوض في شرح الجملة، فنقول: الإنشاء والابتداء يفترق كلّ واحدٍ منهما عن الآخر بوجوده:

الأوّل: إنَّ الإنشاء عبارة عن إيجاد الشيء وتربيته، وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ وكذا سائر الآيات.

والابتداء ليس كذلك بل كثيراً ما يتحقّق في الشيء بعد وجوده حيواناً كان أو غيره فإنّه عبارة عن أوّل الشيء، ومعلوم أنَّ أوّل الشيء قبل وجوده لا أوّل له.

الثاني: إنَّ الانشاء في المجرّدات، والابتداء في غيرها، ولمّا كانت الموجودات الإمكانيّة على قسمين: الأوّل: المجرّدات كالعقول والنفوس.

والثاني: كالأفلاك والعناصر.

وكلاهما مخلوقان له تعالى فعبّر عن خلق المجرّدات بالإنشاء وعن غيرها بالابتداء، ولتقدّم المجرّدات على غيرها من حيث الوجود قدّم الإنشاء على الابتداء.

الثالث: إنّه لا واسطة بين المنشإ والمنشأ بخلاف المبتدأ والمبتدأ فالصادر الأوّل حيث أنّه لا واسطة بينه وبين علّته يعبّر عن خلقه بالإنشاء وعن غيره بالابتداء.

ولأجل لك يعبرون عن المعقولات والموجودات الذهنيّة بالمنشآت النفسانيّة ويقولون إنَّ النفس إنشائها [أنشأها] ولا يقولون إنَّ النفس ابتدائها [ابتدأها] كما يعبّرون عن الأفعال الخارجيّة التي توجدها النفس بتوسط الآلات والقوى بالابتداء، فإذا ضربت زيداً يقال: ابتدأ بالضرب، وإذا شرعت في الأكل أو الشرب أو النوم أو السير يقال: ابتدأ بالأكل والشرب والنوم والسير وغير ذلك.

مع أنَّ كلاهما [كليهما] أي الأفعال الذهنيّة والخارجيّة من شؤون النفس وأفعالها الّا أنَّ الأوّل بلا واسطةٍ من الآلات والأدوات والثاني بواسطتها.

الرابع: إنَّ الإنشاء يقال في الإيجاد الدفعي، والابتداء في الايجاد – الأفعال التدريجيّة فإذا كان الفعل آني الحصول يقال له أنشأه، وإذا كان تدريجي الحصول يقال ابتدء به.

فالإنشاء يناسب إيجاد المجرّدات – لأنّها دفعيّةٌ، والابتداء يناسب غير المجرّدات لأنّها تدريجيّة الحصول.

والفروق كثيرةٌ الّا أنَّ فيما ذكرنا كفاية، فما ذكره (قده) وتبعه سائر الشرّاح من أنَّ الإنشاء والابتداء لا فرق بينهما لا يرجع إلى محصّل، فأين التكرار في العبارة مع أنَّ الموجودات الإمكانيّة على حدّ سواء.

فعلى هذا يصير المعنى، أنشأ، أي: أوجد الله تبارك وتعالى إيجاداً وابتدأ بالإيجاد ابتداءً إلخ.

وكلمة إنشاء منصوب على كونه مفعولاً مطلقاً لفعله أعني: أنشأ وكذلك

ابتداءً، وحيث إنّ المفعول المطلق يفيد النوعيّة كما ثبت في النحو فالمقصود أنّ الإنشاء والابتداء من الله تعالى بالنسبة إلى الموجودات يكون نوعاً خاصّاً وليس كسائر الإنشاءات والابتداءات التي في غيره من الموجودات فإنَّها مسبوقةٌ بالفكر...[١]

ولنتناول المحقّقين ثمَّ المعتزلي، فنقول:

سلّمنا لكما الفوارق بينهما – إذا كان بالإمكان قطع النظر عرفاً ولغةً – لكن يجب عليك[٢] ابداء جامعٍ يكون متكئاً للإمام (عليه السلام) إذ المعاني إذا كثرت لا يمكن أن تؤدّى بإستعمالٍ واحدٍ، ولهذا كاد أن يجمع الأصحاب على عدم جواز الاستعمال في أكثر من معنى عقلاً، خصوصاً أنكما اعترفتما بالاتّحاد لغةً وذكرتما بعد ذلك ما يوجب خروجه من التكرار من دون أن تنصبا قرينةً على المختار.

أمّا القايني فنسرد عدّة إشكالات ونطوي على بعضها لئلا يطول بنا المقام.

أوّلاً: إن أردت من الاستعمال الاستعمال الحقيقي فهو كما تقول لكنّه بحاجةٍ الى مزيدٍ بيان إذ القوم ادّعوا أنَّهما بمعنى واحدٍ وأنت تدّعي أنّهما لمعنيين متغايرين فتكون دعواك مقابل دعواهم والحال أنَّ المناسب التبيان على رفض تلك الدعوى.

وإن أردت أنّه مجازٌ، فأين القرينة؟

ثانياً: إنَّ قوله: أكثر... ينافي ما ادّعاه.

إذ لا يمكنه إثبات هذا المعنى إن كان ينازعه معنى آخر.

ثالثاً: لا نجد إشكالاً في أنَّ الشيء قبل وجوده لا أوّل له، إنّما الإشكال في الابتداء الذي أُخذ فيه معنى (الأوّل) فكيف يتحقّق ثانياً بعد الوجود!!؟

---

(١) مفتاح السعادة للقايني ١: ١٥٦-١٥٩.

(٢) هذا متوجهٌ على الخوئي فقط.

رابعاً: الثالث ينافي الثاني، فما دام الإنشاء مختصاً بالصادر الأوّل فمعنى ذلك عدم إمكان أن يجعل في مورده أي أحد.

خامساً: يعطي معنى كلامك أنَّ الصادر الأوّلِ المنشأ خلق بشكلٍ دفعيٍ وغيره خلق بشكلٍ تدريجيٍ، وهو كما تراه.

أمّا ما نقله عن المعتزلي فهو وإن كان صحيحاً لغةً إلّا أنّنا لا يمكننا المصير إليه تنزيهاً لمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ ماذا يعني التكرار وحده؟ ولذا احتاج أن يدعم المعتزلي رأيه بالآيات القرآنيّة التي فيها ما دقّ وما خفي.

على أنَّ في الآيتين قد يستفاد من التكرار التوكيد الذي لا يمكن هنا ولا يصحّ.

إذن، ما المراد بالإنشاء والابتداء؟

لو رجعنا إلى اللفظين ودقّقنا فيهما لوجدناهما يختلفان فالإنشاء معنى يحتاج إلى النشوء، أي: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾(١) ﴿أنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾(٢) ﴿أنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾(٣) ﴿أنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾(٤) غاية الأمر في بعض الأحيان يسكت عن ذلك لأنَّ غرضه غير متعلق بها كقوله تعالى ﴿أنشَأْنَا قُرُونًا﴾(٥)

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٣٣.

(٤) سورة هود، الآية: ٦١.

(٥) سورة القصص، الآية: ٤٥.

وهذا بخلافه في ابتدأ فإنّه يطلق ويراد به الابتداء والأوّل، فتحصّل: أنَّ هذا هو الأوّل وذاك يأتي بعده.

ثُمَّ هل يتلائم مع كلام المولى أمير المؤمنين (عليه السلام)؟

لاشكَّ بملائمته فهو قال: أنشأ الخلق انشاءً ومقصوده - والله أعلم - أنَّه خلقهم من شيءٍ هو خالقه أيضاً.

وقوله: ابتدأه ابتداءً، مقصوده الإشارة إلى العناصر الأوّلى التي خلقها فكان مبتدأً وبعد ذلك أنشأ فكان منشأً فتبارك الله رب العالمين.

ونحن لا ندّعي هنا عدم امكان استعمال الإنشاء في مطلق الإيجاد بل دعوانا كانت على استظهار كون الإنشاء بالمعنى الذي تقدّم.

بقي ههنا شيئان مهمّان.

الأوّل: ما ادّعاه القايني من أنَّ إنشاءً وابتداءً مفعولان مطلقان يفيدان النوع.

وفيه: أنَّ النحاة ذكروا المفعول المطلق الذي يبيّن النوع وهو ما يكون على واحدٍ من ثلاثة أحوال:

الأوّل: أن يكون مضافاً، نحو: اعمل عمل الصالحين.

الثاني: أن يكون موصوفاً، نحو: اعمل عملاً صالحاً.

الثالث: أن يكون مقروناً بأل العهديّة، نحو: اجتهد الاجتهاد[١].

ولمّا لم يكن كذلك، ولم يكن مبيّناً للعدد، تعيّن أن يكون للتوكيد إذ لا رابع.

الثاني: حاول المعتزلي في مقاله من جعل أمير المؤمنين (عليه السلام) تابعاً لطريقة الفصحاء والبلغاء وهو ما لا يمكن تصوّره.

---

(١) انظر: حاشية محيي الدين عبد الحميد على شرح ابن عقيل ٢: ١٤٦.

إذ كيف يكون تبعاً لهم وهو ابن عم الحبيب المصطفى الذي كان يقتفي أثره في كلّ قولٍ وفعل.

وانظر ما قالوه في حقّ أنفسهم (عليهم السلام)

قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ (صلى الله عليه وآله): «أُعْطِينَا أَهْلَ اَلْبَيْتِ سَبْعَةً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَنَا وَ لاَ يُعْطَاهُنَّ أَحَدٌ بَعْدَنَا اَلصَّبَاحَةَ وَ اَلْفَصَاحَةَ وَ اَلسَّمَاحَةَ وَ اَلشَّجَاعَةَ وَ اَلْعِلْمَ وَ اَلْحِلْمَ وَ اَلْمَحَبَّةَ فِي اَلنِّسَاءِ»[1].

وروي: أنّ عليّ بن الحسين (عليه السلام) لمّا سمع ما سمع من الخاطب (لعنه الله) قال ليزيد: «أريد أن تأذن لي أن أصعد المنبر فأتكلّم بكلمات فيهنّ للّه رضا و لهؤلاء الجلساء أجر، فأبى يزيد. فقال الناس: يا أمير المؤمنين ائذن فليصعد، فلعلّنا نسمع منه شيئا. فقال: إنّه إن صعد لم ينزل إلاّ بفضيحتي و بفضيحة آل أبي سفيان. فقيل له: و ما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنّه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقّا. قال: فلم يزالوا به حتّى أذن له، فصعد المنبر ، فحمد اللّه و أثنى عليه، ثمّ خطب خطبة أبكى بها العيون، و أوجل منها القلوب، ثمّ قال: أيّها الناس، اعطينا ستّا، و فضّلنا، بسبع اعطينا: العلم، و الحلم، و السماحة، و الفصاحة، و الشجاعة، و المحبّة في قلوب المؤمنين، و فضّلنا بأنّ منّا النبيّ المختار محمد صلّى اللّه عليه و آله، و منّا الصدّيق، و منّا الطيّار، و منّا أسد اللّه و أسد رسوله، و منّا خيرة نساء العالمين، و منّا سبطا هذه الامّة [و سيّدا شباب أهل الجنّة] ، من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني أنبأته بحسبي و نسبي. أيّها الناس، أنا ابن مكّة و منى، أنا زمزم و الصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء، أنا ابن خير من اتّزر و ارتدى، أنا ابن خير من انتعل و احتفى، أنا ابن خير من

(١) بحار الأنوار ٢٦: ٢٦٥.

طاف و سعى، أنا ابن خير من حجّ و لبّى، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء، أنا ابن من اسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلّى فكان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن عليّ المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتّى قالوا: لا إله إلاّ اللّه، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول اللّه (صلّى الله عليه وآله) بسيفين، و طعن برمحين، و هاجر الهجرتين، و بايع البيعتين، و قاتل ببدر و حنين، و لم يكفر باللّه طرفة عين. أنا ابن صالح المؤمنين، و وارث النبيّين، و قامع الملحدين، و يعسوب المسلمين، و نور المجاهدين، و زين العابدين، و تاج البكّائين، و أصبر الصابرين، و أفضل العالمين، و أفضل القائمين، من آل طه و ياسين، أنا ابن المؤيّد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، و المجاهد أعداءه الناصبين، و أفضل من مشى من قريش أجمعين، و أوّل من استجاب للّه و لرسوله من المؤمنين، و أوّل السابقين، و قاصم المعتدين، و مبيد المشركين، و سهم مرامي اللّه على المنافقين، و لسان حكمة العابدين، و ناصر دين اللّه، و وليّ أمر اللّه، و بستان حكمة اللّه، و عيبة علمه. سمح سخيّ، بهلول زكيّ، مقدّم همام، صبّار صوّام، مهذّب قوّام، قاطع الأصلاب، و مفرق الأحزاب، أربطهم عنانا، و أثبتهم جنانا، و أمضاهم عزيمة، و أشدّهم شكيمة، أسد باسل يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنّة، و قويت الأعنّة طحن الرحا، و يذروهم فيها ذري الريح الهشيم. ليث الحجاز، و كبش العراق، مكّيّ مدنيّ، [أبطحي تهامي،] خيفي عقبي، بدريّ احديّ، شجريّ مهاجري، من العرب سيّدها، و في الوغا ليثها، وارث المشعرين، و أبو السبطين،

الحسن و الحسين [مظهر العجائب، و مفرّق الكتائب، و الشهاب الثاقب، و النور العاقب، أسد اللّه الغالب، مطلوب كلّ طالب] ، ذاك جدّي عليّ بن أبي طالب. ثمّ قال: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء. فلم يزل يقول أنا أنا حتّى ضجّ الناس بالبكاء و النحيب و الأنين، و خشي يزيد اللعين أن تكون فتنة فأمر المؤذّن، فقال: اقطع عليه الكلام. فلمّا قال المؤذّن: اللّه أكبر اللّه أكبر، قال (عليه السلام): اللّه أكبر من كلّ شيء. فلمّا قال: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، قال عليّ بن الحسين (عليه السلام): شهد بها شعري و بشري و لحمي و دمي. فلمّا قال المؤذّن: أشهد أنّ محمدا رسول اللّه، التفت عليّ (عليه السلام) من فوق المنبر إلى يزيد، فقال: محمد هذا جدّي أم جدّك، يا يزيد؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت و كفرت، و إن زعمت أنّه جدّي فلم قتلت عترته؟ قال: و فرغ المؤذّن من الأذان و الاقامة، و تقدّم يزيد و صلّى صلاة الظهر»[١].

المقام الثاني: ما يرد على الخوئي والمعتزلي

قال المعتزلي: وقوله (بلا رويّةٍ أجالها) فالرويّة الفكرة، وأجالها: ردّدها؛ ومن رواه: (أحالها) بالحاء، أراد صرفها.

وقوله: (ولا تجربةٍ استفادها)، أي لم يكن قد خلق من قبل اجساماً فحصلت له التجربة التي أعانته على خلق هذه الاجسام.

وقوله: (ولا حركةٍ أحدثها) فيه ردٌّ على الكرّامية الذي يقولون: إنّه إذا أراد أن يخلق شيئاً مبايناً عنه أحدث في ذاته حادثاً، يسمّى الأحداث، فوقع ذلك الشيء

---

(١) بشارة المصطفى ١: ١٣٥.

المباين عن ذلك المعنى المتجدّد المسمّى إحداثاً[(١)].

وقال حبيب الله الخوئي: بلا رويّةٍ أجالها ولا فكر أراده أو صرفه إليهم ولا تجربة معينة له على خلق هذه الأجسام استفادها، أي: اكتسبها لنفسه من قبل.

بمعنى: أن يكون خالقاً من قبل أجساماً مجرباً له مرّةً بعد أخرى، فحصلت له تلك التجربة.

ثُمَّ قال: (ولا حركة أحدثها) كما أنّا نحتاج في أفعالنا الاختياريّة بعد التصوّر والشوق والإرادة إلى إحداث حركة في العضلات ليقع الفعل في الخارج وهو سبحانه تعالى شأنه عن ذلك لكون الحركة من خواص الجسم وهو تعالى منزّه على الجسميّة ولواحقها[(٢)].

ولا نعلم ما أوجب حصرهم لخلق الأجسام؟

أليست الأرواح خالقها الله؟

لعلّهما يعتقدان أنَّ الروح خلق من الجسم أو بعده.

ويرد عليهما إن كان ذا مقصودهما ما رواه الشيخ الصدوق اَلْمُفَضَّل بْن عُمَرَ قَالَ: قَالَ أَبو عَبْدِ اَللَّهِ (عليه السلام): «إِنَّ اَللَّهَ تَبارَكَ وَ تَعالَى خَلَقَ اَلْأَرْوَاحَ قَبْلَ اَلْأَجْسَادِ بِأَلْفَيْ عَامٍ فَجَعَلَ أَعْلاَهَا وَ أَشْرَفَهَا أَرْوَاحَ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَ اَلْحَسَنِ وَ اَلْحُسَيْنِ وَ اَلْأَئِمَّةِ بَعْدَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيهِمْ فَعَرَضَهَا عَلَى اَلسَّمَاوَاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلْجِبَالِ فَغَشِيَهَا نُورُهُمْ فَقَالَ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لِلسَّمَاوَاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلْجِبَالِ هَؤُلاَءِ أَحِبَّائِي وَ أَوْلِيَائِي وَ حُجَجِي عَلَى خَلْقِي وَ أَئِمَّةُ بَرِيَّتِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ وَ لِمَنْ تَوَلاَّهُمْ

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٧ ـ ٦٨.

(٢) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٥٥.

خَلَقْتُ جَنَّتِي وَ لِمَنْ خَالَفَهُمْ وَ عَادَاهُمْ خَلَقْتُ نَارِي فَمَنِ اِدَّعَى مَنْزِلَتَهُمْ مِنِّي وَ مَحَلَّهُمْ مِنْ عَظَمَتِي عَذَّبْتُهُ عَذَاباً لاَ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ اَلْعَالَمِينَ وَ جَعَلْتُهُ مَعَ اَلْمُشْرِكِينَ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنْ نَارِي وَ مَنْ أَقَرَّ بِوَلاَيَتِهِمْ وَ لَمْ يَدَّعِ مَنْزِلَتَهُمْ مِنِّي وَ مَكَانَهُمْ مِنْ عَظَمَتِي جَعَلْتُهُ مَعَهُمْ فِي رَوْضَاتِ جَنَّاتِي وَ كَانَ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ عِنْدِي وَ أَبَحْتُهُمْ كَرَامَتِي وَ أَحْلَلْتُهُمْ جِوَارِي- وَ شَفَّعْتُهُمْ فِي اَلْمُذْنِبِينَ مِنْ عِبَادِي وَ إِمَائِي فَوَلاَيَتُهُمْ أَمَانَةٌ عِنْدَ خَلْقِي فَأَيُّكُمْ يَحْمِلُهَا بِأَثْقَالِهَا وَ يَدَّعِيهَا لِنَفْسِهِ دُونَ خِيَرَتِي فَأَبَتِ اَلسَّمَاوَاتُ وَ اَلْأَرْضُ وَ اَلْجِبَالُ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أَشْفَقْنَ مِنِ اِدِّعَاءِ مَنْزِلَتِهَا وَ تَمَنِّي مَحَلِّهَا مِنْ عَظَمَةِ رَبِّهَا - فَلَمَّا أَسْكَنَ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ آدَمَ وَ زَوْجَتَهُ اَلْجَنَّةَ قَالَ لَهُمَا- كُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لاَ تَقْرَبَا هٰذِهِ اَلشَّجَرَةَ يَعْنِي شَجَرَةَ اَلْحِنْطَةِ- فَتَكُونَا مِنَ اَلظَّالِمِينَ فَنَظَرَا إِلَى مَنْزِلَةِ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَ اَلْحَسَنِ وَ اَلْحُسَيْنِ وَ اَلْأَئِمَّةِ بَعْدَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيهِم فَوَجَدَاهَا أَشْرَفَ مَنَازِلِ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ فَقَالاَ يَا رَبَّنَا لِمَنْ هَذِهِ اَلْمَنْزِلَةُ فَقَالَ اَللَّهُ جَلَّ جَلاَلُهُ اِرْفَعَا رُءُوسَكُمَا إِلَى سَاقِ عَرْشِي فَرَفَعَا رُءُوسَهُمَا فَوَجَدَا اِسْمَ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَ اَلْحَسَنِ وَ اَلْحُسَيْنِ وَ اَلْأَئِمَّةِ بَعْدَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيهِمْ مَكْتُوبَةً عَلَى سَاقِ اَلْعَرْشِ بِنُورٍ مِنْ نُورِ اَلْجَبَّارِ (جَلَّ جَلاَلُهُ) فَقَالاَ يَا رَبَّنَا مَا أَكْرَمَ أَهْلَ هَذِهِ اَلْمَنْزِلَةِ عَلَيْكَ وَ مَا أَحَبَّهُمْ إِلَيْكَ وَ مَا أَشْرَفَهُمْ لَدَيْكَ فَقَالَ اَللَّهُ (جَلَّ جَلاَلُهُ) لَوْ لاَ هُمْ مَا خَلَقْتُكُمَا هَؤُلاَءِ خَزَنَةُ عِلْمِي وَ أُمَنَائِي عَلَى سِرِّي إِيَّاكُمَا أَنْ تَنْظُرَا إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ اَلْحَسَدِ وَ تَتَمَنَّيَا مَنْزِلَتَهُمْ عِنْدِي وَ مَحَلَّهُمْ مِنْ كَرَامَتِي فَتَدْخُلاَ بِذَلِكَ فِي نَهْيِي وَ عِصْيَانِي فَتَكُونَا مِنَ اَلظَّالِمِينَ قَالاَ رَبَّنَا وَ مَنِ اَلظَّالِمُونَ قَالَ اَلْمُدَّعُونَ لِمَنْزِلَتِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ قَالاَ رَبَّنَا فَأَرِنَا مَنَازِلَ ظَالِمِيهِمْ فِي نَارِكَ حَتَّى نَرَاهَا كَمَا رَأَيْنَا مَنْزِلَتَهُمْ فِي جَنَّتِكَ فَأَمَرَ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى اَلنَّارَ فَأَبْرَزَتْ جَمِيعَ مَا فِيهَا مِنْ أَلْوَانِ اَلنَّكَالِ وَ اَلْعَذَابِ وَ قَالَ (عَزَّ وَ جَلَّ) مَكَانُ اَلظَّالِمِينَ لَهُمُ اَلْمُدَّعِينَ لِمَنْزِلَتِهِمْ فِي

أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنْهَا كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بُدِّلُوا سِوَاهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ - يَا آدَمُ وَ يَا حَوَّاءُ لاَ تَنْظُرَا إِلَى أَنْوَارِي وَ حُجَجِي بِعَيْنِ الْحَسَدِ فَأُهْبِطُكُمَا عَنْ جِوَارِي وَ أُحِلُّ بِكُمَا هَوَانِي - فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَ قَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَ قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ. فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ وَ حَمَلَهُمَا عَلَى تَمَنِّي مَنْزِلَتِهِمْ فَنَظَرَا إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْحَسَدِ فَخُذِلاَ حَتَّى أَكَلاَ مِنْ شَجَرَةِ الْحِنْطَةِ فَعَادَ مَكَانَ مَا أَكَلاَ شَعِيراً فَأَصْلُ الْحِنْطَةِ كُلِّهَا مِمَّا لَمْ يَأْكُلاَهُ وَ أَصْلُ الشَّعِيرِ كُلِّهِ مِمَّا عَادَ مَكَانَ مَا أَكَلاَهُ فَلَمَّا أَكَلاَ مِنَ الشَّجَرَةِ طَارَ الْحُلِيُّ وَ الْحُلَلُ عَنْ أَجْسَادِهِمَا وَ بَقِيَا عُرْيَانَيْنِ وَ طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَ لَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ فَ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطَا مِنْ جِوَارِي فَلاَ يُجَاوِرُنِي فِي جَنَّتِي مَنْ يَعْصِينِي فَهَبَطَا مَوْكُولَيْنِ إِلَى أَنْفُسِهِمَا فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ (عزّ و جلّ) أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمَا جَاءَهُمَا جَبْرَئِيلُ فَقَالَ لَهُمَا إِنَّكُمَا إِنَّمَا ظَلَمْتُمَا أَنْفُسَكُمَا بِتَمَنِّي مَنْزِلَةِ مَنْ فُضِّلَ عَلَيْكُمَا فَجَزَاؤُكُمَا مَا قَدْ عُوقِبْتُمَا بِهِ مِنَ الْهُبُوطِ مِنْ جِوَارِ اللَّهِ (عزّ و جلّ) إِلَى أَرْضِهِ فَسَلاَ رَبَّكُمَا بِحَقِّ الْأَسْمَاءِ الَّتِي رَأَيْتُمُوهَا عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ حَتَّى يَتُوبَ عَلَيْكُمَا فَقَالاَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ الْأَكْرَمِينَ عَلَيْكَ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ وَ الْأَئِمَّةِ (عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ) إِلاَّ تُبْتَ عَلَيْنَا وَ رَحِمْتَنَا فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ فَلَمْ يَزَلْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ يَحْفَظُونَ هٰذِهِ الْأَمَانَةَ وَ يُخْبِرُونَ بِهَا أَوْصِيَاءَهُمْ وَ الْمُخْلَصِينَ مِنْ أُمَمِهِمْ فَيَأْبَوْنَ حَمْلَهَا وَ يُشْفِقُونَ مِن ادِّعَائِهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ الَّذِي قَدْ عُرِفَ فَأَصْلُ كُلِّ ظُلْمٍ مِنْهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ (عزّ

وَ جَلَ)- إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ ٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا ٱلْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً»[١].

وما رواه شيخ البحر: قال رَسُولُ ٱللَّهِ (صلى الله عليه وآله): «إِنَّ ٱللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ خَلَقَ ٱلْأَرْوَاحَ قَبْلَ ٱلْأَجْسَامِ بِأَلْفَيْ عَامٍ وَ عَلَّقَهَا بِالْعَرْشِ وَ أَمَرَهَا بِالتَّسْلِيمِ عَلَيَّ وَ ٱلطَّاعَةِ لِي وَ كَانَ أَوَّلُ مَنْ سَلَّمَ عَلَيَّ وَ أَطَاعَنِي مِنَ ٱلرِّجَالِ رُوحَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام)»[٢].

وما رواه الصفار: قَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): «إِنَّ ٱللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى خَلَقَ ٱلْأَرْوَاحَ قَبْلَ ٱلْأَبْدَانِ بِأَلْفَيْ عَامٍ فَلَمَّا رَكَّبَ ٱلْأَرْوَاحَ فِي أَبْدَانِهَا كَتَبَ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرٌ وَ مَا هُمْ بِهِ مُبْتَلَوْنَ وَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ وَ حَسَنِهِ فِي قَدْرِ أُذُنِ ٱلْفَأْرَةِ ثُمَّ أَنْزَلَ بِذَلِكَ قُرْآناً عَلَى نَبِيِّهِ فَقَالَ (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) وَ كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ (صلى الله عليه وآله) هُوَ ٱلْمُتَوَسِّمَ وَ أَنَا بَعْدَهُ وَ ٱلْأَئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِي هُمُ ٱلْمُتَوَسِّمُونَ»[٣].

ثُمَّ قول المعتزلي في (ولا حركة أحدثها) لا يمكن المساعدة عليه لأنَّه لا داعي لحمل كلام الإمام (عليه السلام) على الكراميّة أو غيرها لأجل أنّه أطلق (عليه السلام) فإن كانوا يحدثون خدثاً فيجري الكلام عليهم ويكون شاملاً لهم وإن كان مجرّد اصطلاح فلا يكون كلامه شاملاً لهم البتة.

---

(١) معاني الأخبار ١: ١٠٨.

(٢) بحار الأنوار ٤٠: ٤١.

(٣) بصائر الدرجات ١: ٣٥٦

قال (عليه السلام): «وَ لَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا، أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا».

المقام الأول: في الهمامة

قال القطب الراوندي: ويقال: ما له همامة في هذا الأمر ولا همة، أي: لا يهمّ به، والهمامة التردّد.

وهي ما هممت به كالعزم لأمرٍ عالٍ.

وروي همامة: أي همّة.

وروي هامة نفسه وهو اسم الفاعل[1].

ولم يقع كلام القطب موضع الرضا من المعتزلي فقال: لقائلٍ أن يقول: العزم هو إرادة جازمة حصلت بعد التردّد، فبطل قوله: إنَّ الهمامة هي نفس التردّد كالعزم.

ثُمَّ قال: ولهم في الهمامة كلامٌ مشهورٌ، وهي لفظةٌ اصطلحوا عليها، واللغة العربيّة ما عرفنا فيها استعمال الهمامة بمعنى الهِمّة، والذي عرفناه الهِمَّة والهمَّة — بالكسر والفتح — والمَهَمّة، وتقول: لا همام لي بهذا الأمر، مبني على الكسر كقطام، ولكنّها لفظةٌ اصطلاحيّة مشهورةٌ عند أهلها[2].

وفي كلام المعتزلي نظرٌ من جميع جهاته، وسأجمله ضمن نقاطٍ:

النقطة الأولى: أخذ أبو هلال العسكري العزيمة في تعريف الهم.

قال: إنَّ الهمّ آخر العزيمة عند مواقعة الفعل، قال الشاعر:

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٥٢.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٩.

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله[١]

وقال أيضاً: (الفرق) بين الهم والقصد أنّه قد يهمّ الإنسان بالأمر قبل القصد إليه، وذلك أنّه يبلغ آخر عزمه عليه ثُمَّ يقصده[٢].

النقطة الثانية: ذكر التستري في صباغته أنَّ (القاموس واللسان) جعلاها مصدراً من الـ (هِم) بالكسر، بمعنى: الشيخ الفاني.

قال الأوّل — ويعني به صاحب القاموس —: والهِمّ والهِمة بكسرهما: الشيخ الفاني، وقد أهم: جمع الهم أهمام وهي همةٌ وجمعها: همات وهمائم، والمصدر الهمومة والهمامة.

وقال الثاني: والهم بالكسر الشيخ الكبير البالي، والأنثى همّة بيّنة الهمامة، والمصدر: الهمومة والهمامة، وقد انهمّ، وقد يكون الهمّ والهمّة...[٣]

النقطة الثالثة: لا داعي إلى ما ارتكبه من حمل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) على المجوس والثنويّة بعدما عرفت.

فيكون كلامنا المتقدّم السابق جارياً.

(١) الفروق اللغويّة ١٠٣.

(٢) المصدر السابق ١٠٤.

(٣) بهج الصباغة للتستري ١: ١٦٣.

المقام الثاني: هل اللام للاختصاص أم للتعليل؟

اختلف المحقّقان القطب الراوندي والبحراني حيث ذهب الأوّل إلى كون اللام للاختصاص فيما ذهب الآخر إلى كونها للتعليل.

فقال القطب: واللام في أوقاتها لام التخصيص[١].

وقال البحراني: واللام في أوقاتها للتعليل[٢].

وفيما قاله القطب كلامٌ إذ لام التخصيص تفترق عن لام الاستحقاق بأنَّ الثاني أعني: الاستحقاق يكون بين معنىً وذاتٍ نحو: الحمد لله.

بينما لام الاختصاص تكون بين ذاتين كقولك: هذا الحصير للمسجد.

ولهذا أشكل القوم على ابن هشام حينما جعل من الاختصاص قولك: هذا الشعر لحبيب[٣][٤].

أمّا قول المحقّق البحراني فلا بأس به إذ يصحّ فيه أن نقدر لأجل هذا أو ذلك أو غيرهما.

مع إمكان أن يدّعى أنَّ (أحال) فعل رباعي عدّي بلام التعدية.

لكن هذا موقوف على كونه رباعياً لا ثلاثياً معدىً بالهمزة كما ذهب إليه المعتزلي[٥]، واثباته بحاجة إلى مراجعةٍ لا يسعفنا فيه الوقت والمصادر.

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٥٢.

(٢) اختيار مصباح السالكين ٦٥.

(٣) انظر: الشمّني في حاشيه ٢: ٢٩، وكذا الأمير ١: ١٧٧ على ما حكى عنهما الخطيب.

(٤) تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب ٢: ٧١٠.

(٥) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٨.

قال (عليه السلام): «وَ لَاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَ غَرَّزَ غَرَائِزَهَا، وَ أَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَ انْتِهَائِهَا، عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَ أَحْنَائِهَا».

المقام الأول: الأشباح

قوله (عليه السلام): «**وَ لَاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا**»: أي: في الائتلاف بين المتخالفات والاتحاد بين المتباينات، والملائمة الجمع كجمعه في الأمزجة بين العناصر على اختلافها وتضادّها، وكجمعه بين الأرواح اللطيفة والنفوس المجرّدة وبين هذه الأبدان الكثيفة المظلمة على وفق حكمته وكمال قدرته.

هكذا قال الصوفي[١].

وبعد هذا ذكر الإمام (عليه السلام): «**وَ غَرَّزَ غَرَائِزَهَا، وَ أَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا**» فقال المعتزلي في الشرح: أي: ألزم الغرائز أشباحها، أي: اشخاصها، جمع شبح، وهذا حقٌّ؛ لأنَّ كلاً مطبوع على غريزةٍ لازمةٍ، فالشجاع لا يكون جباناً، والبخيل لا يكون جواداً، وكذلك كلّ الغرائز لازمةٌ لا تنتقل[٢].

وتابعه عليه بعض الشرّاح[٣].

وفي قولهما نظرٌ؛ إذ نرضى بكون الانسان قد جبل على البخل أو الكرم لكن لا نرضى بكون الانطباع لازماً.

فالطباع المجبول عليه الناس قد يتأثّر وقد يتغيّر في عالمنا بلا شكٍّ لكنه ثابتٌ

---

(١) الصوفي ٣٧، ٣٨.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ١: ٦٨.

(٣) انظر: منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٥٧.

لا يزول في عالم الأشباح التي خلقت قبل الأرواح وذلك: حيث ذلك العالم لا تكليف فيه ولا عمل فتبقى الاشباح على ما خلقت عليه وما جبلت عليه.

ونفس الشيء نقوله في عالم الأرواح إذ التعليل يشمله ولا يحتاج إلى إفرادٍ للذكر.

نعم، في عالم ما بعدهما يكون هناك عملٌ وتكليفٌ فإنَّ من الممكن جدّاً تغيير الانطباع واستبداله إلى ما يضادّه أو يناقضه.

ومن هنا يندفع ما قاله بعضٌ إذ أثبت لكلّ الاشياء انطباعاً فذكروا الحرارة للعسل والبرودة للكافور(١) فضلاً عن أصناف الطيور والوحوش والحيتان(٢).

فإنّه لم يثبت لغير الإنسان الشبح في الروايات الشريفة.

بقي علينا أن نثبت الشبح في الروايات:

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ اَللَّيْثِيِّ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْن عَلِيٍّ اَلْبَاقِرِ (عليه السلام) يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنِ اَلْمُؤْمِنِ اَلْمُسْتَبْصِرِ إِذَا بَلَغَ فِي اَلْمَعْرِفَةِ وَ كَمَلَ هَلْ يَزْنِي قَالَ اَللَّهُمَّ لاَ قُلْتُ فَيَلُوطُ قَالَ اَللَّهُمَّ لاَ قُلْتُ فَيَسْرِقُ قَالَ لاَ قُلْتُ فَيَشْرَبُ اَلْخَمْرَ قَالَ لاَ قُلْتُ فَيَأْتِي بِكَبِيرَةٍ مِنْ هَذِهِ اَلْكَبَائِرِ أَوْ فَاحِشَةٍ مِنْ هَذِهِ اَلْفَوَاحِشِ قَالَ لاَ قُلْتُ فَيُذْنِبُ ذَنْباً قَالَ نَعَمْ هُوَ مُؤْمِنٌ مُذْنِبٌ مُلِمٌّ قُلْتُ مَا مَعْنَى مُلِمٍّ قَالَ اَلْمُلِمُّ بِالذَّنْبِ لاَ يَلْزَمُهُ وَ لاَ يَصِيرُ عَلَيْهِ قَالَ فَقُلْتُ سُبْحَانَ اَللَّهِ مَا أَعْجَبَ هَذَا لاَ يَزْنِي وَ لاَ يَلُوطُ وَ لاَ يَسْرِقُ وَ لاَ يَشْرَبُ اَلْخَمْرَ وَ لاَ يَأْتِي بِكَبِيرَةٍ مِنَ اَلْكَبَائِرِ وَ لاَ فَاحِشَةٍ فَقَالَ لاَ عَجَبَ مِنْ أَمْرِ اَللَّهِ إِنَّ اَللَّهَ تَعَالَى يَفْعَلُ مٰا يَشٰاءُ وَ لاٰ يُسْئَلُ عَمّٰا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ فَمِمَّ عَجِبْتَ يَا إِبْرَاهِيمُ سَلْ

(١) انظر: منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٥٧.

(٢) بهج الصباغة للتستري ١: ١٦٥.

وَ لاَ تَسْتَنْكِفْ وَ لاَ تَسْتَحْي فَإِنَّ هَذَا الْعِلْمَ لاَ يَتَعَلَّمُهُ مُسْتَكْبِرٌ وَ لاَ مُسْتَحْيٍ قُلْتُ يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ إِنِّي أَجِدُ مِنْ شِيعَتِكُمْ مَنْ يَشْرَبُ اَلْخَمْرَ وَ يَقْطَعُ اَلطَّرِيقَ وَ يُخِيفُ اَلسُّبُلَ وَ يَزْنِي وَ يَلُوطُ وَ يَأْكُلُ الرِّبَا وَ يَرْتَكِبُ اَلْفَوَاحِشَ وَ يَتَهَاوَنُ بِالصَّلاَةِ وَ اَلصِّيَامِ وَ اَلزَّكَاةِ وَ يَقْطَعُ اَلرَّحِمَ وَ يَأْتِي اَلْكَبَائِرَ فَكَيْفَ هَذَا وَ لِمَ ذَاكَ فَقَالَ يَا إِبْرَاهِيمُ هَلْ يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا قُلْتُ نَعَمْ يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ أُخْرَى أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ وَ مَا هُوَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ قَالَ فَقُلْتُ يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ وَ أَجِدُ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَ مُنَاصِبِيكُمْ مَنْ يُكْثِرُ مِنَ اَلصَّلاَةِ وَ مِنَ اَلصِّيَامِ وَ يُخْرِجُ اَلزَّكَاةَ وَ يُتَابِعُ بَيْنَ اَلْحَجِّ وَ اَلْعُمْرَةِ وَ يَحْرِصُ عَلَى اَلْجِهَادِ وَ يَأْثُرُ عَلَى اَلْبِرِّ وَ عَلَى صِلَةِ اَلْأَرْحَامِ وَ يَقْضِي حُقُوقَ إِخْوَانِهِ وَ يُوَاسِيهِمْ مِنْ مَالِهِ وَ يَتَجَنَّبُ شُرْبَ اَلْخَمْرِ وَ اَلزِّنَا وَ اَللِّوَاطَ وَ سَائِرَ اَلْفَوَاحِشِ فَمِمَّ ذَاكَ وَ لِمَ ذَاكَ فَسِّرْهُ لِي يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ وَ بَرْهِنْهُ وَ بَيِّنْهُ فَقَدْ وَ اَللَّهِ كَثُرَ فِكْرِي وَ أَسْهَرَ لَيْلِي وَ ضَاقَ ذَرْعِي قَالَ فَتَبَسَّمَ اَلْبَاقِرُ (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ) ثُمَّ قَالَ يَا إِبْرَاهِيمُ خُذْ إِلَيْكَ بَيَاناً شَافِياً فِيمَا سَأَلْتَ وَ عِلْماً مَكْنُوناً مِنْ خَزَائِنِ عِلْمِ اَللَّهِ وَ سِرِّهِ أَخْبِرْنِي يَا إِبْرَاهِيمُ كَيْفَ تَجِدُ اِعْتِقَادَهُمَا قُلْتُ يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ أَجِدُ مُحِبِّيكُمْ وَ شِيعَتَكُمْ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِمَّا وَصَفْتُهُ مِنْ أَفْعَالِهِمْ لَوْ أُعْطِيَ أَحَدُهُمْ مَا بَيْنَ اَلْمَشْرِقِ وَ اَلْمَغْرِبِ ذَهَباً وَ فِضَّةً أَنْ يَزُولَ عَنْ وَلاَيَتِكُمْ وَ مَحَبَّتِكُمْ إِلَى مُوَالاَةِ غَيْرِكُمْ وَ إِلَى مَحَبَّتِهِمْ مَا زَالَ وَ لَوْ ضُرِبَتْ خَيَاشِيمُهُ بِالسُّيُوفِ فِيكُمْ وَ لَوْ قُتِلَ فِيكُمْ مَا اِرْتَدَعَ وَ لاَ رَجَعَ عَنْ مَحَبَّتِكُمْ وَ وَلاَيَتِكُمْ وَ رأي [أَرَى] اَلنَّاصِبَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِمَّا وَصَفْتُهُ مِنْ أَفْعَالِهِمْ لَوْ أُعْطِيَ أحدكم [أَحَدُهُمْ] مَا بَيْنَ اَلْمَشْرِقِ وَ اَلْمَغْرِبِ ذَهَباً وَ فِضَّةً أَنْ يَزُولَ عَنْ مَحَبَّةِ اَلطَّوَاغِيتِ وَ مُوَالاَتِهِمْ إِلَى مُوَالاَتِكُمْ مَا فَعَلَ وَ لاَ زَالَ وَ لَوْ ضُرِبَتْ خَيَاشِيمُهُ بِالسُّيُوفِ فِيهِمْ وَ لَوْ قُتِلَ فِيهِمْ مَا اِرْتَدَعَ وَ لاَ رَجَعَ وَ إِذَا سَمِعَ أَحَدُهُمْ مَنْقَبَةً لَكُمْ وَ فَضْلاً اِشْمَأَزَّ مِنْ ذَلِكَ وَ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَ

رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ بُغْضاً لَكُمْ وَ مَحَبَّةً لَهُمْ قَالَ فَتَبَسَّمَ اَلْبَاقِرُ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ثُمَّ قَالَ يَا إِبْرَاهِيمُ هَاهُنَا هَلَكَتِ اَلْعَامِلَةُ اَلنَّاصِبَةُ تَصْلىٰ نٰاراً حٰامِيَةً تُسْقىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ وَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالَ تَعَالَى وَ قَدِمْنٰا إِلىٰ مٰا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنٰاهُ هَبٰاءً مَنْثُوراً وَيْحَكَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَ تَدْرِي مَا اَلسَّبَبُ وَ اَلْقِصَّةُ فِي ذَلِكَ وَ مَا اَلَّذِي قَدْ خَفِيَ عَلَى اَلنَّاسِ مِنْهُ قُلْتُ يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ فَبَيِّنْهُ لِي وَ اِشْرَحْهُ وَ بَرْهِنْهُ قَالَ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ عَالِماً قَدِيماً خَلَقَ اَلْأَشْيَاءَ لاَ مِنْ شَيْءٍ وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اَللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ اَلْأَشْيَاءَ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ كَفَرَ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ اَلشَّيْءُ اَلَّذِي خَلَقَ مِنْهُ اَلْأَشْيَاءَ قَدِيماً مَعَهُ فِي أَزَلِيَّتِهِ وَ هُوِيَّتِهِ كَانَ ذَلِكَ اَلشَّيْءُ أَزَلِيّاً بَلْ خَلَقَ اَللَّهُ تَعَالَى اَلْأَشْيَاءَ كُلَّهَا لاَ مِنْ شَيْءٍ فَكَانَ مِمَّا خَلَقَ اَللَّهُ تَعَالَى أَرْضاً طَيِّبَةً ثُمَّ فَجَّرَ مِنْهَا مَاءً عَذْباً زُلاَلاً فَعَرَضَ عَلَيْهَا وَلاَيَتَنَا أَهْلَ اَلْبَيْتِ فَقَبِلَتْهَا فَأَجْرَى ذَلِكَ اَلْمَاءَ عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ طَبَّقَهَا وَ عَمَّهَا ثُمَّ أَنْضَبَ ذَلِكَ اَلْمَاءَ عَنْهَا فَأَخَذَ مِنْ صَفْوَةِ ذَلِكَ اَلطِّينِ طِيناً فَجَعَلَهُ طِينَ اَلْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ ثُمَّ أَخَذَ ثُفْلَ ذَلِكَ اَلطِّينِ فَخَلَقَ مِنْهُ شِيعَتَنَا وَ لَوْ تَرَكَ طِينَتَكُمْ يَا إِبْرَاهِيمُ عَلَى حَالِهِ كَمَا تَرَكَ طِينَتَنَا لَكُنْتُمْ وَ نَحْنُ شَيْئاً وَاحِداً قُلْتُ يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ فَمَا فَعَلَ بِطِينَتِنَا قَالَ أُخْبِرُكَ يَا إِبْرَاهِيمُ خَلَقَ اَللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ أَرْضاً سَبِخَةً خَبِيثَةً مُنْتِنَةً ثُمَّ فَجَّرَ مِنْهَا مَاءً أُجَاجاً آسِناً مَالِحاً فَعَرَضَ عَلَيْهَا وَلاَيَتَنَا أَهْلَ اَلْبَيْتِ فَلَمْ تَقْبَلْهَا فَأَجْرَى ذَلِكَ اَلْمَاءَ عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى طَبَّقَهَا وَ عَمَّهَا ثُمَّ نَضَبَ ذَلِكَ اَلْمَاءَ عَنْهَا ثُمَّ أَخَذَ مِنْ ذَلِكَ اَلطِّينِ فَخَلَقَ مِنْهُ اَلطُّغَاةَ وَ أَئِمَّتَهُمْ ثُمَّ مَزَجَهُ بِثُفْلِ طِينَتِكُمْ وَ لَوْ تَرَكَ طِينَتَهُمْ عَلَى حَالِهَا وَ لَمْ يَمْزُجْ بِطِينَتِكُمْ لَمْ يَشْهَدُوا اَلشَّهَادَتَيْنِ وَ لاَ صَلَّوْا وَ لاَ صَامُوا وَ لاَ زَكَّوْا وَ لاَ حَجُّوا وَ لاَ أَدَّوُا اَلْأَمَانَةَ وَ لاَ أَشْبَهُوكُمْ فِي اَلصُّوَرِ وَ لَيْسَ شَيْءٌ أَكْبَرَ عَلَى اَلْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَرَى صُورَةَ عَدُوِّهِ مِثْلَ صُورَتِهِ قُلْتُ يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ فَمَا صَنَعَ بِالطِّينَتَيْنِ قَالَ مَزَجَ بَيْنَهُمَا بِالْمَاءِ اَلْأَوَّلِ وَ اَلْمَاءِ

اَلثَّانِي ثُمَّ عَرَكَهَا عَرْكَ اَلْأَدِيمِ ثُمَّ أَخَذَ مِنْ ذَلِكَ قَبْضَةً فَقَالَ هَذِهِ إِلَى اَلْجَنَّةِ وَ لاَ أُبَالِي وَ أَخَذَ قَبْضَةً أُخْرَى وَ قَالَ هَذِهِ إِلَى اَلنَّارِ وَ لاَ أُبَالِي ثُمَّ خَلَطَ بَيْنَهُمَا فَوَقَعَ مِنْ سِنْخِ اَلْمُؤْمِنِ وَ طِينَتِهِ عَلَى سِنْخِ اَلْكَافِرِ وَ طِينَتِهِ وَ وَقَعَ مِنْ سِنْخِ اَلْكَافِرِ وَ طِينَتِهِ عَلَى سِنْخِ اَلْمُؤْمِنِ وَ طِينَتِهِ فَمَا رَأَيْتَهُ مِنْ شِيعَتِنَا مِنْ زِنًا أَوْ لِوَاطٍ أَوْ تَرْكِ صَلاَةٍ أَوْ صَوْمٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ خِيَانَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ مِنْ هَذِهِ اَلْكَبَائِرِ فَهُوَ مِنْ طِينَةِ اَلنَّاصِبِ وَ عُنْصُرِهِ اَلَّذِي قَدْ مُزِجَ فِيهِ لِأَنَّ مِنْ سِنْخِ اَلنَّاصِبِ وَ عُنْصُرِهِ وَ طِينَتِهِ اِكْتِسَابَ اَلْمَآثِمِ وَ اَلْفَوَاحِشِ وَ اَلْكَبَائِرِ وَ مَا رَأَيْتَ مِنَ اَلنَّاصِبِ مِنْ مُوَاظَبَتِهِ عَلَى اَلصَّلاَةِ وَ اَلصِّيَامِ وَ اَلزَّكَاةِ وَ اَلْحَجِّ وَ اَلْجِهَادِ وَ أَبْوَابِ اَلْبِرِّ فَهُوَ مِنْ طِينَةِ اَلْمُؤْمِنِ وَ سِنْخِهِ اَلَّذِي قَدْ مُزِجَ فِيهِ لِأَنَّ مِنْ سِنْخِ اَلْمُؤْمِنِ وَ عُنْصُرِهِ وَ طِينَتِهِ اِكْتِسَابَ اَلْحَسَنَاتِ وَ اِسْتِعْمَالَ اَلْخَيْرِ وَ اِجْتِنَابَ اَلْمَآثِمِ فَإِذَا عُرِضَتْ هَذِهِ اَلْأَعْمَالُ كُلُّهَا عَلَى اَللَّهِ تَعَالَى قَالَ أَنَا عَدْلٌ لاَ أَجُورُ وَ مُنْصِفٌ لاَ أَظْلِمُ وَ حَكَمٌ لاَ أَحِيفُ وَ لاَ أَمِيلُ وَ لاَ أَشْطُطُ أَلْحِقُوا اَلْأَعْمَالَ اَلسَّيِّئَةَ اَلَّتِي اِجْتَرَحَهَا اَلْمُؤْمِنُ بِسِنْخِ اَلنَّاصِبِ وَ طِينَتِهِ وَ أَلْحِقُوا اَلْأَعْمَالَ اَلْحَسَنَةَ اَلَّتِي اِكْتَسَبَهَا اَلنَّاصِبُ بِسِنْخِ اَلْمُؤْمِنِ وَ طِينَتِهِ رُدُّوهَا كُلَّهَا إِلَى أَصْلِهَا فَإِنِّي أَنَا اَللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا عَالِمُ اَلسِّرِّ وَ أَخْفَى وَ أَنَا اَلْمُطَّلِعُ عَلَى قُلُوبِ عِبَادِي لاَ أَحِيفُ وَ لاَ أَظْلِمُ وَ لاَ أُلْزِمُ أَحَداً إِلاَّ مَا عَرَفْتُهُ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَهُ ثُمَّ قَالَ اَلْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ اِقْرَأْ يَا إِبْرَاهِيمُ هَذِهِ اَلْآيَةَ قُلْتُ يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ أَيَّةَ آيَةٍ قَالَ قَوْلَهُ تَعَالَى قَالَ مَعَاذَ اَللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ هُوَ فِي اَلظَّاهِرِ مَا تَفْهَمُونَهُ هُوَ وَ اَللَّهِ فِي اَلْبَاطِنِ هَذَا بِعَيْنِهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَاهِراً وَ بَاطِناً وَ مُحْكَماً وَ مُتَشَابِهاً وَ نَاسِخاً وَ مَنْسُوخاً ثُمَّ قَالَ أَخْبِرْنِي يَا إِبْرَاهِيمُ عَنِ اَلشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ وَ بَدَا شُعَاعُهَا فِي اَلْبُلْدَانِ أَ هُوَ بَائِنٌ مِنَ اَلْقُرْصِ قُلْتُ فِي حَالِ طُلُوعِهِ بَائِنٌ قَالَ أَ لَيْسَ إِذَا غَابَتِ اَلشَّمْسُ اِتَّصَلَ ذَلِكَ اَلشُّعَاعُ بِالْقُرْصِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ

كَذٰلِكَ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى سِنْخِهِ وَ جَوْهَرِهِ وَ أَصْلِهِ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ نَزَعَ ٱللّٰهُ تَعَالَى سِنْخَ ٱلنَّاصِبِ وَ طِينَتَهُ مَعَ أَثْقَالِهِ وَ أَوْزَارِهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِ فَيُلْحِقُهَا كُلَّهَا بِالنَّاصِبِ وَ يَنْزِعُ سِنْخَ ٱلْمُؤْمِنِ وَ طِينَتَهُ مَعَ حَسَنَاتِهِ وَ أَبْوَابِ بِرِّهِ وَ اِجْتِهَادِهِ مِنَ ٱلنَّاصِبِ فَيُلْحِقُهَا كُلَّهَا بِالْمُؤْمِنِ أَ فَتَرَى هَاهُنَا ظُلْماً أَوْ عُدْوَاناً قُلْتُ لاَ يَا اِبْنَ رَسُولِ ٱللّٰهِ قَالَ هٰذَا وَ ٱللّٰهِ ٱلْقَضَاءُ ٱلْفَاصِلُ وَ ٱلْحُكْمُ ٱلْقَاطِعُ وَ ٱلْعَدْلُ ٱلْبَيِّنُ لاٰ يُسْئَلُ عَمّٰا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ هَذَا يَا إِبْرَاهِيمُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاٰ تَكُنْ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ هَذَا مِنْ حُكْمِ ٱلْمَلَكُوتِ قُلْتُ يَا اِبْنَ رَسُولِ ٱللّٰهِ وَ مَا حُكْمُ ٱلْمَلَكُوتِ قَالَ حُكْمُ ٱللّٰهِ حُكْمُ أَنْبِيَائِهِ وَ قِصَّةُ ٱلْخَضِرِ وَ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) حِينَ اِسْتَصْحَبَهُ فَقَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ` وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلىٰ مٰا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً اِفْهَمْ يَا إِبْرَاهِيمُ وَ اِعْقِلْ أَنْكَرَ مُوسَى عَلَى ٱلْخَضِرِ وَ اِسْتَفْظَعَ أَفْعَالَهُ حَتَّى قَالَ لَهُ ٱلْخَضِرُ يَا مُوسَى مٰا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي إِنَّمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِ ٱللّٰهِ تَعَالَى مِنْ هَذَا وَيْحَكَ يَا إِبْرَاهِيمُ قُرْآنٌ يُتْلَى وَ أَخْبَارٌ تُؤْثَرُ عَنِ ٱللّٰهِ تَعَالَى مَنْ رَدَّ مِنْهَا حَرْفاً فَقَدْ كَفَرَ وَ أَشْرَكَ وَ رَدَّ عَلَى ٱللّٰهِ تَعَالَى قَالَ ٱللَّيْثِيُّ فَكَأَنِّي لَمْ أَعْقِلِ ٱلْآيَاتِ وَ أَنَا أَقْرَأُهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلاَّ ذَلِكَ ٱلْيَوْمَ فَقُلْتُ يَا اِبْنَ رَسُولِ ٱللّٰهِ مَا أَعْجَبَ هَذَا تُؤْخَذُ حَسَنَاتُ أَعْدَائِكُمْ فَتُرَدُّ عَلَى شِيعَتِكُمْ وَ تُؤْخَذُ سَيِّئَاتُ مُحِبِّيكُمْ فَتُرَدُّ عَلَى مُبْغِضِيكُمْ قَالَ إِي [وَ] ٱللّٰهِ ٱلَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَالِقُ ٱلْحَبَّةِ وَ بَارِئُ ٱلنَّسَمَةِ وَ فَاطِرُ ٱلْأَرْضِ وَ ٱلسَّمَاءِ مَا أَخْبَرْتُكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ مَا أَنْبَأْتُكَ إِلاَّ ٱلصِّدْقَ وَ مٰا ظَلَمَهُمُ ٱللّٰهُ وَ مَا ٱللّٰهُ بِظَلاّٰمٍ لِلْعَبِيدِ وَ إِنَّ مَا أَخْبَرْتُكَ لَمَوْجُودٌ فِي ٱلْقُرْآنِ كُلُّهُ قُلْتُ هَذَا بِعَيْنِهِ يُوجَدُ فِي ٱلْقُرْآنِ قَالَ نَعَمْ يُوجَدُ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثِينَ مَوْضِعاً فِي ٱلْقُرْآنِ أَ تُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ ذَلِكَ عَلَيْكَ قُلْتُ بَلَى يَا اِبْنَ رَسُولِ ٱللّٰهِ فَقَالَ قَالَ ٱللّٰهُ تَعَالَى وَ قٰالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّبِعُوا سَبِيلَنٰا وَ لْنَحْمِلْ خَطٰايٰاكُمْ وَ مٰا هُمْ بِحٰامِلِينَ مِنْ خَطٰايٰاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ ` وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقٰالَهُمْ وَ أَثْقٰالاً مَعَ أَثْقٰالِهِمْ

اَلْآيَةَ أَزِيدُكَ يَا إِبْرَاهِيمُ قُلْتُ بَلَى يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ قَالَ لِيَحْمِلُوا أَوْزٰارَهُمْ كٰامِلَةً يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ وَ مِنْ أَوْزٰارِ اَلَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاٰ سٰاءَ مٰا يَزِرُونَ أَ تُحِبُّ أَنْ أَزِيدَكَ قُلْتُ بَلَى يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ قَالَ فَأُوْلٰئِكَ يُبَدِّلُ اَللّٰهُ سَيِّئٰاتِهِمْ حَسَنٰاتٍ وَ كٰانَ اَللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً يُبَدِّلُ اَللَّهُ سَيِّئَاتِ شِيعَتِنَا حَسَنَاتٍ وَ يُبَدِّلُ اَللَّهُ حَسَنَاتِ أَعْدَائِنَا سَيِّئَاتٍ وَ جَلاَلِ اَللَّهِ إِنَّ هَذَا لَمِنْ عَدْلِهِ وَ إِنْصَافِهِ لاَ رَادَّ لِقَضَائِهِ وَ لاٰ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ أَ لَمْ أُبَيِّنْ لَكَ أَمْرَ اَلْمِزَاجِ وَ اَلطِّينَتَيْنِ مِنَ اَلْقُرْآنِ قُلْتُ بَلَى يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ قَالَ اِقْرَأْ يَا إِبْرَاهِيمُ اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰائِرَ اَلْإِثْمِ وَ اَلْفَوٰاحِشَ إِلاَّ اَللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وٰاسِعُ اَلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ اَلْأَرْضِ يَعْنِي مِنَ اَلْأَرْضِ اَلطَّيِّبَةِ وَ اَلْأَرْضِ اَلْمُنْتِنَةِ فَلاٰ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اِتَّقىٰ يَقُولُ لاَ يَفْتَخِرْ أَحَدُكُمْ بِكَثْرَةِ صَلاَتِهِ وَ صِيَامِهِ وَ زَكَاتِهِ وَ نُسُكِهِ لِأَنَّ اَللَّهَ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَنِ اِتَّقَى مِنْكُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ اَللَّمَمِ وَ هُوَ اَلْمِزَاجُ أَزِيدُكَ يَا إِبْرَاهِيمُ قُلْتُ بَلَى يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ قَالَ كَمٰا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ `فَرِيقاً هَدىٰ وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ اَلضَّلاٰلَةُ إِنَّهُمُ اِتَّخَذُوا اَلشَّيٰاطِينَ أَوْلِيٰاءَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ يَعْنِي أَئِمَّةَ اَلْجَوْرِ دُونَ أَئِمَّةِ اَلْحَقِّ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ فَوَ اَللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ غُرَرِ أَحَادِيثِنَا وَ بَاطِنِ سَرَائِرِنَا وَ مَكْنُونِ خَزَائِنِنَا وَ اِنْصَرِفْ وَ لاَ تُطْلِعْ عَلَى سِرِّنَا أَحَداً إِلاَّ مُؤْمِناً مُسْتَبْصِراً فَإِنَّكَ إِنْ أَذَعْتَ سِرَّنَا بُلِيتَ فِي نَفْسِكَ وَ مَالِكَ وَ أَهْلِكَ وَ وُلْدِكَ»(١).

وعَنْ جَابِر بْن يَزِيدَ قَالَ: «قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ يَا جَابِرُ إِنَّ اَللَّهَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ خَلَقَ مُحَمَّداً صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ عِتْرَتَهُ اَلْهُدَاةَ اَلْمُهْتَدِينَ فَكَانُوا أَشْبَاحَ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ اَللَّهِ قُلْتُ وَ مَا اَلْأَشْبَاحُ قَالَ ظِلُّ اَلنُّورِ أَبْدَانٌ نُورَانِيَّةٌ بِلاَ أَرْوَاحٍ وَ كَانَ مُؤَيَّداً بِرُوحٍ وَاحِدَةٍ وَ هِيَ رُوحُ اَلْقُدُسِ فَبِهِ كَانَ يَعْبُدُ اَللَّهَ وَ عِتْرَتُهُ وَ لِذَلِكَ خَلَقَهُمْ حُلَمَاءَ

---

(١) علل الشرايع ٢: ٦٠٦.

عُلَمَاءَ بَرَرَةً أَصْفِيَاءَ يَعْبُدُونَ اَللَّهَ بِالصَّلاَةِ وَ اَلصَّوْمِ وَ اَلسُّجُودِ وَ اَلتَّسْبِيحِ وَ اَلتَّهْلِيلِ وَ يُصَلُّونَ اَلصَّلَوَاتِ وَ يَحُجُّونَ وَ يَصُومُونَ»(١).

وعَنِ اَلْحَارِثِ اَلْأَعْوَرِ قَالَ: «خَطَبَ أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) خُطْبَةً بَعْدَ اَلْعَصْرِ فَعَجِبَ اَلنَّاسُ مِنْ حُسْنِ صِفَتِهِ وَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ تَعْظِيمِ اَللَّهِ (جَلَّ جَلالُهُ) قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ فَقُلْتُ لِلْحَارِثِ أَ وَ مَا حَفِظْتَهَا قَالَ قَدْ كَتَبْتُهَا فَأَمْلاَهَا عَلَيْنَا مِنْ كِتَابِهِ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِي لاَ يَمُوتُ وَ لاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ لِأَنَّهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ مِنْ إِحْدَاثِ بَدِيعٍ لَمْ يَكُنِ اَلَّذِي (لَمْ يَلِدْ) فَيَكُونَ فِي اَلْعِزِّ مُشَارَكاً (وَ لَمْ يُولَدْ) فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً وَ لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ اَلْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ شَبَحاً مَاثِلاً وَ لَمْ تُدْرِكْهُ اَلْأَبْصَارُ فَيَكُونَ بَعْدَ اِنْتِقَالِهَا حَائِلاً اَلَّذِي لَيْسَتْ فِي أَوَّلِيَّتِهِ نِهَايَةٌ وَ لاَ لِآخِرِيَّتِهِ حَدٌّ وَ لاَ غَايَةٌ اَلَّذِي لَمْ يَسْبِقْهُ وَقْتٌ وَ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ زَمَانٌ وَ لاَ يَتَعَاوَرُهُ زِيَادَةٌ وَ لاَ نُقْصَانٌ وَ لاَ يُوصَفُ بِأَيْنٍ وَ لاَ بِمَ وَ لاَ مَكَانٍ اَلَّذِي بَطَنَ مِنْ خَفِيَّاتِ اَلْأُمُورِ وَ ظَهَرَ فِي اَلْعُقُولِ بِمَا يُرَى فِي خَلْقِهِ مِنْ عَلاَمَاتِ اَلتَّدْبِيرِ اَلَّذِي سُئِلَتِ اَلْأَنْبِيَاءُ عَنْهُ فَلَمْ تَصِفْهُ بِحَدٍّ وَ لاَ بِبَعْضٍ بَلْ وَصَفَتْهُ بِفِعَالِهِ وَ دَلَّتْ عَلَيْهِ بِآيَاتِهِ لاَ تَسْتَطِيعُ عُقُولُ اَلْمُتَفَكِّرِينَ جَحْدَهُ لِأَنَّ مَنْ كَانَتِ اَلسَّمَاوَاتُ وَ اَلْأَرْضُ فِطْرَتَهُ وَ مَا فِيهِنَّ وَ مَا بَيْنَهُنَّ وَ هُوَ اَلصَّانِعُ لَهُنَّ فَلاَ مَدْفَعَ لِقُدْرَتِهِ اَلَّذِي نَأَى مِنَ اَلْخَلْقِ فَلاَ شَيْءَ كَمِثْلِهِ اَلَّذِي خَلَقَ خَلْقَهُ لِعِبَادَتِهِ وَ أَقْدَرَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ بِمَا جَعَلَ فِيهِمْ وَ قَطَعَ عُذْرَهُمْ بِالْحُجَجِ فَعَنْ بَيِّنَةٍ هَلَكَ مَنْ هَلَكَ وَ بِمَنِّهِ نَجَا مَنْ نَجَا وَ لِلَّهِ اَلْفَضْلُ مُبْدِئاً وَ مُعِيداً ثُمَّ إِنَّ اَللَّهَ وَ لَهُ اَلْحَمْدُ اِفْتَتَحَ اَلْحَمْدَ لِنَفْسِهِ وَ خَتَمَ أَمْرَ اَلدُّنْيَا وَ مَحَلَّ اَلْآخِرَةِ بِالْحَمْدِ لِنَفْسِهِ فَقَالَ وَ قَضَى (بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ) اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَللاَّبِسِ اَلْكِبْرِيَاءِ بِلاَ تَجْسِيدٍ وَ اَلْمُرْتَدِي بِالْجَلاَلِ بِلاَ تَمْثِيلٍ وَ اَلْمُسْتَوِي عَلَى اَلْعَرْشِ بِغَيْرِ زَوَالٍ وَ اَلْمُتَعَالِي عَلَى اَلْخَلْقِ

---

(١) الكافي ١: ٤٤٢.

بِلاَ تَبَاعُدٍ مِنْهُمْ وَ لاَ مُلاَمَسَةٍ مِنْهُ لَهُمْ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ يُنْتَهَى إِلَى حَدِّهِ وَ لاَ لَهُ مِثْلٌ فَيُعْرَفَ بِمِثْلِهِ ذَلَّ مَنْ تَجَبَّرَ غَيْرَهُ وَ صَغُرَ مَنْ تَكَبَّرَ دُونَهُ وَ تَوَاضَعَتِ اَلْأَشْيَاءُ لِعَظَمَتِهِ وَ اِنْقَادَتْ لِسُلْطَانِهِ وَ عِزَّتِهِ وَ كَلَّتْ عَنْ إِدْرَاكِهِ طُرُوفُ اَلْعُيُونِ وَ قَصُرَتْ دُونَ بُلُوغِ صِفَتِهِ أَوْهَامُ اَلْخَلاَئِقِ اَلْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ لاَ قَبْلَ لَهُ وَ اَلْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ وَ لاَ بَعْدَ لَهُ اَلظَّاهِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِالْقَهْرِ لَهُ وَ اَلْمُشَاهِدِ لِجَمِيعِ اَلْأَمَاكِنِ بِلاَ اِنْتِقَالٍ إِلَيْهَا لاَ تَلْمِسُهُ لاَمِسَةٌ وَ لاَ تُحِسُّهُ حَاسَّةٌ (هُوَ اَلَّذِي فِي اَلسَّمٰاءِ إِلٰهٌ وَ فِي اَلْأَرْضِ إِلٰهٌ وَ هُوَ اَلْحَكِيمُ اَلْعَلِيمُ) أَتْقَنَ مَا أَرَادَ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ اَلْأَشْبَاحِ كُلِّهَا لاَ بِمِثَالٍ سَبَقَ إِلَيْهِ وَ لاَ لُغُوبٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي خَلْقِ مَا خَلَقَ لَدَيْهِ اِبْتَدَأَ مَا أَرَادَ اِبْتِدَاءَهُ وَ أَنْشَأَ مَا أَرَادَ إِنْشَاءَهُ عَلَى مَا أَرَادَ مِنَ اَلثَّقَلَيْنِ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ لِيَعْرِفُوا بِذَلِكَ رُبُوبِيَّتَهُ وَ تَمَكَّنَ فِيهِمْ طَاعَتُهُ نَحْمَدُهُ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ كُلِّهَا عَلَى جَمِيعِ نَعْمَائِهِ كُلِّهَا وَ نَسْتَهْدِيهِ لِمَرَاشِدِ أُمُورِنَا وَ نَعُوذُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَ نَسْتَغْفِرُهُ لِلذُّنُوبِ اَلَّتِي سَبَقَتْ مِنَّا وَ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيّاً دَالاًّ عَلَيْهِ وَ هَادِياً إِلَيْهِ فَهَدَى بِهِ مِنَ اَلضَّلاَلَةِ وَ اِسْتَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ اَلْجَهَالَةِ (مَنْ يُطِعِ اَللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فٰازَ فَوْزاً عَظِيماً) وَ نَالَ ثَوَاباً جَزِيلاً وَ مَنْ يَعْصِ اَللَّهَ وَ رَسُولَهُ (فَقَدْ خَسِرَ خُسْرٰاناً مُبِيناً) وَ اِسْتَحَقَّ عَذَاباً أَلِيماً فَأَنْجِعُوا بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اَلسَّمْعِ وَ اَلطَّاعَةِ وَ إِخْلاَصِ اَلنَّصِيحَةِ وَ حُسْنِ اَلْمُؤَازَرَةِ وَ أَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِلُزُومِ اَلطَّرِيقَةِ اَلْمُسْتَقِيمَةِ وَ هَجْرِ اَلْأُمُورِ اَلْمَكْرُوهَةِ وَ تعاطوا الحق بينكم و تعاونوا به دوني و خذوا على يد الظالم السفيه و مروا بالمعروف و انهوا عن المنكر و اعرفوا لذوي الفضل فضلهم عصمنا الله و إياكم بالهدى و ثبتنا و إياكم على التقوى وَ أَسْتَغْفِرُ اَللَّهَ لِي وَ لَكُمْ»[1].

---

(١) الكافي ١: ١٦١.

بقي هنا شيءٌ: قال حبيب الله الخوئي: هذا كلّه على تقدير رجوع الضميرين إلى غرائزها، وأمّا على تقدير رجوعهما إلى الأشياء كما يقتضيه سياق سوابقهما، فالمعنى أنّه تعالى ألزم الأشياء على الأشخاص، يعني: أنَّ الأشياء بعدما كان في عمله وقضائه سبحانه على نحو العموم والكلّيّة...[١]

وهو فاسدٌ لأنَّه لا يمكن أن يعود ضميران إلى غرائزهما، وكذا لا يمكن أن يعود ضميران إلى الأشياء.

بل يعود ضميرٌ إلى الغرائز والثاني يعود إلى الأشياء.

المقام الثاني: عوداً على بدءٍ

قال الحبيب الخوئي: (عالماً بها قبل ابتدائها) كما أنّه عالمٌ بها بعد الابتداء والايجاد من غير تفاوت بين الحالتين (محيطاً بحدودها وانتهائها) أي: بأطرافها ونهاياتها.

ثُمَّ قال: (عارفاً بقرائنها وأحنائها) أي: نفوسها وجوانبها وأعضائها.

والمعرفة هنا مجازٌ عن العلم، لما قد مرّ فيما سبق من الفرق بينهما، وأنّه لا يجوز اطلاقها في الله سبحانه، فإذا وقع في كلام الإمام (عليه السلام) لابدَّ من أن يراد بها معناها المجازي، فيكون عارفاً بمعنى عالماً، وعلاقة التجوّز واضحةٌ[٢].

وفيه:— بعض النظر عمّا قلناه سابقاً من جواز لفظ عارفٌ في حقّه تعالى — نقول: هذا المجاز عارٍ عن القرينة فلابدَّ من حمله على المجاز المشهوري الذي لا

(١) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٥٧.

(٢) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٥٨.

يحتاج إلى القرينة، وهو كما ترى.

الخلاصة

بعد أن بيّن أمير المؤمنين (عليه السلام) ما يصحّ أن يتصف به وما لا يصحّ قال: «**كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ**» ، وأراد أن يحكي عن وجوده المطلق الكائن لا عن حدثٍ ولا عن عدمٍ، فهو تعالى وجودٌ كلّه قبل الحين والآن والزمان والمكان، الممتد من الأزل إلى ما لا نهاية.

فهو مع كلّ شيءٍ لا بمقارنةٍ وغير كلّ شيءٍ لا بمفارقةٍ، فهو المحيط الذي لا يحاط به وهو الذي لا يمكن أن يصطبغ بالممكنات.

وتعرض إلى كونه البصير مع عدم خلقه لأحدٍ، فكيف لا يكون بصيراً مع خلقه لهم؟

وهل صفة البصر فيه تعالى فعليّة أم شأنيّة حتّى يمكن أن نعبّر عنه البصير مع الخلق، ومبصرٌ إذ لا خلق لكنّه يملك شأنيّة الإبصار ويصحّ فيه فيما لو وجد المخلوقون؟

أو قل بإختصارٍ: كيف يبصرنا ولم نكن؟

وقلنا فيه: إنّ معنى كونه بصيراً يرجع إلى العلم بالمبصّرات، وكيف لا يعلم بمعلولاته قبل أن يوجدها وينشأها.

وبما أن صفة البصر راجعةٌ لعلمه وعلمه غير موقوفٍ على وجود معلومه بل لا يتصوّر أن ينفك عن العلم عنه لأنّه منبثقٌ منه فصح أنّه السميع والبصير وهو على كلّ شيءٍ قديرٌ.

ثُمَّ نزّه الله عن أنّ يتخذ صاحبةً أو ولداً لمنع الإستيناس عليه وكذا

الاستيحاش لأنَّهما من المزاج المتصوّر في الموجَد لا الموجِد.

ثُمَّ قال (عليه السلام): «**أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَ ابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً**» ، وهل الإنشاء بمعنى الابتداء؟

عامله الشرّاح على أنَّ أحدهما مغايرٌ لمعنى الآخر كي لا يحصل التكرار فهم هربوا من التكرار ووقعوا في دائرة المجاز الذي لا يثبت حتّى هو مع فقد القرائن.

فهما وإن أُستعملا بمعنى الايجاد في الروايات الشريفة لكن كلّ استعمال كان محتّفاً بقرينة تعيّن معناه مع الاحتفاظ بأصل مدلوله، أعني: الإيجاد.

فالإنشاء معنى ينسجم مع ما ينشأ منه المنشأ والابتداء خلافه فإنَّه ينسجم مع الأوّل، فهما يشتركان في أنهما مخلوقان للخالق (جلَّ وعلا) إلّا أنَّ الأوّل مع لحاظ ما نشأ منه بخلاف الثاني فإنَّه لا شيء حتّى يلحظ.

نعم، قلنا يمكن أن يعبّر المولى بالإنشاء من دون لحاظه إلى ما أنشأ منه وهذا وإن كان متحدّاً مع الابتداء لكن الابتداء من السالبة بإنتفاء الموضوع.

ولا يمكن حصر التجربة بخلق الأجسام بل تعمّ الأجسام وغيرها.

ولا يمكن أيضاً حمل كلامه على خصوص الكراميّة أو الثنويّة أو المجوس.

وقلنا أيضاً أنَّ قوله أشباحٌ دالّةٌ على كون الانطباع لازماً في عالم الأشباح والأرواح غير لازم فيما بعدهما والّا لم يصحّ التكليف والعقوبة.

قال (عليه السلام): «ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاء، وَ شَقَّ الْأَرْجَاء، وَ سَكَائِكَ الْهَوَاء، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَ الزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَ سَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَ قَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ، الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ، وَ الْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ».

المقام الأوّل: في تفسير المفردات

الفتق: الشقّ والفصل.

والأجواء: جمع جو وهو الفضاء الواسع.

والأرجاء: جمع رجاء مقصورٌ وهو الناحية.

والسكائك: جمع سكاكة كذؤابة وذوائب وهو الفضاء ما بين السماء والأرض.

الهواء: المكان الخالي.

متلاطماً تياره: متردّداً معظمه.

متراكماً زخاره: ممثل بعضه فوق بعضٍ.

ومتن كلّ شيء ما صلب منه واشتد.

وعصف الريح شدّة جريانها.

وريح زعزع تحرك الأشياء بقوّةٍ وتزعزها.

والريح العاصفة الشديدة كأنّها لشدّتها تكسر الأشياء وتقصفها.

وسلطها، أي: جعل لها سلاطةً وهي القهر.

والفتيق المنفتق.

والدقيق المندقق.

هذا ما أخذناه من شرحي البحراني[١].

المقام الثاني: في التعقيب والتراخي

قال المعتزلي: لسائلٍ أن يسأل فيقول: ظاهر هذا الكلام أنّه سبحانه خلق الفضاء والسماوات بعد خَلْق كل شيء؛ لأنّه قد قال قبل: (فَطَرَ الخلائق، ونشر الرياح، ووتّد الأرض بالجبال)، ثُمَّ عاد فقال: أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً) وهو الآن يقول: (ثُمَّ أنشأ سبحانه فَتْق الأجواء)، ولفظة (ثمّ) للتراخي!

فالجواب أنَّ قوله: (ثُمَّ) هو تعقيب وتراخٍ، لا في مخلوقات البارئ سبحانه، بل في كلامه (عليه السلام)؛ كأنّه يقول: ثُمَّ أقول الآن بعد قولي المتقدّم: إنّه تعالى أنشأ فتْق الأجواء، ويمكن أن يقال: إنَّ لفظة (ثُمَّ) ههنا تُعْطِي معنى الجمع المطلق كالواو، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ**﴾[٢].

أقول: أمّا قوله (عليه السلام): «**فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَ نَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَ وَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ**» فكان في الحمد الذي يصلح له (الذي) التي تعدّ وصفاً.

فلا تؤثّر في البين أبداً.

أمّا أنَّ التراخي بين انشاء الخلق وابتداءه ثُمَّ انشاء فتق الأجواء فهو الحقّ ولا

(١) شرح نهج البلاغة ١: ١٣٣، اختيار مصباح السالكين: ٦٥.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ١: ٧٠.

أقل من كونه ظاهر كلام الإمام.

أمّا قوله أي المعتزلي: إنَّ التراخي في كلام الإمام (عليه السلام) فهو غير معقولٍ لأنّه معلومٌ كلامه من أوّله إلى آخره، بل حتّى لو أفاد الواو تفيد أنّه تراخى ورتّب بين الأوّل والثاني.

أمّا أنَّها تعطي معنى الجمع المطلق كالواو فهو خلاف الظاهر.

ثُمَّ إنَّ تمثيله بالآية محلّ نظرٍ وبحثٍ.

ويدلّ على ما قلناه لما تقدّم من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الروايات الشريفة:

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ اَلْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): «أَنَّهُ كَانَ جَالِساً فِي اَلرَّحْبَةِ وَ اَلنَّاسُ حَوْلَهُ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ بِالْمَكَانِ اَلَّذِي أَنْزَلَكَ اَللَّهُ وَ أَبُوكَ مُعَذَّبٌ فِي اَلنَّارِ فَقَالَ مَهْ فَضَّ اَللَّهُ فَاكَ وَ اَلَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ نَبِيّاً لَوْ شَفَعَ أَبِي فِي كُلِّ مُذْنِبٍ عَلَى وَجْهِ اَلْأَرْضِ لَشَفَّعَهُ اَللَّهُ فِيهِمْ أَبِي مُعَذَّبٌ فِي اَلنَّارِ وَ اِبْنُهُ قَسِيمُ اَلْجَنَّةِ وَ اَلنَّارِ وَ اَلَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ إِنَّ نُورَ أَبِي طَالِبٍ لَيُطْفِئُ أَنْوَارَ اَلْخَلاَئِقِ إِلاَّ خَمْسَةَ أَنْوَارٍ نُورَ مُحَمَّدٍ وَ نُورَ فَاطِمَةَ وَ نُورَ اَلْحَسَنِ وَ نُورَ اَلْحُسَيْنِ وَ نُورَ وُلْدِهِ مِنَ اَلْأَئِمَّةِ أَلاَ إِنَّ نُورَهُ مِنْ نُورِنَا خَلَقَهُ اَللَّهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ آدَمَ بِأَلْفَيْ عَامٍ»(١).

وروي أنَّ آدمَ (عليه السلام) «رَأَى عَلَى اَلْعَرْشِ أَشْبَاحاً يَلْمَعُ نُورُهَا فَسَأَلَ اَللَّهَ تَعَالَى عَنْهَا فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهَا أَشْبَاحُ رَسُولِ اَللَّهِ وَ أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ وَ فَاطِمَةَ وَ اَلْحَسَنِ وَ اَلْحُسَيْنِ (صَلَوَاتُ اَللَّهِ عَلَيْهِمْ) وَ أَعْلَمَهُ أَنْ لَوْ لاَ اَلْأَشْبَاحُ اَلَّتِي رَآهَا مَا خَلَقَهُ وَ لاَ خَلَقَ سَمَاءً وَ لاَ

(١) بحار الانوار للمجلسي ٣٥: ١١٠.

أَرْضاً»[١].

عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: «قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام) يَا جَابِرُ إِنَّ اَللَّهَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ خَلَقَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) وَ عِتْرَتَهُ اَلْهُدَاةَ اَلْمُهْتَدِينَ فَكَانُوا أَشْبَاحَ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ اَللَّهِ قُلْتُ وَ مَا اَلْأَشْبَاحُ قَالَ ظِلُّ اَلنُّورِ أَبْدَانٌ نُورَانِيَّةٌ بِلاَ أَرْوَاحٍ وَ كَانَ مُؤَيَّداً بِرُوحٍ وَاحِدَةٍ وَ هِيَ رُوحُ اَلْقُدُسِ فَبِهِ كَانَ يَعْبُدُ اَللَّهَ وَ عِتْرَتُهُ وَ لِذَلِكَ خَلَقَهُمْ حُلَمَاءَ عُلَمَاءَ بَرَرَةً أَصْفِيَاءَ يَعْبُدُونَ اَللَّهَ بِالصَّلاَةِ وَ اَلصَّوْمِ وَ اَلسُّجُودِ وَ اَلتَّسْبِيحِ وَ اَلتَّهْلِيلِ وَ يُصَلُّونَ اَلصَّلَوَاتِ وَ يَحُجُّونَ وَ يَصُومُونَ»[٢].

المقام الثالث: هل خلق السماوات قبل خلق الأرض؟

قال المعتزلي: أنّ ظاهر الكلام يقتضي أنّ خلْق السموات بعد خلق الأرض؛ ألا تراه كيف لم يتعرّضْ فيه لكيفيّة خلق الأرض أصلاً، وهذا قولٌ قد ذهب إليه جماعة من أهل الملّة، واستدلّوا عليه بقوله تعالى: ﴿قلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، ثُمَّ قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾.

وفيه:

أوّلاً: قلنا فيما سبق أنَّ المقام كان الحمد الله، ولا أقلّ من الشكّ النافع لنا في هذا المقام.

ثانياً: إن تنزلنا عن الأوّل فنقول: إنَّ ذكره للأرض من دون التعرّض لكيفيّة

---

(١) المسائل السروية للشيخ المفيد ١: ٣٩.

(٢) الكافي للكليني ١: ٤٤٢.

خلق الأرض يكفي للقول بأنَّها خلقت قبل السماوات.

هذا، والحقّ إنّه لم يشر إلى تقدّم خلق أحدهما على الآخر كما قد أشار إلى تقدّم الخلق عليهما.

قد يقال: هذا ينافيه قول الآتي: ثُمَّ زينها بزينة الكواكب وثُمَّ جمع سبحانه من حزن الأرض...

فإنَّه يجاب: إنّه (عليه السلام) بعد أن عطف عامّاً على عامٍ أخذ بعطف الخاصّ على الخاصّ ليبيّن مراحل ذلك العامّ.

وفي كلّ ذلك التراخي موجودٌ.

المقام الرابع: بين القطب والمعتزلي

قال القطب الراوندي: ذكر قبل هذا الفصل أنشأ الله خلقاً ذا شبح وحياة وغريزة له أحناء وأعضاء، ثم ذكر ههنا انشاء الله السماوات وأول خلقها وفتق بعضها من بعض وتميزها وترتيبها فقال: «**ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْـأَجْوَاءِ**»، كأنّه قال: ثم أنشأ الله وأنا أسبحه تسبيحاً وسبحوه تسبيحاً أيها السامعون في هذه الحال وفي كل حال التفت إلى تعظيم الله وتسبيحه وتنزيهه عن شبه الخلق، وكل ما لا يليق به لما قال: ثم أنشأ الله قبل أن ذكر مفعوله، الذي هو فتق الأجواء حتى تعلم العلماء منه وحذوا على مثاله في كلامهم[1].

وأعقبه الشارح المعتزلي بقوله: ولقائل أن يقول: إنّه (عليه السلام) لم يذكر فيما تقدم أنَّ الله تعالى خلق حيواناً ذا أعضاء، ولا قوله الآن: «**ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ**

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٥٦ ـ ٥٧.

الْأَجْوَاءِ» هو معنى قوله تعالى: ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، ألا ترى كيف صرّح (عليه السلام) بأنَّ الباري سبحانه خلق الهواء الذي هو الفضاء، وعبَّر عن ذلك بقوله: «ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ» ، وليس فتقُ الأجواء هو فتق السماء!

فإن قلت: فكيف يمكن التطبيق بين كلامه (عليه السلام) وبين الآية؟

قلت: إنّه تعالى لمّا سلّط الريح على الماء فعصفت به، حتى جعلته بخاراً وزبداً، وخلق من أحدهما السماء ومن الآخر الأرض؛ كان فاتقاً لهما من شيء واحد، وهو الماء.

فأمّا حديث البعد بين السماوات وكونه مسيرة خمسمائة عام بين كلّ سماء وسماء، فقد ورد وروداً لم يُوثق به؛ وأكثر الناس على خلاف ذلك وكون الأرض سبعاً أيضاً خلاف ما يقوله الجمهور العقلاء، وليس في القرآن العزيز ما يدلّ على تعدد الأرض إلّا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، وقد أوّلوه على الأقاليم السبعة، وحديث الصخرة والحوت والبقرة من الخرافات في غالب الظنّ، والصحيح أنَّ الله تعالى يمسك الكلّ بغير واسطة جسم آخر(١).

أقول ردّاً على القطب الراوندي: قلنا فيما سبق معنى الأشباح وفي ذلك رفضٌ لما تقول: له أحناء وأعضاء.

ثُمَّ قولك: ثُمَّ أنشأ الله وأنا اسبحه تسبيحاً وسبحوه تسبيحاً...

وهذا ما لا يمكن قبوله، ونحن وإن كنّا قد قبلنا أوّل الكتاب بالحمد وقلنا أنَّه شاملٌ للجميع لكنّه ببركة الألف واللام التي ليست موجودةً هنا.

أما عن قول المعتزلي فنقول: وإن كنّا نصحح ما ذهبتَ إليه في الجملة إلّا

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٧٣ ـ ٧٤.

أنّه يرد عليك أيضاً بعض ما ستسمعه.

أوّلاً: تقدّم إنَّه تعالى خلق الأشباح مغرزاً فيها غرائزها، وإنّما قلنا بذلك لأنَّ الفعل ظاهر في الفعليّة إضافةً إلى سياق كلامه (عليه السلام) ثُمَّ فرّعنا على ذلك أنّه (عليه السلام) لم يشر إلّا للإنسان فقط وعلى هذا الكلام لا معنى لقولك: إنَّ الله خلق حيواناً ذا أعضاء.

اللهم إلّا إذا كنت تريد به الإنسان.

ثُمَّ هلّا دللتنا على تصريحه بأنّه خلق الهواء الذي هو الفضاء.

ثُمَّ كيف لك أن تقحم العقلاء بشيءٍ لم يشهدوه؟

نعم، الرواية التي ذكرها لا يمكن الإعتماد عليها في إثبات هذا المطلب الجليل إذ لم يذكرها غير الكيذري صاحب الشرح، بل حتّى صاحب البحار نقلها عنه، ولا يعلم معتمده واسناده وكيف أوصلها إلى أصحاب العصمة (عليهم السلام).

ثُمَّ قال المعتزلي: ثُمَّ قال الراوندي: السكائك: جمع سكاك، وهذا غير جائز، لأنَّ (فعالاً) لا يجمع على (فعائل)؛ وإنّما هو جمع سكاكة، ذكر ذلك الجوهري[1].

لكن ذكر ابن منظور في لسانه: واللوح والسكائك والسكاكة: الهواء بين السماء والأرض.

وقيل: الذي لا يلاقي أعنان السماء؛ ومنه قولهم: لا أفعل ذلك ولو نزوتَ في السُّكاك، أي: في السماء.

وفي حديث الصبية المفقودة: قالت: فحملني على خافيةٍ من خوافيه ثُمَّ دوَّم بي في السُّكاك؛ السُّكاك والسكاكة: الجو وهو ما بين السماء والأرض، ومنه حديث

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٧٤.

عليٍّ (عليه السلام): شَقَّ الأرجاء وسكائك الهواء؛ السكائك جمع السُّكاكة وهي السّكاك كذؤابة وذوائب[١].

ثُمَّ قال المعتزلي: قال الراوندي: (وسلطّها على شدّه) الشد: العدو، ولا يجوز حمل الشدّ ههنا على العدو؛ لأنّه لا معنى له، والصحيح ما ذكرنا[٢].

وأشار بقوله ما ذكرنا إلى قوله المتقدّم: (وسلّطها على شدّه) أي: على وثاقه؛ كأنّه سبحانه لما سلّط الريح على منعه من الهبوط فكأنّه قد شدّه بها وأوثقه ومنعه من الحركة.

وهو أقرب ممّا قاله القطب وإن كان ينتج نتيجةً واحدةً إلّا أنَّ ما ذكره المعتزلي أقرب إلى معنى الشدّ.

---

(١) لسان العرب ابن منظور ٦: ٣١٠ ـ ٣١١.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ١: ٧٤.

قال (عليه السلام): «ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا، وَ أَدَامَ مُرَبَّهَا، وَ أَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وَ أَبْعَدَ مَنْشَأَهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَ إِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَ عَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ، وَ سَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، وَ رَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَ جَوٍّ مُنْفَهِقٍ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وَ عُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَ سَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَ لَا دِسَارٍ يَنْتَظِمُهَا، ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَ ضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ، وَ أَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وَ قَمَراً مُنِيراً، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَ سَقْفٍ سَائِرٍ، وَ رَقِيمٍ مَائِرٍ».

المقام الأوّل: في تفسير ألفاظها

قوله (عليه السلام): «**اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا**»، أي: إرسالها واعتقام مهبها إلى شدّ هبوبها وضبطه، وأرسله بمقدار مخصوص على وفق الحكمة[(١)].

بينما قال القطب: أي شدَّ وعقد، وقيل: أي: ذلل، وهو من الأضداد، فعلى الأوّل عبارة أنَّ الله تعالى أهب الريح ولم يطلقها بمرّة فتفسد ما تأتي عليه كلّه، بل عقد مهبها حتّى تهب بقدرٍ[(٢)].

وواضح أنّه عنى من الأضداد القول الأوّل أي جعل الاعتقام في قبال المهب.

أما القيل فهو بمعنى أنّه أخضع مهبها أو ما يقرب منه.

(١) اختيار مصباح السالكين للبحراني ٦٦.

(٢) **منهاج البراعة** للراوندي ١: ٦٧.

ثُمَّ قال (عليه السلام): «وَ أَدَامَ مُرَبَّهَا»، أي: أدام ملازمتها.

ثُمَّ قال (عليه السلام): «وَ أَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وَ أَبْعَدَ مَنْشَأَهَا» إنّما جعلها بعيدةً باعتبار عدم القدرة على الوقوف على منشأ العصف والهبوب.

وقوله (عليه السلام): «**فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَ إِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَ عَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ**».

قال الراوندي: أي أمر الملائكة الموكلين بالريح لتضرب الماء الكثير الموج ببعضه البعض[1].

والذي يظهر لي مرجعٌ آخر وهو الرياح نفسها التي أمرها الله بردّه وسلّطها على شدّه.

والدليل عليه: عدم ذكر الملائكة في سابق كلامه، فلا يمكن أن يعود الضمير على غير مذكورٍ.

ثُمَّ قال (عليه السلام): «**وَ سَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، وَ رَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَ جَوٍّ مُنْفَهِقٍ**».

أمّا الساجي والمائر فهو الساكن والمتّحرك، أمّا عبّ عبابه فمعناه ارتفع معظمه وعلا، أمّا بالزبد ركامه فالزبد معروفٌ وهو بخار الماء، وركامه ما تجمع من الزبد، والمنتفق الواسع والمنفهق الهواء الممتلئ بالزبد، وقيل: عكس ذلك فالمنفهق هو المفتوح الواسع[2].

ثُمَّ قال (عليه السلام): «**فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وَ**

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٦٢.

(٢) انظر: شرح للمعتزلي ١: ٧٣.

عُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمْكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، وَلَا دِسَارٍ يَنْتَظِمُهَا».

قال الراوانديِ: أي خلقها منه، وقيل: معنى تسوية السماوات السبع هو تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور وإتمام خلقهن[1].

والثاني لا نرضاه لوضوح بطلانه.

وسفلاهن هي السماء الدنيا، وجعلها مكفوفة، أي: ممنوعة من السقوط، والموج فيه عدة احتمالات:

١- أنّه شبهها بالموج لصفائها وارتفاعها[2].

وفيه: يقال له: إنَّ الموج ليس بعالٍ ليشبّه به الجسم العالي، وأما صفاؤه فإنَّ كل السماوات صافية، فلماذا خصّ سفلاهن بذلك[3].

أمّا قوله الأوّل فصحيحٌ إذ مقتضى التشبيه أن يكون الموج كالسماء لا العكس.

أمّا الثاني فلا يتمّ له إذ يكفي للإمام أن يشير إلى واحدةٍ وباللازم إلى الجميع إضافةً إلى أنَّ الشاهد هي السماء الدنيا.

٢- أن يكون قد كانت أوّل ممّا كانت موجاً ثُمَّ عقدها[4].

وأشكل عليه المعتزلي بنفس اشكاله الأوّل بشقّه الثاني[5] وأجبناه هناك

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٦٣.

(٢) منهاج البراعة للراوندي ١: ٦٣.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ١: ٧٤.

(٤) نهج البراعة للراوندي ١: ٦٣.

(٥) المعتزلي ١: ٧٤.

ونجيبه هنا.

٣.ما ارتفع من موج الماء من الزبد المشبّه بالدخان فشبه ذلك المرتفع بالموج.

أقول: يعني ما ارتفع من الموج فشكّل سماءً شبيهةً بالموج.

المقام الثاني: في مسائل أربع

قال القطب الراوندي: والذي تقتضيهِ العربيّة في قوله: «**مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ**» وفي قوله: «**بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ**» أنّهما ماءٌ واحدٌ، كقوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ نكر الرسول أوّلاً ثُمَّ عرّف لأنَّه أراد أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل وهو موسى فلمّا أعاده وهو معهودٌ الذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه.

وكذا قوله «**فَتْقَ الْأَجْوَاءِ**» وقوله «**الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ**» فهما جهةٌ واحدةٌ لكونهما معرّفين.

فأمّا قوله: «**حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ**» وقوله: «**ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا**» فالريحان مختلفتان لأنَّ الأوّلى معرفة، والثانيّة نكرةٌ.

وللنحويين على هذا أربعة مسائل، قالوا: لو قال: صم يوماً صم اليوم كان يوماً واحداً، وكذا لو قال: صم اليوم صم اليوم.

فأمّا صم يوماً صم يوماً فإنّه يقتضي يومين، وكذا صم اليوم صم يوماً.

وأنكر المرتضى في الذريعة بعض ذلك[1].

وأشكل الشارح المعتزلي: ليست المغايرة بينهما مستفادة من مجرّد التعريف

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٦٤ ـ ٦٥.

والتنكير، لأنّه لو كان قال (عليه السلام): (وحمله على متن ريح عاصفة وزعزع قاصفة) لكانت الريحان الأولى والثانية منكّرتين معاً، وهما متغايرتان، وإنّما علمنا تغايرهما لأنَّ احداهما تحت الماء والأخرى فوقه، والجسم الواحد لا يكون في جهتين[1].

لكن الظاهر أنّه لم يلتفت إلى قول القطب: (فأمّا صم يوماً صم يوماً فإنّه يقتضي التغاير).

والعصمة لأهلها فحسب.

واشكاله لا يفيد نقض ما أفاده القطب بل يضيف له شيئاً آخر ربما لم يلتفت اليه.

أمّا كلام القطب وتمثيله فهو وإن كان تامّاً فيما ذكره أوّلاً لكن مثاله غير صحيح إذ قيل فيه: صم يوماً صم اليوم فانَّ الوجوب تعلق بالطبيعة فيكون صادقاً على صم اليوم وهو واضح جدّاً.

أمّا مثاله الآخر الذي قيل فيه فلا أعرف كيف وقع للراوندي وأنَّ اليوم الواحد لا يمكن وقوع صيامين فيه.

ولله في خلقه شؤونٌ.

أما مثاله الثالث فلأن ما دلّ على الوجوب قد تعلق بالنكرة وهو صادقٌ على جميع الأيام ماعدا اليوم الآخر.

وكذلك نقول في صم يوماً الثانية.

أمّا مثاله الأخير فقيل فيه: صم اليوم صم يوماً فاليوم يكون واجباً وصم يوماً كذلك فيما عدا اليوم.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٧٤ ـ ٧٥.

المقام الثالث: في التضمين

قال الخوئي: (أعقم مهبها)، أي: جعل هبوبها عقيماً وفي كثير من النسخ أعتقم مهبها، بالتاء، فاللازم حينئذٍ رفع مهبها للزوم الفعل. فالمعنى حينئذٍ صار مهبها عقيماً لا يلقح، من العقيم الذي لا يولد له ولد أو صار مهبها ضيّقاً لأنَّ الاعتقام هو أن تحفر البئر، فاذا قربت من الماء احتفرت بئراً صغيراً بقدر ما تجد طعم الماء، فإن كان عذباً حفرت بقيتها، فاستعير هنا من حيث ضيق المهب كما يحتفر البئر الصغير.

وأمّا ما قيل من أنَّ معنى اعتقم مهبها، جعل مهبها عقيماً ففاسدٌ لأنَّه أنَّما يصحّ لو كان اعتقم متعدياً[(١)].

وفيه: لا يمكن قبول اللزوم منه فإنَّ اعتقم فعلٌ متعدٍ بلا اشكالٍ ولذا تستطيع أن تعديه مباشرةً أو تجعل مفعوله ضميراً عائداً على متقدّم غير مصدرٍ وظرفٍ.

وهل يمكن أن نقول: اعتقم مهبها، أي: جعل مهبها عقيماً.

والجواب: نعم، هذا ممكن ببركة التضمين لأنّا وإن استعملنا اعتقم في معناه الذي هو الضيق لكنّنا ضمنّاه معنى العقم فالعقم إشارة إلى عدم تلقيح الرياح وهو معنى منتزعٌ منه الضيق إذ وظيفة الريح مقتصرةٌ على تصفيف الموج وما إلى ذلك من دون أن يؤثّر لقاحاً.

---

(١) منهاج البراعة للخوئي ١: ٣٧٤، ٣٧٥.

المقام الرابع: هل السماء المزيّنة الأولى؟

لم يقع بحثٌ بينهم في أنَّ الاطلاق والتقييد إنّما يصدران من متكلّمٍ واحدٍ حقيقةً أو عرفاً.

فلا يمكن لأيّ متكلّمين أن يطلق أحدهما ويقيد الآخر ما لم نكن نحكم بالوحدة العرفيّة.

ومن هنا نظن أنَّ القطب الراوندي قد جعل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ دليلاً على تقييد كلامه (عليه السلام)[١].

وأيضاً أفاد المعتزلي بضرورة حمل كلامه (عليه السلام) على ظاهر الكتاب ليحصل التطابق.

ولم يتعرّضا إلى إمكان أن يؤخذ كلامه (عليه السلام) مقيّداً أو مخصّصاً فضلاً عن أن يكون كلام الله مقيّداً كلام أمير المؤمنين (عليه السلام).

وبالجملة، فصحّة كلامهما موقوفٌ على إثبات الأمرين معاً وهما: كون المتكلّم واحداً، في صحّة تخصيص أو تقييد الكتاب بما إذا ورد شيءٌ عنهم (سلام الله عليهم).

ونحن وإن كنّا نرى الأمرين معاً لكن لم نذهب إلى كون الإمام قد فعل ذلك، باعتبار أنّا لو لاحظنا الكلام جيّداً فسنراه يختلف عمّا جرت العادة عليه، ففي العادة يأتي المتكلّم بكلام عامٍ أو مطلقٍ ثُمَّ يأتي بالمخصّصات أو المقيّدات.

وهذا الكلام غير متأتٍ هنا.

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ١٦.

وبما أنَّ الإمام أطلق عندما قال: «**ثُمَّ زَيَّنَهَا**» لكن لم يكن الإطلاق مراداً له جدّاً حيث هو محتفٌ بقرينة توجب ظهور الكلام على خلاف الإطلاق وهو قوله: «**سُفْلَاهُنَّ**».

ولا نريد أن ندّعي ظهور كلام الامام في المقيّد ببركة «**سُفْلَاهُنَّ**» إذ هي معارضةٌ بقوله (عليه السلام): «**وَ عُلْيَاهُنَّ**».

إنّما أردنا نفي الاطلاق عن طريق الاحتفاف بالقرينة المتعارضة فيصبح كلامه لا إطلاق فيه من هذه الناحية، وإذا كان كذلك فندّعي أنّه أهمل والإهمال يناسب الجزئيّة فتعيّن كون مراده الجدي السماء الدنيا.

فيكون قوله (عليه السلام) مطابقاً لقول الله (عزّ وجلّ) لا أنَّ قول الله محمولٌ على قوله، ولا أن يحمل قوله (عليه السلام) على ظاهر قول الله (تبارك اسمه).

هذا، ولكن لا يمكن المصير إلى الإهمال إذ هو يرجع إلى التقييد لا محالة، فيكون بحاجةٍ إلى الدالّ عليه وهو مفقودٌ.

مع أنَّ القرينتين إذا حصل تعارضٌ بينهما فتتساقطان ويكون المرجع عندئذٍ نفس الاطلاق أو العموم.

فالراجح بقاء كلامه على الاطلاق، ولا يضره كلام الله في الآية الشريفة لأنّه تعالى لم ينف عن بقيّة السماوات أنّا مزيّنة.

إنّما أراد التعرض للسماء الدنيا وحسب.

ولقد أتممنا الكلام عن هذه الفقرات، ولا نريد عقد خلاصة لها لأنّنا شرحناها شرحاً نظنّه كافياً.

قال (عليه السلام): «ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَ رُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَ صَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ، وَ مُسَبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَ لَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَ لَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَ لَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ».

المقام الأوّل: في التقسيم

اختلف جماعة الشرّاح في كون القسمة ثلاثيّةً أو رباعيّةً.

وأضاف الخوئي أنَّها رباعيّةٌ غير حقيقيةٍ.

قال الراوندي: وقوله «**فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ**»، صنف (عليه السلام) الملائكة الذين أسكنهم الله ما بين السماوات العلى ثلاثة أصناف، فصنف منهم مشتغلون بالعبادة، وجعلهم على أربعة أحوال من ركع وسجود، وصافين ومسبحين.

صنف هم أمناء الله، وجعلهم على أربة أحوال من رُسلٍ إلى الأنبياء ومختلفين بتدبير الله في الأرض والحفظة لبني آدم والسدنة للجنة أي الخدم، وصنف هم حملة العرش، وقد وصف جميعهم وصفاً حسناً وأثنى عليهم ثناءً جميلاً ومدحهم بالعلم والعمل، وأنّهم يصفون الله بالتعظيم والاجلال وينزهونه من صفات النقص، وأنّهم يعرفون ربّهم علم اليقين بعد النظر والاستدلال لا بالتقليد والتبخيت ولا بالتوهّم والتمثيل والظنّ والتصوير ولا يثبتون له تعالى من مثل ولا نظير[1].

(١) **منهاج البراعة** للزاواندي ١: ٦٨.

ثُمَّ اعترض عليه الشارح المعتزلي: وأمّا القطب الراونديّ فجعل الأمناءَ على الوحي وحفظةَ العباد وسدَنة الجنان قسماً واحداً، فأعاد الأقسام الأربعة إلى ثلاثة، وليس بجيّد، لأنّه قال: (ومنهم الحفظة)، فلفظة (ومنهم) تقتضي كونَ الأقسام أربعة؛ لأنّه بها فصَّل بين الأقسام(١).

وقال حبيب الله الخوئي: وأمّا الإمام (عليه السلام) فقد قسمهم هنا إلى أقسامٍ أربعةٍ وفصّلهم بكلمة من.

والظاهر أنَّ القسمة ليست حقيقيّةً، بأن يكون بين الأقسام تباينٌ وانفصالٌ حقيقيٌّ، ضرورة جواز اتّصاف بعض هذه الأقسام بالأوصاف الثابتة لغيره وجواز اجتماع اثنين منها أو ثلاثة أو جميع الأربعة في نوعٍ واحدٍ أو فردٍ واحدٍ، كما قال (عليه السلام) في الصحيفة السجادية: (اللهم وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك ولا يسأمون من تقديسك)(٢).

وفيما قاله الأوّل والثالث كلامٌ.

ونكتفي بردّ الشارح المعتزلي على القطب، ونقول للخوئي: ظاهر القسمة القسمة الحقيقيّة وما ذكرته من شاهدٍ على كون القسمة غير حقيقيّة يمكن ردّه.

بيان ذلك: إنَّ تقسيم الإمام لا يعني عدم إمكان أن يتصف الجميع بالأوصاف الثابتة لبعضهم.

إذ الإمام يشير إلى علّة خلقهم التي تكمن في وظائفهم فوظيفة جبريل لا تنفكّ عنه والتسبيح ينفكّ عنه وهذا متصوّرٌ في بعض الأصناف لا كلّها.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٧٦.

(٢) منهاج البراعة للخوئي ٢: ٨.

ويدلّ عليه قول الإمام (عليه السلام): «**سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَ رُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ**».

المقام الثاني: في نوم الملائكة

هذا المطلب صار مثاراً للخلاف ومطبّاً للأعلام فمن اختار وجوّز النوم على الملائكة ومن اختار عدم جوازه، وستعرفه إن شاء الله العلّام.

قال القطب الراوندي: «**لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ**» أي: يكون لهم نوم ولهم عيون ولكن لا يغفلهم النوم عن ذكر الله، أثبت لهم نوماً قليلاً وإن نفى عنهم النوم الكثير، والله تعالى لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ، مع أنّه حيٌّ، وهذا هو المدحة العظمى(١).

ولم يجز المعتزلي عليهم النوم إذ النوم من توابع المزاج ولا يستحيل تبدل الملك عن كونه ملكاً مخلوقاً في أجزاء جسمه رطوبة ويبوسة وبرودة وحرارة.

وبما أنَّ الله يستحيل عليه النوم استحالة ذاتيّة فيستحيل النوم على الملك لا ذاتاً فإنّ الله قادرٌ على أن يجعله ينام إذا تحقّق مزاج فيه(٢).

وقال الخوئي: ثُمَّ مفاد كلامه (عليه السلام) عدم غشيان النوم للملائكة.

وعلّله الشارح البحراني (قده) بأنَّ غشيان النوم لهم مستلزم لصحة النوم عليهم، واللازم باطل في حقّهم فالملزوم مثله، أمّا الملازمة فظاهرةٌ، وأمّا بطلان اللازم فلأنَّ النوم عبارة عن تعطيل الحواس الظاهرة عن أفعالها لعدم انصباب الروح النفساني إليها، أو رجوعها بعد الكلام والضعف.

والملائكة السماوية منزهون عن هذه الأسباب والآلات، فوجب أنْ يكون

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٦٨

(٢) انظر: شرح النهج للمعتزلي ١: ٧٦.

النوم غير صحيح في حقّهم فوجب أن لا يغشيهم.

ثُمَّ نقل عبارة القطب وبعدها المعتزلي ثُمَّ قال: وظاهره كما ترى إنكار صحّة النوم عليه مطلقاً واستحالة في حقّه، لأنَّ تجويزه له مع الخروج عن حقيقته الملكيّة ممّا لا يقابل بالإنكار وخارج عن محلّ الكلام.

وأمّا المستفاد من الكلام المحكي عن الراوندي فهو أنّه يعرضهم لحالة السنة وهو أوّل النعاس ولا يعرضهم النوم الموجب للغفلة.

ويمكن الاستشهاد عليه بما رواه الصدوق عن داوّد العطار، قال: «قَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَخْبِرْنِي عَنِ الْمَلَائِكَةِ أَ يَنَامُونَ قُلْتُ لَا أَدْرِي فَقَالَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ ثُمَّ قَالَ أَ لَا أُطْرِفُكَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) فِيهِ بِشَيْءٍ قَالَ فَقُلْتُ بَلَى فَقَالَ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ مَا مِنْ حَيٍّ إِلَّا وَ هُوَ يَنَامُ مَا خَلَا اللَّهَ وَحْدَهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ الْمَلَائِكَةُ يَنَامُونَ فَقُلْتُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ فَقَالَ أَنْفَاسُهُمْ تَسْبِيحٌ».

هذا، وبه ظهر الجواب عمّا أورده المعتزلي بأنّهم لو ناموا قليلاً لكانوا زمان النوم غافلين.

كما ظهر به وجه الجمع بين قوله (عليه السلام) لا يغشيهم نوم العيون، وبين الرواية المروية في العلل لمحمّد، بن علي بن إبراهيم بن هاشم، قال: «سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع عَنِ الْمَلَائِكَةِ يَأْكُلُونَ وَ يَشْرَبُونَ وَ يَنْكِحُونَ فَقَالَ لَا إِنَّهُمْ يَعِيشُونَ بِنَسِيمِ الْعَرْشِ فَقِيلَ لَهُ مَا الْعِلَّةُ فِي نَوْمِهِمْ فَقَالَ فَرْقاً بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ لِأَنَّ الَّذِي لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ هُوَ اللَّه».

وحاصل الجمع أن يحمل النوم في هذه الرواية وما شابهها من الأخبار المثبتة

له على النوم القليل المعبّر عنه بالسنة الغير المانعة عن الذكر والتسبيح.

وفي قوله لا يغشيهم نوم العيون على النوم الغالب الموجب للغفلة، ولا يبعد استفادة هذا المعنى من قوله: لا يغشيهم، كما ذكره الراوندي بأخذه من الغشي الموجب لتعطيل القوى المحرّكة، إلّا أنّه خلاف الظاهر

والظاهر أنَّه مأخوذٌ من غشيته اذا أتيته، فلا دلالة فيه من حيث الوضع، وإنّما الدلالة باقتضاء الجمع الذي ذكرناه.

وعليه فالمعنى أنه لا يأتيهم نوم العيون الموجب للغفلة كما يأتي غيرهم.

وهذا نظير ما روي في خواصّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) من أنّه كان ينام عينه ولا ينام قلبه انتظار للوحي الإلهي، فالنوم وإن اعتراه لكنه لا يعطلّه عن مراقبة ربّه سبحانه كما يعطل غيره، والله العالم، انتهى[1].

أقول: كان ينبغي عليهم تحرير تحديده ثبوتاً، فإذا دلَّ الدليل على منعه ثبوتاً فنؤول ما ورد إثباتاً أو نسقطه عن الاعتبار لكونه ذا سند فيه كلامٌ.

ولا معنى لارتكاب ما فعله بعضهم إن ثبت المنع ثبوتاً.

مع أنَّ كلام الإمام (عليه السلام) ينسجم مع المنع مطلقاً.

نعم، كلام الشرّاح يعطي ثبوت النوم لهم وهو أوّل الكلام.

إذا عرفت هذا فعندئذٍ يأتي على المعتزلي الإشكال أيضاً فلا داعي إلى ما فعله من ارجاع النوم إلى الاستحالة الذاتيّة عليه تعالى والاستحالة غير الذاتيّة عليهم مع كونهم خارجين عن الملائكة.

وهذا فيه كلامٌ عجيبٌ لا يجدر بنا ذكره بعد أن بيّنا بطلان ما ذهبوا إليه وما

---

(١) منهاج البراعة للخوئي ٢: ١٦-١٨.

ذهب إليه المعتزلي بخصوص المقايسة.

المقام الثالث: السهو والنسيان والغفلة

قال (عليه السلام): «وَ لَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَ لَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَ لَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ».

قال المحقّق الخوئي: الفرق بين السهو والنسيان والغفلة: أنَّ السهو عزوب الشيء وانمحاؤه عن القوّة الذاكرة مع ثبوته في الحافظة بحيث يلحظ الذهن عند الالتفات إليه.

والغفلة أعمّ منهما.

ولمّا كان هذه الأمور الثلاثة من عوارض القوى الإنسانيّة صحّ سلبها عن الملائكة، لعدم وجود تلك المعروضات فيهم كما في (الإنسان) وسلب الأعمّ وإن كان مستلزماً لسلب الأخصّ إلّا أنّه (عليه السلام) جمع فيهما لزيادة التوكيد.

وأما سلب فتور الأبدان فلأنَّ الفتور هو وقوف الأعضاء البدنيّة عن العمل بسبب تحلّل الأرواح البدنيّة وضعفها ورجوعها للاستراحة.

وكلّ ذلك من توابع المزاج الحيواني فلا جرم صحّ سلبه عنهم وفاقاً لقوله سبحانه: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[١].

والظاهر عدم صحّة ذلك إذ السهو يكون عمّا لم يكن، والنسيان يكون عمّا كان، وهذا هو الفرق الدقيق بينهما ويمكن فهمه أيضاً من صاحب الفروق[٢].

ثُمَّ ما أظنّه إلّا متابعاً للسيّد نور الدين في فروقات اللغات وقد أشار إلى ذلك

---

(١) منهاج البراعة للخوئي ٢: ١٨.

(٢) الفروق اللغوية للعسكري ٧٨.

ناسباً القول إلى تحقيق بعضهم(١).

فمقصود الإمام (عليه السلام): أنَّ الملائكة لا يغشاهم نوم العيون ولا يسهون عمّا يراد منهم، ولا يغفلون بسبب نسيانهم ما أمُروا به.

فإذا تبيّن ذلك فنقول: لم يرد (عليه السلام) التأكيد، فإنَّ التأكيد إنّما يتصوّر في الأمور الطوليّة وقد أثبتنا خلافها، وإنّما أراد نفي النوم والسهو والغفلة المسببة عن النسيان في حقّ ملائكة الرحمن.

---

(١) فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات نور الدين الجزائري ١٨٤.

قال (عليه السلام): «وَ مِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، وَ أَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ، وَ مُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَ أَمْرِهِ، وَ مِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَ السَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ، وَ مِنْهُمُ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَ الْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَ الْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَ الْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَ أَسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَ لَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَ لَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ، وَ لَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ».

المقام الأوّل: ما معنى الحفظة؟

قال في المصباح: وأمّا الحفظة فمنهم حفظة العباد كما قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾.

قال ابن عباس: إنَّ مع كلّ إنسانٍ ملكين، أحدهما عن يمينه، والآخر على يساره، فإذا تكلّم الإنسان بحسنةٍ كتبها من على يمينه، وإذا تكلّم بسيئةٍ قال من على اليمين لمن على اليسار: انتظر لعلّه يتوب منها، فإن لم يتب كتبت عليه[1].

وقال الخوئي: ظاهر العبارة أنَّ المراد بهم حفظة العباد من المعاطب والمهالك لا الحفظة عليهم يحفظون على العبد عمله، فهم من أشير إليهم في قوله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ واستدلّ على ما أراده بالروايات.

وأنت ترى كيف ادّعى ظهور الحفظة من غير تقريبٍ؟ وأيضاً ترى كيف

---

(١) اختيار مصباح السالكين للبحراني: ٦٩.

ادّعى المحقّق البحراني عبر قوله (فمنهم) على شمول الحفظة لكليهما من دون أن يقرّب أيضاً؟

والظاهر الحقّ مع الخوئي في نتيجته إذ مع كون الحفظة مطلقاً لكن توجد قرينة على خلاف الإطلاق، والقرينة هي قوله لعباده إذ لو كان مراداً له المعنى الآخر لكان قد قال: الحفظة عن عباده.

وهذا دليلٌ على بطلان الإطلاق.

المقام الثاني: في الجنان

أمّا الجنان فعلى ما أشير إليه في القرآن ثمان:

جنّة النعيم، وجنّة الفردوس، وجنّة الخلد، وجنّة المأوى، وجنّة عدن، ودار السلام، ودار القرار، وجنّةٌ عرضها السماوات والأرض.

وفي بعض كتب الأخبار تسميّة الأخيرة بالوسيلة.

وأمّا أبوابها فثمانيّةٌ أيضاً على ما في بعض كتب الأخبار: الباب الأوّل اسمه التوبة، والثاني الزكاة، والثالث الصلاة، والرابع الأمر والنهي، والخامس الحج، والسادس الورع، والسابع الجهاد، والثامن الصبر.

وفي الصافي عن الخصال عن الصادق عن أبيه عن جدّه عن علي (عليه السلام) قال: «إِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ بَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ النَّبِيُّونَ وَ الصِّدِّيقُونَ وَ بَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ الشُّهَدَاءُ وَ الصَّالِحُونَ وَ خَمْسَةُ أَبْوَابٍ يَدْخُلُ مِنْهَا شِيعَتُنَا وَ مُحِبُّونَا فَلَا أَزَالُ وَاقِفاً عَلَى الصِّرَاطِ أَدْعُو وَ أَقُولُ رَبِّ سَلِّمْ شِيعَتِي وَ مُحِبِّي وَ أَنْصَارِي وَ مَنْ تَوَلَّانِي فِي دَارِ الدُّنْيَا فَإِذَا النِّدَاءُ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكَ وَ شُفِّعْتَ فِي شِيعَتِكَ وَ يُشَفَّعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ شِيعَتِي وَ مَنْ تَوَلَّانِي وَ نَصَرَنِي وَ حَارَبَ مَنْ حَارَبَنِي بِفِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ فِي سَبْعِينَ

أَلْفَ مِنْ جِيرَانِهِ وَ أَقْرِبَائِهِ وَ بَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ سَائِرُ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ مِقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنْ بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ»(١).

خلاصة المقامات

ذكر الإمام (عليه السلام) أنَّ لله بعد أن فتق السماوات ملأهنَّ أصنافاً متباينة من الملائكة، وخصّ الأطوار والأقسام بخصائص تبيّن وظائفهم.

فذكر الساجدين الذين لا يركعون، والراكعين غير المنتصبين، والصّافين المصطفين الذين لا يتزايلون كما وصفهم سبحانه، ﴿إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾(٢)، والمسبحين لله سبحانه الذين لا يدخلهم مللٌ من تسبيحه، ولا كللٌ من تقديسه، قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾(٣).

ثُمَّ ذكر لهم أوصافاً، ونعتهم بنعت العارف بهم، الشاهد على خلقهم إذ قال: (لا يغشاهم نوم العقول) فلا يكاد منهم نومٌ ولا نعاسٌ فضلاً عن أن يكون.

ولا عقولهم تسهى عمّا يراد منهم فلكلٍ واجب هو قائمٌ به على أتمّ وجه وأحسن حال.

فعند قيامهم بواجباتهم لا تأخذهم فترة الأبدان ولا ضعف الجثمان ولا ينسون ما كلّفوا به ولا يذهلون ولا يغفلون.

وذكر أيضاً الأمناء على الوحي المتشرفين بحمل الرسالة من الموحي (جلت اسماؤه) إلى الموحى إليه (عليهم صوات الله أجمعين) المختلفين صعوداً ونزولاً وذهاباً ومجيئاً

---

(١) منهاج البراعة للخوئي ٢: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٦٦.

بقضاء الله وحسن تدبيره.

وبعد ذلك الحفظة لعباده من المهالك والأعطاب والسدنةُ خدام الأبواب.

ثُمَّ الثابتين الأقدام في الأرضين، المستقرين في طاعة ربّ العالمين، الخارجة أعناقهم إلى عليين المارقة إلى العنان رقاب عقولهم اللازبة في الأرضيين السفلى أقدام إدراكهم.

فلهم معرفة بالبارئ توجب نكس الأبصار، وعدم قياسه بما حلّ في الليل والنهار، فهم المستنيرون بضياءه، الماشون في علياءه، المتمسكون بحبائل العروة الوثقى، المبرؤون عن الأوهام، المترفعون عن الخيال المنقادون للربّ المتعال.

قال (عليه السلام): «ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْـأَرْضِ وَ سَـهْلِهَا وَ عَـذْبِهَا وَ سَبَخِهَا تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ وَ لَاطَهَا بِالْبِلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ فَجَبَـلَ مِنْهَـا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاء وَ وُصُولٍ وَ أَعْضَاء وَ فُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّـى اسْتَمْسَـكَتْ وَ أَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وَ أَجَلٍ مَعْلُومٍ».

المقام الأوّل: في الإسناد

قال الخوئي: «**ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ**» إسناد الجمع إليه تعالى من باب التوسع في الإسناد من باب بنى الأمير المدينة إذ الجمع حقيقةً فعلُ ملك الموت بأمر الله بعد أن اقتضت الحكمة خلقة آدم وجعله خليفةً في الأرض[١].

وهذه غفلةٌ من المحقّق، إذ كيف يقال بالتوسّع مع أنَّ الأمر كلّه بيده، وهو العلّة الحقيقيّة لكلّ موجود طرّاً، وغيره معدٌّ حقيقةً، والمعدّ ليس علةً على وجه الدقّة والحقيقة بل هو علةٌ مجازاً كما هو معلوم فإسناد كل الأشياء إلى العلّة أظهر من إسنادها إلى المعدّ الموقوف على علّته أيضاً، وإنّما قلنا بنى الأمير المدينة توسّعاً لأنَّ كلّاً منهما معدٌّ لا علّة، وكيف يقاس الله عليه.

(١) منهاج البراعة للخوئي ٢: ٤١.

المقام الثاني: في الصلصال

قال المحقق البحراني: قال بعضهم: الصلصال هو المنتن من قولهم صل اللحم وأصلّ إذا أنتن، وقيل: هو الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ وإذا طبخ فهو فخار، وقيل: إذا توهمت في صوته مداً فهو صليل وإذا توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلةٌ[١].

وقال الخوئي: وقال بعضهم: إنّ الصلصال هو المنتن وكلام الإمام شاهدٌ على فساده، حيث إنّه (عليه السلام) نبّه بحصول الإستمساك بعد الجمود وحصول الصلصاليّة بعد الصلود.

ومن الواضح أنّ النتن يرتفع مع حصول الجمود واليبوسة فهو على تقدير وجوده إنّما كان قبل تلك اللحظة وهي الحالة المسنونية المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

قال الفخر الرازي: كونه حماء مسنوناً يدل على النتن والتغيّر، وظاهر الآية يدلّ على أنّ هذا الصلصال إنّما تولّد من الحمأ المسنون فوجب أن يكون كونه صلصالاً مغايراً لكونه حمأً مسنوناً، ولو كان كونه صلصالاً عبارة عن النتن والتغيّر لم يبق بين كونه صلصالاً وبين كونه حمأً مسنوناً تفاوت، انتهى هذا[٢].

أمّا قول المحقّق البحراني فهو خالٍ من التدقيق وأخذه من بعضهم من غير تحقيقٍ.

---

(١) شرح نهج البلاغة للبحراني ١: ١٧٠.

(٢) منهاج البراعة للخوئي ٢: ٤٢ـ ٤٣.

فإنَّ ابن منظور قد قال في لسانه: وأصِل الماء يأصل أصلاً إذا تغيّر طعمه أو ريحه من حمأةٍ فيه[1].

وواضح الفرق بين السبب وبين المسبب الذي هو التغيّر ذاته، فكيف يقول: إنَّ الصلصال هو المنتن؟

هذا، وأنَّ الماء لا يسمّى أصلاً إذا لم ينتن بسبب الحمأة فيه.

نعم، النتن قد يعرض بواسطة الحمأة في الماء وفي غير الماء.

ولهذا نسب الزمخشري هذا القول إلى القيل، وهو مشعرٌ بالتضعيف كما لا يخفى[2].

بل قال أبو حيان: ولا يصح لاختلاف المادتين[3].

أمّا عن الخوئي الذي ذهب إلى كون الصلصال الحاصل يرفع النتن إذ الجمود واليبوسة المعبّر عنها بالصلصال ترفعه.

فواضحٌ ممّا تقدّم.

ثُمَّ إنَّ الإمام لم يشر أنَّ الصلصال من الحمأ المسنون أم من غيره واكتفى بالإشارة إلى المسببّ، وأهمل السبب عمداً حيث يخرجه ذكره عمّا يريده في الخطبة وهذا ما كفلته أخبارهم الطينيّةُ إذ جاء فيها كثيرٌ من التفاصيل التي لم يعلمها إنسانٌ لولاهم.

قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إِنَّ اَللَّهَ خَلَقَ اَلْمُؤْمِنَ مِنْ طِينَةِ اَلْجَنَّةِ وَ خَلَقَ اَلنَّاصِبَ

(١) لسان العرب لابن منظور ١: ١٥٦.

(٢) الكشّاف للزمخشري ٢: ٥٧٦.

(٣) البحر المحيط للأندلسي ٥: ٤٤٠.

مِنْ طِينَةِ اَلنَّارِ وَ قَالَ إِذَا أَرَادَ اَللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً طَيَّبَ رُوحَهُ وَ جَسَدَهُ فَلاَ يَسْمَعُ شَيْئاً مِنَ اَلْخَيْرِ إِلاَّ عَرَفَهُ وَ لاَ يَسْمَعُ شَيْئاً مِنَ اَلْمُنْكَرِ إِلاَّ أَنْكَرَهُ قَالَ وَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ اَلطِّينَاتُ ثَلاَثَةٌ طِينَةُ اَلْأَنْبِيَاءِ وَ اَلْمُؤْمِنُ مِنْ تِلْكَ اَلطِّينَةِ إِلاَّ أَنَّ اَلْأَنْبِيَاءَ هُمْ صَفْوَتُهَا وَ هُمُ اَلْأَصْلُ وَ لَهُمْ فَضْلُهُمْ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ اَلْفَرْعُ مِنْ طِينٍ لاَزِبٍ كَذَلِكَ لاَ يُفَرِّقُ اَللَّهُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ شِيعَتِهِمْ وَ قَالَ طِينَةُ اَلنَّاصِبِ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَ أَمَّا اَلْمُسْتَضْعَفُونَ فَمِنْ تُرَابٍ لاَ يَتَحَوَّلُ مُؤْمِنٌ عَنْ إِيمَانِهِ وَ لاَ نَاصِبٌ عَنْ نَصْبِهِ وَ لِلَّهِ اَلْمَشِيَّةُ فِيهِمْ جَمِيعاً»(١).

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر (عليه السلام): «إِنَّا وَ شِيعَتَنَا خُلِقْنَا مِنْ طِينَةِ عِلِّيِّينَ وَ خَلَقَ اللَّهُ عَدُوَّنَا مِنْ طِينَةِ خَبَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُون»(٢).

وفي رواية ثالثة عن إسحاق القمي قال: «دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ اَلْبَاقِرِ (عليه السلام)، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَخْبِرْنِي عَنِ اَلْمُؤْمِنِ يَزْنِي؟ قَالَ: (لاَ) قُلْتُ: فَيَلُوطُ؟ قَالَ: (لاَ) قُلْتُ: فَيَشْرَبُ اَلْمُسْكِرَ؟ قَالَ: (لاَ) قُلْتُ: فَيُذْنِبُ؟ قَالَ: (نَعَمْ) قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ لاَ يَزْنِي وَ لاَ يَلُوطُ وَ لاَ يَرْتَكِبُ اَلسَّيِّئَاتِ، فَأَيُّ شَيْءٍ ذَنْبُهُ؟ قَالَ: يَا إِسْحَاقُ قَالَ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: اَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ اَلْإِثْمِ وَ اَلْفَوَاحِشَ إِلاَّ اَللَّمَمَ وَ قَدْ يُلِمُّ اَلْمُؤْمِنُ بِالشَّيْءِ اَلَّذِي لَيْسَ فِيهِ مُرَادٌ. قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَخْبِرْنِي عَنِ اَلنَّاصِبِ لَكُمْ يَطْهُرُ بِشَيْءٍ أَبَداً؟ قَالَ: (لاَ) قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَقَدْ أَرَى اَلْمُؤْمِنَ اَلْمُوَحِّدَ اَلَّذِي يَقُولُ بِقَوْلِي، وَ يَدِينُ اَللَّهَ بِوَلاَيَتِكُمْ، وَ لَيْسَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ خِلاَفٌ - يَشْرَبُ اَلْمُسْكِرَ، وَ يَزْنِي، وَ يَلُوطُ - وَ آتِيهِ فِي حَاجَةٍ، فَأُصِيبُهُ مُعَبِّسَ اَلْوَجْهِ، كَالِحَ اَللَّوْنِ، ثَقِيلاً فِي حَاجَتِي بَطِيئاً فِيهَا، وَ قَدْ أَرَى اَلنَّاصِبَ اَلْمُخَالِفَ لِمَا أَنَا عَلَيْهِ وَ يَعْرِفُنِي بِذَلِكَ، فَآتِيهِ فِي حَاجَةٍ، فَأُصِيبُهُ طَلْقَ اَلْوَجْهِ،

---

(١) الكافي للكليني ٢: ٣.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٦٤، ١٢٩.

حَسَنَ اَلْبِشْرِ، مُتَسَرِّعاً فِي حَاجَتِي، فَرِحاً بِهَا، يُحِبُّ قَضَاءَهَا - كَثِيرَ اَلصَّلاَةِ، كَثِيرَ اَلصَّوْمِ، كَثِيرَ اَلصَّدَقَةِ، يُؤَدِّي اَلزَّكَاةَ، وَ يُسْتَوْدَعُ فَيُؤَدِّي اَلْأَمَانَةَ- قَالَ: (يَا إِسْحَاقُ لَيْسَ تَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ أُوتِيتُمْ؟) فَقُلْتُ: لاَ وَ اَللَّهِ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِلاَّ أَنْ تُخْبِرَنِي، فَقَالَ لِي: (يَا إِسْحَاقُ إِنَّ اَللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ لَمْ يَزَلْ مُتَفَرِّداً بِالْوَحْدَانِيَّةِ، اِبْتَدَأَ اَلْأَشْيَاءَ لاَ مِنْ شَيْءٍ، فَأَجْرَى اَلْمَاءَ اَلْعَذْبَ عَلَى أَرْضٍ طَيِّبَةٍ طَاهِرَةٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ مَعَ لَيَالِيهَا، ثُمَّ نَضَبَ اَلْمَاءُ عَنْهَا، فَقَبَض قَبْضَةً مِنْ صَفَاوَةِ ذَلِكَ اَلطِّين - وَ هِيَ طِينَتُنَا أَهْلَ اَلْبَيْتِ - ثُمَّ قَبَض قَبْضَةً مِنْ أَسْفَلِ ذَلِكَ اَلطِّين - وَ هِيَ طِينَةُ شِيعَتِنَا - ثُمَّ اِصْطَفَانَا لِنَفْسِهِ، فَلَوْ أَنَّ طِينَةَ شِيعَتِنَا تُرِكَتْ كَمَا تُرِكَتْ طِينَتُنَا لَمَا زَنَى أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَ لاَ سَرَقَ، وَ لاَ لاَطَ، وَ لاَ شَرِبَ اَلْمُسْكِرَ، وَ لاَ اِكْتَسَبَ شَيْئاً مِمَّا ذَكَرْتَ. وَ لَكِنَّ اَللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) أَجْرَى اَلْمَاءَ اَلْمَالِحَ عَلَى أَرْضٍ مَعْلُونَةٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَ لَيَالِيهَا، ثُمَّ نَضَبَ اَلْمَاءُ عَنْهَا، ثُمَّ قَبَض قَبْضَةً وَ هِيَ طِينَةٌ مَلْعُونَةٌ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ، وَ هِيَ طِينَةُ خَبَالٍ، وَ هِيَ طِينَةُ أَعْدَائِنَا، فَلَوْ أَنَّ اَللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ تَرَكَ طِينَتَهُمْ كَمَا أَخَذَهَا لَمْ تَرَوْهُمْ فِي خَلْقِ اَلْآدَمِيِّينَ، وَ لَمْ يُقِرُّوا بِالشَّهَادَتَيْن، وَ لَمْ يَصُومُوا، وَ لَمْ يُصَلُّوا، وَ لَمْ يُزَكُّوا، وَ لَمْ يَحُجُّوا اَلْبَيْتَ ، وَ لَمْ تَرَوْا أَحَداً مِنْهُمْ بِحُسْنِ اَلْخُلُقِ، وَ لَكِنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى جَمَعَ اَلطِّينَتَيْن - طِينَتَكُمْ وَ طِينَتَهُمْ - فَخَلَطَهُمَا وَ عَرَكَهُمَا عَرْكَ اَلْأَدِيمِ وَ مَزَجَهُمَا بِالْمَاءَيْن. فَمَا رَأَيْتَ مِنْ أَخِيكَ اَلْمُؤْمِن مِنْ (شَرٍّ لَفْظٍ) أَوْ زِنًا، أَوْ شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْتَ مِنْ شُرْبِ مُسْكِرٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَلَيْسَ مِنْ جَوْهَرِيَّتِهِ، وَ لاَ مِنْ إِيمَانِهِ، إِنَّمَا هُوَ بِمَسْحَةِ اَلنَّاصِبِ ، اِجْتَرَحَ هَذِهِ اَلسَّيِّئَاتِ اَلَّتِي ذَكَرْتَ، وَ مَا رَأَيْتَ مِنَ اَلنَّاصِبِ مِنْ حُسْنِ وَجْهٍ وَ حُسْنِ خُلُقٍ، أَوْ صَوْمٍ، أَوْ صَلاَةٍ، أَوْ حَجِّ بَيْتٍ، أَوْ صَدَقَةٍ، أَوْ مَعْرُوفٍ، فَلَيْسَ مِنْ جَوْهَرِيَّتِهِ إِنَّمَا تِلْكَ اَلْأَفَاعِيلُ مِنْ مَسْحَةِ اَلْإِيمَانِ، اِكْتَسَبَهَا وَ هُوَ اِكْتِسَابُ مَسْحَةِ اَلْإِيمَانِ) قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ اَلْقِيَامَةِ فَمَهْ ؟ قَالَ لِي: (يَا إِسْحَاقُ لاَ

يَجْمَعُ اَللَّهُ اَلْخَيْرَ وَ اَلشَّرَّ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. إِذَا كَانَ يَوْمُ اَلْقِيَامَةِ نَزَعَ اَللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) مَسْحَةَ اَلْإِيمَانِ مِنْهُمْ فَرَدَّهَا إِلَى شِيعَتِنَا، وَ نَزَعَ مَسْحَةَ اَلنَّاصِبِ بِجَمِيعِ مَا اِكْتَسَبُوا مِنَ اَلسَّيِّئَاتِ، فَرَدَّهَا عَلَى أَعْدَائِنَا وَ عَادَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى عُنْصُرِهِ اَلْأَوَّلِ اَلَّذِي مِنْهُ اِبْتَدَأَ، أَمَا رَأَيْتَ اَلشَّمْسَ إِذَا هِيَ بَدَتْ، أَلاَ تَرَى لَهَا شُعَاعاً زَاخِراً مُتَّصِلاً بِهَا أَوْ بَائِناً مِنْهَا). قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ اَلشَّمْسُ إِذَا غَرَبَتْ بَدَا إِلَيْهَا اَلشُّعَاعُ كَمَا بَدَأَ مِنْهَا، وَ لَوْ كَانَ بَائِناً مِنْهَا لَمَا بَدَأَ إِلَيْهَا؟ قَالَ: (نَعَمْ يَا إِسْحَاقُ كُلُّ شَيْءٍ يَعُودُ إِلَى جَوْهَرِهِ اَلَّذِي مِنْهُ بَدَأَ) قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ تُؤْخَذُ حَسَنَاتُهُمْ فَتُرَدُّ إِلَيْنَا، وَ تُؤْخَذُ سَيِّئَاتُنَا فَتُرَدُّ إِلَيْهِمْ؟ قَالَ: (إِي وَ اَللَّهِ اَلَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ) قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَجِدُهَا فِي كِتَابِ اَللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)؟ قَالَ: (نَعَمْ يَا إِسْحَاقُ) قُلْتُ: أَيُّ مَكَانٍ، قَالَ لِي: (يَا إِسْحَاقُ مَا تَتْلُو هَذِهِ اَلْآيَةَ فَأُوْلٰئِكَ يُبَدِّلُ اَللّٰهُ سَيِّئٰاتِهِمْ حَسَنٰاتٍ وَ كٰانَ اَللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً فَلَنْ يُبَدِّلَ اَللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ إِلاَّ لَكُمْ وَ يُبَدِّلُ اَللَّهُ لَكُمْ»[(١)].

وأنت ترى كيف إنّ الامام يعبّر عن طينتهم بالحمأ المسنون ولم يعبّر بالصلصال عنه، مع أنه صلصالٌ بلا شكّ.

لكن لمّا كانت العبرة بالحمأ المسنون دون الصلصال فإنّه لا يؤثر في المقام شيئاً قال: من حمأ مسنون.

نعم، من عرضنا للروايات الشريفة علم أنّ الحمأ المسنون هو طينة النواصب، فكيف توفّقون بين هذا القول وبين قوله تعالى: ﴿وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُون﴾[(٢)].

---

(١) علل الشرائع ٢: ٤٨٩، مختصر البصائر ١: ٥١٣.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٦.

وكذا قوله تعالى: ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[1].

فنقول: يمكن الجمع بين الروايات والآيات بما ورد عنهم «عليهم السلام» من أنَّ الله خلق الأنبياء والصالحين من طينةٍ، وخلق الصالحين والمردة من طينة أخرى وخصهم بالبداء فلهم البقاء ولهم العدم.

وعندما أمر الله الملائكة بالسجود فعلاً لآدم (عليه السلام) كان قد عركهما عرك الأديم ثُمَّ قال: ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمإٍ مسنونٍ إشارةٍ منه إلى اختلاط العناصر.

ولهذا السبب اغتر إبليس ولم يسجد لآدم (عليه السلام) — مع أنَّ آدم (عليه السلام) كان مخلوقاً من طين الجنّة أو من ماء الفرات العذب — فقال: لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون.

فكأنّه أشار لعنه الله إلى السوء بخلقه المعبّر عنه بالحمإ المسنون ورأى أنَّ النار أفضل من الصلصال الناشئة من ذلك الحمإ المسنون وهذا قول أمير المؤمنين (عليه السلام) واستوهنوا الصلصال ولم يلتفت إلى الحكمة من ذلك في اختلاط طينة آدم (عليه السلام) وما نتج عنها من خيرٍ وشرٍّ وإيمانٍ وكفرٍ.

ويدلّ على ذلك ما رواه في تفسير الصافي ورواه في العلل أيضاً عن أمير المؤمنين، قال: «إنّ اللّه لما أراد أن يخلق خلقاً بيده و ذلك بعد ما مضى عن الجنّ و النّسناس في الأرض سبعة آلاف سنة فرفع سبحانه حجاب السماوات و أمر الملائكة أن انظروا إلى أهل الأرض من الجنّ و النّسناس فلمّا رأوا ما يعملون فيها من

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٣.

المعاصي و سفك الدماء و الفساد في الأرض بغير الحقّ عظم ذلك عليهم و غضبوا اللّه تعالى و تأسفوا على الأرض و لم يملكوا غضبهم و قالوا ربّنا أنت العزيز القادر العظيم الشأن و هذا خلقك الذّليل الحقير المتقلّب في نعمتك المتمتّع بعافيتك المرتهن في قبضتك و هم يعصونك بمثل هذه الذنوب و يفسدون في الأرض و لا تغضب و لا تنتقم لنفسك و أنت تسمع و ترى و قد عظم ذلك علينا و أكبرناه لك، فقال جلّ جلاله: إِنّي جاٰعِلٌ فِي اَلْأَرْضِ خَلِيفَةً تكون حجّة لي في أرضي على خلقي. قالت الملائكة أ تَجْعَلُ فِيهاٰ مَنْ يُفْسِدُ فِيهاٰ كما أفسد هؤلاء وَ يَسْفِكُ اَلدِّمٰاءَ كما فعل هؤلاء و يتحاسدون و يتباغضون فاجعل ذلك الخليفة منّا فانّا لا نتحاسد و لا نتباغض و لا نسفك الدماء وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ، قاٰلَ تبارك و تعالى: إِنّي أَعْلَمُ ماٰ لاٰ تَعْلَمُونَ إنّي أُريد أن أخلق خلقاً بيدي و اجعل من ذرّيته الأنبياء و المرسلين و عباد اللّه الصّالحين و أئمّة مهديّين و اجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي يهدونهم إلى طاعتي و ينهونهم عن معصيتي و اجعلهم حجّة لي عليهم عذراً و نذراً و أبين النّسناس عن أرضي و اطهّرها منهم و أنقل الجنّ المردة العصاة عن بريّتي و خيرتي من خلقي و أسكنهم في الهواء و في اقفار الأرض فلا يجاورون خلقي و اجعل بين الجنّ و بين نسل خلقي حجاباً و من عصاني من نسل خلقي الذين اصطفيتهم أسكنتهم مسكن العصاة و أوردتهم مواردهم فقالت الملائكة: سُبْحاٰنَكَ لاٰ عِلْمَ لَناٰ إِلاّٰ ماٰ عَلَّمْتَناٰ قال: فباعدهم اللّه (عز وجل) من العرش مسيرة خمسمائة عام فلاذوا بالعرش و أشاروا بالأصابع فنظر الربّ جلّ جلاله إليهم و نزلت الرّحمة فوضع لهم البيت المعمور فقال: طوفوا به ودعوا العرش فانّه لي رضاً. فطافوا به و هو البيت الذي يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً و وضع اللّه البيت المعمور توبة

لأهل السماء و الكعبة توبة لأهل الأرض فقال اللّه تبارك وتعالى: إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قال و كان ذلك من اللّه تعالى تقدمة في آدم قبل أن يخلقه و احتجاجاً منه عليهم قال فاغترف جلّ جلاله من الماء العذب الفرات غرفة بيمينه و كلتا يديه يمين فَصَلْصَلَهَا فجمدت، و قال اللّه (جلّ جلاله): (منك أخلق النّبيين و المرسلين و عبادي الصَّالحين و الأئمّة المهديّين الدّعاة إلى الجنّة و اتباعهم إلى يوم القيامة و لا أُسئلُ عمّا أفعل و هم يسألون). ثم اغترف من الماء المالح الأجاج غرفة فَصَلْصَلَهَا فجمدت فقال تعالى: و منك أخلق الفراعنة و الجبابرة و اخوان الشياطين و العتاة و الدعاة إلى النار و أشياعهم إلى يوم القيامة (ولا أُسْئَلُ عمّا أفعل و هم يسألون) قال و شرط في ذلك البدَاء فيهم و لم يشرط في أصحاب اليمين ثمّ خلط الماءين جميعاً في كفّه فَصَلْصَلَهَما، ثمّ كفاهما قدّام عرشه و هما سلالة من طين ثمّ أمر ملائكة الجهات الشّمال و الجنوب و الصّبا و الدّبور أن يجُولوا على هذه السلالة من الطّين فأبرءوها و أنشأوها ثمّ جزؤوها و فصّلوها و أجروا فيها الطّبائع الأربع المرّتين و الدمّ و البلغم فجالت الملائكة عليها و أجروا فيها الطبائع الأربع فالدّم من ناحية الصّبَا و البلغم من ناحية الشمال و المرّة الصّفراء من ناحية الجنوب و المرّة السّوداء من ناحية الدّبور فاستقلّت النّسمة و كمل البدن فلزمه من جهة الرِّيح حبّ النِّساء و طول الأمل و الحرص و من جهة البلغم حبّ الطّعام و الشّراب و البرّ و الحلم و الرّفق و من جهة المرّة الغضَبَ و السّفه و الشّيطنة و التجبّر و التمرّد و العجلة و من جهة الدمّ حبّ الفساد و اللّذات و ركوب المحارم و الشّهوات. قال أبو جعفر (عليه السلام): وجدنا هذا في كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) و زاد القمّيّ في روايته: فخلق اللّه آدم (عليه السلام) و بقي أربعين سنة مصوّراً و كان يمرّ به إبليس اللّعين فيقول: لأمرٍ ما

خلقت قال العالم (عليه السلام): فقال إبليس لئن أمرني اللّه بالسّجود لهذا عصيته قال ثمّ نفخ فيه الرّوح و بلغت دماغه عطسَ عطسةً و جلس منها مستوياً فقال الحمد للّه فأجابه اللّه (عزّ وجلّ) يرحمك اللّه ربّك يا آدم فقال الإمام (عليه السلام) فَسَبَقت له من اللّه الرّحمة»(١).

وقَالَ ابْنُ طَاوُسٍ فِي كِتَابِ سَعْدِ اَلسُّعُودِ، مِنْ صَحَائِفِ إِدْرِيسَ اَلنَّبِيِّ (عليه السلام) قَالَ: «فِي صِفَةِ خَلْقِ آدَمَ إِنَّ اَلْأَرْضَ عَرَّفَهَا اَللَّهُ (جلّ جلاله) أَنَّهُ يَخْلُقُ مِنْهَا خَلْقاً فَمِنْهُمْ مَنْ يُطِيعُهُ وَ مَنْ يَعْصِيهِ فَاقْشَعَرَّتِ اَلْأَرْضُ وَ اِسْتَعْطَفَتِ اَللَّهَ وَ سَأَلَتْهُ لاَ يَأْخُذُ عَنْهَا مَنْ يَعْصِيهِ وَ يَدْخُلُ اَلنَّارَ وَ إِنَّ جَبْرَئِيلَ أَتَاهَا لِيَأْخُذَ مِنْهَا طِينَةَ آدَمَ (عليه السلام) فَسَأَلَتْهُ بِعِزَّةِ اَللَّهِ أَنْ لاَ يَأْخُذَ مِنْهَا شَيْئاً حَتَّى تَتَضَرَّعَ إِلَى اَللَّهِ تَعَالَى وَ تَضَرَّعَتْ فَأَمَرَهُ اَللَّهُ تَعَالَى بِالاِنْصِرَافِ عَنْهَا فَأَمَرَ اَللَّهُ مِيكَائِيلَ فَاقْشَعَرَّتْ وَ تَضَرَّعَتْ وَ سَأَلَتْ فَأَمَرَهُ اَللَّهُ تَعَالَى بِالاِنْصِرَافِ عَنْهَا فَأَمَرَ اَللَّهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ بِذَلِكَ فَاقْشَعَرَّتْ وَ سَأَلَتْ وَ تَضَرَّعَتْ فَأَمَرَهُ اَللَّهُ بِالاِنْصِرَافِ عَنْهَا فَأَمَرَ عِزْرَائِيلَ فَاقْشَعَرَّتْ وَ تَضَرَّعَتْ فَقَالَ قَدْ أَمَرَنِي رَبِّي بِأَمْرٍ أَنَا مَاضٍ لَهُ سَرَّكِ ذَاكِ أَمْ سَاءَكِ فَقَبَضَ مِنْهَا كَمَا أَمَرَ اَللَّهُ ثُمَّ صَعِدَ بِهَا إِلَى مَوْقِفِهِ فَقَالَ اَللَّهُ لَهُ كَمَا وُلِّيتَ قَبْضَهَا مِنَ اَلْأَرْضِ وَ هِيَ كَارِهَةٌ كَذَلِكَ تَلِي قَبْضَ أَرْوَاحِ كُلِّ مَنْ عَلَيْهَا وَ كُلِّ مَا قَضَيْتُ عَلَيْهِ اَلْمَوْتَ مِنَ اَلْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ فَلَمَّا كَانَ صَبَاحُ يَوْمِ اَلْأَحَدِ اَلثَّانِي اَلْيَوْمَ اَلثَّامِنَ مِنْ خَلْقِ اَلدُّنْيَا فَأَمَرَ اَللَّهُ مَلَكاً فَعَجَنَ طِينَةَ آدَمَ فَخَلَطَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ثُمَّ خَمَّرَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ جَعَلَهَا لاَزِباً ثُمَّ جَعَلَهَا حَمَأً مَسْنُوناً أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ جَعَلَهَا صَلْصَالاً كَالْفَخَّارِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ قَالَ لِلْمَلاَئِكَةِ بَعْدَ عِشْرِينَ وَ مِائَةِ سَنَةٍ مُذْ خُمِّرَ طِينَةُ آدَمَ - إِنِّي خٰالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ `فَإِذٰا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

---

(١) تفسير الصافي ١: ١٠٧.

سَاجِدِينَ فَقَالُوا نَعَمْ فَقَالَ فِي اَلصُّحُفِ مَا هَذَا لَفْظُهُ فَخَلَقَ اَللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ اَلَّتِي صَوَّرَهَا فِي اَللَّوْحِ اَلْمَحْفُوظِ»[1].

وجاء في تفسير العياشي عن أبي عبد الله (عليه السلام): «إِنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى خَلَقَ فِي مُبْتَدَإِ اَلْخَلْقِ بَحْرَيْنِ أَحَدُهُمَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَ اَلْآخَرُ مِلْحٌ أُجَاجٌ ثُمَّ خَلَقَ تُرْبَةَ آدَمَ مِنَ اَلْبَحْرِ اَلْعَذْبِ اَلْفُرَاتِ ثُمَّ أَجْرَاهُ عَلَى اَلْبَحْرِ اَلْأُجَاجِ فَجَعَلَهُ حَمَأً مَسْنُوناً وَ هُوَ خَلْقُ آدَمَ ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ كَتِفِ آدَمَ اَلْأَيْمَنِ فَذَرَأَهَا فِي صُلْبِ آدَمَ فَقَالَ هَؤُلاَءِ فِي اَلْجَنَّةِ وَ لاَ أُبَالِي ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ كَتِفِ آدَمَ اَلْأَيْسَرِ فَذَرَأَهَا فِي صُلْبِ آدَمَ فَقَالَ هَؤُلاَءِ فِي اَلنَّارِ وَ لاَ أُبَالِي وَ لاَ أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَ لِي فِي هَؤُلاَءِ اَلْبَدَاءُ بَعْدُ وَ فِي هَؤُلاَءِ وَ هَؤُلاَءِ سَيُبْتَلَوْنَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اَللَّهِ (عليه السلام) فَاحْتَجَّ يَوْمَئِذٍ أَصْحَابُ اَلشِّمَالِ وَ هُمْ ذَرٌّ عَلَى خَالِقِهِمْ فَقَالُوا يَا رَبَّنَا بِمَ أَوْجَبْتَ لَنَا اَلنَّارَ وَ أَنْتَ اَلْحَكَمُ اَلْعَدْلُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَحْتَجَّ عَلَيْنَا وَ تَبْلُوَنَا بِالرُّسُلِ وَ تَعْلَمَ طَاعَتَنَا لَكَ وَ مَعْصِيَتَنَا فَقَالَ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى فَأَنَا أُخْبِرُكُمْ بِالْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ اَلْآنَ فِي اَلطَّاعَةِ وَ اَلْمَعْصِيَةِ وَ اَلْإِعْذَارِ بَعْدَ اَلْإِخْبَارِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اَللَّهِ (عليه السلام) فَأَوْحَى اَللَّهُ إِلَى مَالِكٍ خَازِنِ اَلنَّارِ أَنْ مُرِ اَلنَّارَ تَشْهَقُ ثُمَّ تُخْرِجُ عُنُقاً مِنْهَا فَخَرَجَتْ لَهُمْ ثُمَّ قَالَ اَللَّهُ لَهُمُ اُدْخُلُوهَا طَائِعِينَ فَقَالُوا لاَ نَدْخُلُهَا طَائِعِينَ ثُمَّ قَالَ اُدْخُلُوهَا طَائِعِينَ أَوْ لَأُعَذِّبَنَّكُمْ بِهَا كَارِهِينَ قَالُوا إِنَّا هَرَبْنَا إِلَيْكَ مِنْهَا وَ حَاجَجْنَاكَ فِيهَا حَيْثُ أَوْجَبْتَهَا عَلَيْنَا وَ صَيَّرْتَنَا مِنْ أَصْحَابِ اَلشِّمَالِ فَكَيْفَ نَدْخُلُهَا طَائِعِينَ وَ لَكِنِ اِبْدَأْ أَصْحَابَ اَلْيَمِينِ فِي دُخُولِهَا كَيْ تَكُونَ قَدْ عَدَلْتَ فِينَا وَ فِيهِمْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اَللَّهِ (عليه السلام) فَأَمَرَ أَصْحَابَ اَلْيَمِينِ وَ هُمْ ذَرٌّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ اُدْخُلُوا هَذِهِ اَلنَّارَ طَائِعِينَ قَالَ فَطَفِقُوا يَتَبَادَرُونَ فِي دُخُولِهَا فَوَلَجُوا فِيهَا جَمِيعاً فَصَيَّرَهَا اَللَّهُ عَلَيْهِمْ بَرْداً وَ سَلاَماً ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ

(١) بحار الأنوار للمجلسي ١١: ١٢٠.

مِنْهَا ثُمَّ إِنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى نَادَى فِي أَصْحَابِ اَلْيَمِينِ وَ أَصْحَابِ اَلشِّمَالِ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَقَالَ أَصْحَابُ اَلْيَمِينِ بَلَى يَا رَبَّنَا نَحْنُ بَرِيَّتُكَ وَ خَلْقُكَ مُقِرِّينَ طَائِعِينَ وَ قَالَ أَصْحَابُ اَلشِّمَالِ بَلَى يَا رَبَّنَا نَحْنُ بَرِيَّتُكَ وَ خَلْقُكَ كَارِهِينَ وَ ذَلِكَ قَوْلُ اَللَّهِ: وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ قَالَ تَوْحِيدُهُمْ»(١).

ثُمَّ إنَّ هذا لا يعني إدراج كلّ الخلق تحت هذه الطينة فمحمدٌ وأهل بيته لم يخلقوا من ذلك الحمإ المسنون بل تفرّدوا بالأنوار من دون ساير الخلق لمّا علم الله منهم القرب والحبّ المطلقين فصار حقّاً على الله أن يخلقهم من نور عرشه ومن جلالة أمره وهاك الروايات بهذا الشأن العظيم والأمر الجليل.

عَنِ الْإِمَامِ مُوسَى بْن جَعْفَرٍ الْكَاظِمِ (عليه السلام) قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى خَلَقَ نُورَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) مِنْ نُورٍ اخْتَرَعَهُ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ وَ جَلَالِهِ وَ هُوَ نُورُ لَاهُوتِيَّتِهِ الَّذِي ابْتَدَأَ مِنْ لَاهٍ أَيْ مِنْ إِلَهِيَّتِهِ مِنْ أَيْنِيَّتِهِ الَّذِي ابْتَدَأَ مِنْهُ وَ تَجَلَّى لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ع بِهِ فِي طُورِ سَيْنَاءَ فَمَا اسْتَقَرَّ لَهُ وَ لَا طَاقَ مُوسَى لِرُؤْيَتِهِ وَ لَا ثَبَتَ لَهُ حَتَّى خَرَّ صَاعِقاً مَغْشِيّاً عَلَيْهِ وَ كَانَ ذَلِكَ النُّورُ مُحَمَّداً ص فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ مُحَمَّداً مِنْهُ قَسَّمَ ذَلِكَ النُّورِ شَطْرَيْنِ فَخَلَقَ مِنَ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ مُحَمَّداً وَ مِنَ الشَّطْرِ الْآخَرِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ع وَ لَمْ يَخْلُقْ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ غَيْرَهُمَا خَلَقَهُمَا اللَّهُ بِيَدِهِ وَ نَفَخَ فِيهِمَا بِنَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَ صَوَّرَهُمَا عَلَى صُورَتِهِمَا وَ جَعَلَهُمَا أُمَنَاءَ لَهُ وَ شُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ وَ خُلَفَاءَ عَلَى خَلِيقَتِهِ وَ عَيْناً لَهُ عَلَيْهِمْ وَ لِسَاناً لَهُ إِلَيْهِمْ قَدِ اسْتَوْدَعَ فِيهِمَا عِلْمَهُ وَ عَلَّمَهُمَا الْبَيَانَ وَ اسْتَطْلَعَهُمَا عَلَى غَيْبِهِ وَ جَعَلَ أَحَدَهُمَا نَفْسَهُ وَ الْآخَرَ رُوحَهُ لَا يَقُومُ وَاحِدٌ بِغَيْرِ صَاحِبِهِ ظَاهِرُهُمَا بَشَرِيَّةٌ وَ بَاطِنُهُمَا لَاهُوتِيَّةٌ ظَهَرَا لِلْخَلْقِ عَلَى هَيَاكِلِ النَّاسُوتِيَّةِ حَتَّى يُطِيقُوا رُؤْيَتَهُمَا وَ هُوَ

(١) تفسير العياشي ١: ١٨٢.

قَوْلُهُ تَعَالَى وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ فَهُمَا مَقَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ حِجَابُ خَالِقِ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ بِهِمَا فَتَحَ اللَّهُ بَدْءَ الْخَلْقِ وَ بِهِمَا يَخْتِمُ الْمُلْكَ وَ الْمَقَادِيرَ. ثُمَّ اقْتَبَسَ مِنْ نُورِ مُحَمَّدٍ وَ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ كَمَا اقْتَبَسَ نُورَهُ مِنْ نُورِهِ وَ اقْتَبَسَ مِنْ نُورِ فَاطِمَةَ وَ عَلِيٍّ وَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ كَاقْتِبَاسِ الْمَصَابِيحِ هُمْ خُلِقُوا مِنَ الْأَنْوَارِ وَ انْتَقَلُوا مِنْ ظَهْرٍ إِلَى ظَهْرٍ وَ صُلْبٍ إِلَى صُلْبٍ وَ مِنْ رَحِمٍ إِلَى رَحِمٍ فِي الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا مِنْ غَيْرِ نَجَاسَةٍ بَلْ نَقْلًا بَعْدَ نَقْلٍ لَا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ وَ لَا مِنْ نُطْفَةٍ خَشِرَةٍ كَسَائِرِ خَلْقِهِ بَلْ أَنْوَارٌ انْتَقَلُوا مِنْ أَصْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحَامِ الْمُطَهَّرَاتِ لِأَنَّهُمْ صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ اصْطَفَاهُمْ لِنَفْسِهِ وَ جَعَلَهُمْ خُزَّانَ عِلْمِهِ وَ بُلَغَاءَ عَنْهُ إِلَى خَلْقِهِ أَقَامَهُمْ مَقَامَ نَفْسِهِ لِأَنَّهُ لَا يُرَى وَ لَا يُدْرَكُ وَ لَا تُعْرَفُ كَيْفِيَّتُهُ وَ لَا إِنِّيَّتُهُ فَهَؤُلَاءِ النَّاطِقُونَ الْمُبَلِّغُونَ عَنْهُ الْمُتَصَرِّفُونَ فِي أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ فِيهِمْ يَظْهَرُ قُدْرَتُهُ وَ مِنْهُمْ تُرَى آيَاتُهُ وَ مُعْجِزَاتُهُ وَ بِهِمْ وَ مِنْهُمْ عَرَفَ عِبَادُهُ نَفْسَهُ وَ بِهِمْ يُطَاعُ أَمْرُهُ وَ لَوْلَاهُمْ مَا عُرِفَ اللَّهُ وَ لَا يُدْرَى كَيْفَ يُعْبَدُ الرَّحْمَنُ فَاللَّهُ يَجْرِي أَمْرُهُ كَيْفَ شَاءَ فِيمَا يَشَاءُ لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُون»(١).

وعَنْ سَلْمَانَ المحمدي قَالَ «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَنَظَرَ إِلَيَّ وَ قَالَ يَا سَلْمَانُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً وَ لَا رَسُولًا إِلَّا جَعَلَ لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً قَالَ قُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتُ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ التَّوْرَاةِ وَ الْإِنْجِيلِ قَالَ يَا سَلْمَانُ فَهَلْ عَلِمْتَ مَنْ نُقَبَائِي وَ مَنِ الِاثْنَا عَشَرَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِلْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِي فَقُلْتُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَالَ يَا سَلْمَانُ خَلَقَنِيَ اللَّهُ مِنْ صَفْوَةِ نُورِهِ وَ دَعَانِي فَأَطَعْتُهُ وَ خَلَقَ مِنْ نُورِي عَلِيّاً وَ دَعَاهُ فَأَطَاعَهُ وَ خَلَقَ مِنْ نُورِي وَ مِنْ نُورِ عَلِيٍّ فَاطِمَةَ وَ دَعَاهَا فَأَطَاعَتْهُ وَ خَلَقَ مِنِّي وَ مِنْ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ الْحَسَنَ وَ دَعَاهُ فَأَطَاعَهُ وَ خَلَقَ مِنِّي وَ مِنْ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ

(١) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ٣٩٣.

وَ الْحَسَنِ الْحُسَيْنِ وَ دَعَاهُ فَأَطَاعَهُ فَسَمَّانَا الْخَمْسَةَ الْأَسْمَاءِ مِنْ أَسْمَائِهِ اللَّهُ مَحْمُودٌ وَ أَنَا مُحَمَّدٌ وَ اللَّهُ الْعَلِيُّ وَ هَذَا عَلِيٌّ وَ اللَّهُ فَاطِرٌ وَ هَذِهِ فَاطِمَةُ وَ اللَّهُ الْإِحْسَانُ وَ هَذَا الْحَسَنُ وَ اللَّهُ الْمُحْسِنُ وَ هَذَا الْحُسَيْنُ ثُمَّ خَلَقَ مِنَّا وَ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ تِسْعَةَ أَئِمَّةٍ وَ دَعَاهُمْ فَأَطَاعُوهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً وَ أَرْضاً مَدْحِيَّةً وَ هَوَاءً وَ مَاءً وَ مُلْكاً وَ أَشْرَكَنَا بِعِلْمِهِ نُوراً نُسَبِّحُهُ وَ نَسْمَعُ لَهُ وَ نُطِيعُ قَالَ سَلْمَانُ قُلْتُ: يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَدَيْتُكَ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي لِمَنْ عَرَفَ عَنِّي هَذَا فَقَالَ يَا سَلْمَانُ مَنْ عَرَفَهُمْ حَقَّ مَعْرِفَتِهِمْ وَ اقْتَدَى بِهِمْ وَ وَالَى وَلِيَّهُمْ وَ تَبَرَّأَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَهُوَ وَ اللَّهِ مِنَّا يَرِدُ حَيْثُ نَرِدُ وَ يَسْكُنُ حَيْثُ نَسْكُنُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَهَلْ تَكُونُ الْجَنَّاتُ بِهِمْ بِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِأَسْمَائِهِمْ وَ أَنْسَابِهِمْ فَقَالَ لَا يَا سَلْمَانُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، الْحُسَيْنَ ثُمَّ سَيِّدَ الْعَابِدِينَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ وَ ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بَاقِرَ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ ثُمَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ لِسَانَ اللَّهِ الصَّادِقَ ثُمَّ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ الْكَاظِمَ الْغَيْظَ صَبْراً فِي اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ثُمَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا لِأَمْرِ اللَّهِ ثُمَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْمُخْتَارَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ثُمَّ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الْهَادِيَ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ الْأَمِينَ عَلَى سِرِّ اللَّهِ ثُمَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الْهَادِيَ الْمَهْدِيَّ النَّاطِقَ الْقَائِمَ بِحَقِّ اللَّهِ قَالَ سَلْمَانُ فَبَكَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَنَّى لِسَلْمَانَ بِإِدْرَاكِهِمْ قَالَ يَا سَلْمَانُ إِنَّكَ مُدَارِكُهُمْ وَ مِثْلُكَ مَنْ تَوَالاهُمْ لِحِفْظِ الْمَعْرِفَةِ فَقَالَ سَلْمَانُ فَشَكَرْتُ اللَّهَ كَثِيراً ثُمَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مُؤَجَّلٌ إِلَى عَهْدِهِ قَالَ يَا سَلْمَانُ اقْرَأْ فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي قُوَّةٍ وَ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً قَالَ سَلْمَانُ وَ اشْتَدَّ بُكَائِي وَ شَوْقِي ثُمَّ قُلْتُ بِعَهْدٍ مِنْكَ قَالَ: وَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً إِنَّهُ لَعَهْدِي وَ مِنْ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَ الْحَسَنِ وَ

الْحُسَيْنِ وَ التِّسْعَةِ الْأَئِمَّةِ وَ كُلِّ مَنْ هُوَ مِنَّا مَظْلُوماً فِينَا إِي وَ اللَّهِ يَا سَلْمَانُ ثُمَّ لَيَحْضُرَنَّ إِبْلِيسُ وَ جُنُودُهُ وَ كُلُّ مَنْ مَحَضَ الْإِيمَانَ مَحْضاً وَ مَحَضَ الْكُفْرَ مَحْضاً ثُمَّ يُؤْخَذُ بِالْقِصَاصِ وَ الْأَوْتَارِ وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً وَ نَحْنُ تَأْوِيلُ هَذَا الْآيَةِ: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ قَالَ سَلْمَانُ فَقُمْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وَ لَا أُبَالِي مَتَى لَقِيَنِيَ الْمَوْتُ أَوْ لَقِيتُه»(١).

وَ سَأَلَ الْمُفَضَّلُ الصَّادِقَ (عليه السلام) «مَا كُنْتُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرَضِينَ قَالَ (عليه السلام) كُنَّا أَنْوَاراً حَوْلَ الْعَرْشِ نُسَبِّحُ اللَّهَ وَ نُقَدِّسُهُ حَتَّى خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ فَقَالَ لَهُمْ سَبِّحُوا فَقَالُوا يَا رَبَّنَا لَا عِلْمَ لَنَا فَقَالَ لَنَا سَبِّحُوا فَسَبَّحْنَا فَسَبَّحَتِ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِنَا أَلَا إِنَّا خُلِقْنَا مِنْ نُورِ اللَّهِ وَ خُلِقَ شِيعَتُنَا مِنْ دُونِ ذَلِكَ النُّورِ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْتَحَقَتِ السُّفْلَى بِالْعُلْيَا ثُمَّ قَرَنَ (عليه السلام) بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَ الْوُسْطَى وَ قَالَ كَهَاتَيْنِ...»(٢).

ومن هنا نقول بامتيازهم على جميع الخلق بما فيهم الأنبياء والمرسلين فإنّهم خلقوا من النور وخلق غيرهم من الطين ثُمَّ جعله الله في حمإٍ مسنون.

---

(١) الهداية الكبرى: ٣٧٥.

(٢) بحار الانوار ٢٥: ٢١.

المقام الثالث: اللام في وقت بماذا تتعلق؟

قال المعتزلي: والجواب، أنّها تتعلق بمحذوف تقديره: (حتّى صلصلت كائنة الوقت)، فيكون الجارّ والمجرور في موضع الحال، ويكون معنى الكلام أنّه أصْلدها حتى يبست وجفّت معدّة لوقتٍ معلومٍ، فنفخ حينئذٍ روحه فيها، ويمكن أنْ تكون اللام متعلّقة بقوله: (فجبَل) أي جَبَل وخَلَق من الأرض هذه الجثّة لوقت، أي لأجل وقت معلوم، وهو يوم القيامة[1].

وفيه:

أوّلاً: لا معنى لهذا الكلام، إذ نماشيك في كون الجارّ والمجرور في موضع الحال ونسلّم لك، لكن ما أعراب الكائنة التي قدرتها؟ خصوصاً مع حذف الفاعل الذي هو الطينة أو ما جرى بمعناها.

ثانياً: إنَّ هذا من سنخ التقدير الذي يرجّح عدم الركون إليه، خصوصاً مع صحّة أن يتعلّق بجبلَ.

ثالثاً: ظاهر الكلام لا يعطي أنَّ الوقت المعدود والأجل المعلوم هو يوم القيامة، بل هو لغاية نفخ الروح فيه، ومعنى ذلك أنَّها ابتدائيةٌ لا انتهائيّة.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٨٠.

المقام الرابع: في معاني ما ورد

قال السرسخي: تربة سنّها بالماء حتّى خلصت، ويروى خضلت: أي رقّقها ومسلّها.

قال (عليه السلام): «وَ لَاطَهَا بِالْبِلَّةِ حَتَّى لَزِبَتْ» ، لاط الحوض بالطين أي ملطخه به طينّه، ولزبت، أي: يبست.

قال (عليه السلام): «صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَ وُصُولٍ»، الأحناء: الجوانب، والمراد بالوصول الفاصل المتصل بعض الأعضاء ببعض عندها.

قال (عليه السلام): «وَ أَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ»، أي: صلّبها حتى جفّت وصوتت، والصلصال: الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ[1].

(١) أعلام نهج البلاغة للسرسخي ٤١.

قال (عليه السلام): «ثُمَّ نَفخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَتَمَثَّلَتْ إنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَ فِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَ جَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وَ أَدوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَ مَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ، وَ الْأَذْوَاقِ وَ الْمَشَامِّ، وَ الْأَلْوَانِ وَ الْأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَ الْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَ الْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، وَ الْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَ الْبَرْدِ وَ الْبِلَّةِ وَ الْجُمُودِ وَ الْمَسَاءَةِ وَ السُّرُورِ».

المقام الأول: «مِنْ رُوحِهِ»

قال المحقق البحراني: وإنّما يسمّى روحاً لأنّه مبدأ كلّ حياة وبه قوام كلّ شيء، ونسبته إلى الله ظاهرة، ومن للتبعيض، ويحتمل أن يراد به النفس الإنسانيّة ويكون من زائدة، ونسبت إلى الله لشرفها وبدائها عن الموادّ فلها مناسبةٌ مع علّتها الأولى[(١)].

أقول: لا نسلّم له الاحتمال الثاني إذ اشترط النحاة زيادتها إذا كانت ناصّةً في العموم أو التوكيد في العموم، وهنا لا عموم كما هو واضحٌ.

ثُمَّ، هب أننا تنازلنا عن هذا الإشكال لكن يبقى إشكالٌ في المقام وهو: أنَّ (روحه) مضافٌ إلى الضمير الراجع إليه تعالى ومعه كيف يمكن أن نفسر (روحه) بالنفس الإنسانيّة إذ كيف يمكننا أن نحافظ على المضاف إليه مع النفس الإنسانيّة؟.

(١) اختيار مصباح السالكين للمحق البحراني: ٧٢.

المقام الثاني: في بيان الألفاظ

«ذَا أَذْهَانٍ»: القوى الباطنيّة المدركة.

«يُجِيلُهَا»: اجالتها تحريكها في المدركات.

«جَوَارِحَ»: عامّة الأعضاء إذ كلّها خدماً للنفس.

«الْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ»: العظام والأسنان.

«الْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ»: كالكيفيات الأربع التي ذكرها (عليه السلام) وهي الحرارة والبرودة والبلّة وهي الرطوبة والجمود وهي اليبوسة.

«الْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ» هي: الدم، والبلغم، والصفراء، والسوداء.

أمّا «الْمَسَاءَةِ وَ السُّرُورِ»: فمثل الكيفيات النفسانيّة.

هكذا قال المحقق البحراني.

بقي هنا بعض الألفاظ:

منها «الْأَذْوَاقِ»: وهي المذوقات المدركة بالذوق وهي قوّةٌ منبثةٌ في العصب المفروش على سطح اللسان التي يدرك بها الطعوم من الحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة.

ومنها «الْمَشَامِّ»: وهي المشمومات المدركة بالشمّ وهي قوّة مودعةً في زائدتي مقدّم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي بها تدرك الروائح من الطيبة والنتنة وغيرها.

ومنها «الْأَلْوَانِ»: وهي المبصرات المدركة بحس البصر وهي قوّةٌ مرتبة في العصبتين اللتين تتلاقيان فتفترقان إلى العينين التي بها يدرك الألوان من السواد

والبياض والحمرة والصفرة والأشكال والمقادير ونحوها.

ومنها «الْأَجْنَاسِ» وهي الأمور الكليّة المنتزعة من تصفح الجزئيات وإدراكها وقد ذكر هذا المحقّق الخوئي.

المقام الثالث: ألف ألف آدم

قال المحقق البحراني: واعلم أنَّ جمهور المفسرين على أنَّ الإنسان في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ هو أبونا آدم (عليه السلام)، ونقل عن محمّد بن علي الباقر (عليه السلام) أنّه قد قال: قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم وأكثر.

قال بعض العلماء: وهذا لا ينافي حدوث العالم فإنَّه كيف كان لابدّ من الانتهاء إلى إنسان هو أوّل الناس، فأمّا أنَّ ذلك الإنسان هو أبونا آدم فلا طريق إلى إثباته إلّا من جهة السمع[1].

أقول: لم ترد الرواية بهذا اللسان، وإنّما الوارد هو:... الف الف آدم.

بل وردت الرواية للأمير (عليه السلام) والسجاد (عليه السلام) وأكثر ما نسبت إلى الإمام الباقر (عليه السلام).

هذا أوّلاً والأمر فيه سهلٌ.

ثانياً: صحيح ما أفدتموه من أنّه لا طريق إليه إلّا من جهة السمع ولكن أيضاً إثبات أنَّ ألف ألف آدم موقوفٌ على السمع أيضاً، وإلّا كان احتمالاً لا ينهض للإثبات لولا السماع.

(١) شرح نهج البلاغة للبحراني ١: ١٧٣.

قال (عليه السلام): «وَ اسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَ عَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَ الْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ لَهُمْ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ، وَ قَبِيلَهُ اعْتَرَتْهُمُ الْحَمِيَّةُ، وَ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ، وَ تَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَ اسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسَّخْطَةِ، وَ اسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ، وَ إِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوم».

المقام الأوّل: من هو ابليس؟

إنَّ ابليس (لعنه الله) موجود مخلوق ذو شعور وإرادة يدعو إلى الشر ويسوق إلى المعصية كان في مرتبة مشتركة مع الملائكة غير متميز منهم إلّا بعد خلق الإنسان وحينئذٍ تميّز منهم ووقع في جانب الشرِّ والفساد، وإليه يستند نوعاً من الاستناد انحراف الإنسان عن الصراط المستقيم وميله إلى جانب الشقاء والضلال، ووقوعه في المعصية الباطل، كما أنَّ الملك موجود مخلوقٌ ذو إدراكٍ وإرادة إليه يستند نوعاً من الاستناد اهتداء الإنسان إلى غاية السعادة ومنزل الكمال والقرب، وأنَّ لإبليس أعواناً من الجنِّ والإنس وذرية مختلفي الأنواع يجرون بأمره إياهم أن يتصرفوا في جميع ما يرتبط به الإنسان من الدنيا وما فيها بإظهار الباطل في صورة الحق، وتزيين القبيح في صورة الحسن الجميل[1].

(١) تفسير الميزان ٨: ٤٢.

المقام الثاني: في حقيقة الاستثناء

قال القرافي: قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الظاهر أنّه استثناء منقطع، فإنّ ابليس ليس من الملائكة، لقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، والجنّ خلقوا من النار، والملائكة من النور، ولأنّ الملائكة معصومون وابليس غير معصوم.

وقيل الاستثناء متصل، والجن يصدق على الملائكة أيضاً، لأنّه من الاجتنان وهو الستر، ومنه: الجنين والجنون والمجنّ والجانّ والجُنّة والجنّات، والملائكة مستترون عن الأبصار فصدق عليهم أنّهم جن فيكون الاستثناء متصلاً، ولأنّ المراد سجد المأمورون إلّا ابليس، وهو من جملة المأمورين، فيكون الاستثناء متصلاً.

والجواب عن الأوّل أنّه لا يلزم من الاشتراك في مورد الاشتقاق صدق ذلك الاسم بعينه، بدليل أنّ الجنّ لا يصدق على المجنّ ولا عن الجنين ولا الجُنّة ونظائره، بل يكون الاشتقاق واحداً والأسماء مختلفة، ولا يصدق اسم واحدٌ منها على الآخر.

وعن الثاني أنّ المذكور في اللفظ إنّما هو الملائكة، ومن شرط الاتصال أن يكون الاسم الذي قبل (لا) يتناول ما بعدها، و(المأمورون) ليس مذكوراً بل هو من المعنى، ولو فتح هذا الباب لم يبق منقطع، فإذا قلنا: قام القوم إلّا حماراً أمكن أن يقال: قام الحيوانات إلّا الحمار، وتقول: هو المراد، فيصير متصلاً، وكذلك جميع صور الانقطاع نتخيل فيها وصفاً عاماً، فلا يبقى منقطع البتة[1].

---

(١) الاستغناء في احكام الاستثناء ٤٥٧.

المقام الثالث: «وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ».

قلنا فيما سبق أنَّ في ذلك إشارة إلى سوء الحمإ المسنون وأنّه أفضل خلقاً من آدم (عليه السلام) بعد أن ثبت أنّه مخلوق من نارٍ.

وهل يعارض هذا بمثل قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[1].

فإنّ في قوله (لعنه الله) المتقدّم إشارة إلى التفاضل بنفس النار والطين.

والحقَّ أنَّ هذا عامٌ قابل للتخصيص فلو كنا وهذا المطلق أمكن حمله عليه لكن يبدو أنه قيّد بالحمإ المسنون.

ولو وجد ألف عامٍ أو مطلقٍ وكان يوجد بلحاظهما مقيّدٌ أو مخصّصٌ لقيّد هذا العموم كما هنا.

ويكون قوله (عليه السلام) في جانب الخاصّ لا في جانب العامّ.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

قال (عليه السلام): «ثُمَّ أَسْكَنَ آدَمَ داراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ، وَ آمَنَ فِيهَا مَحلَّتَهُ، وَ حَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَ عَدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَ مُرَافقَةِ الْأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَ الْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَ اسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًا، وَ بِالاعْتِزَازِ نَدَماً، ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَ لَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَ وَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَ تَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ».

المقام الأوّل: تحذيره إبليس وعدواته

لو تتبعنا القرآن الكريم لوجدناه يتكلّم مرّتين عن ابليس من ناحية خروجه وهبوطه فقال له عندما لم يسجد لآدم: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾(١) وغيرهما من الآيات.

بل ورد في القرآن: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾(٢).

هذا أوّلاً، ثُمَّ ذكر (جلّ وعلا) هبوطه ممّا أهبط إليه أوّل مرّة فصار له هبوطان أو قل: خروجٌ وهبوطٌ.

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾(٣) وهذا الهبوط الثاني إنّما حصل بعد أن غرّر بآدم (عليه السلام) وأزله، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

(١) سورة ص، الآية: ٧٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣.

(٣) سورة طه، الآية: ١٢٣.

وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾(١).

وإذا أردنا أن نعرف ما الذي حصل لإبليس فلابدَّ من القول: أنّه أخرجه الله من مقامه الأوّل الذي كان به مع الملائكة الأبرار إلى ما هو أدون منه لكن لم ينزله إلى الأرض فإنَّ الانزال إلى الأرض كان بعد أن أزل إبليس آدم (عليه السلام) وهذا واضحٌ.

قد يقال أنَّ آدم جرى عليه ذلك الإخراج فبعد أن خلقه الله من صلصال من حمإٍ مسنون وكان مع الملائكة وإبليس ولم يسجد الثاني له فأخرجه الله لا لعقوبةٍ بل لأنَّ الله صوّره وأخرجه بالتصوير عن عالم الملائكة فيكون له نزولان كما للشيطان خروجان.

ويرتفع عندئذٍ الإشكال القائل بأنّ إبليس بعدما أخرج من الجنّة وخرج إلى مكان آخر غير الأرض فكيف اتّصل بآدم وجعله يعصي.

ومن هنا قيل بالحيّة أو بغير الحيّة من التفسيرات التي أرادت أن تقرّب إبليس من آدم (عليه السلام).

فعندئذٍ يرتفع الإشكال وجوابه إذ آدم نزل غير مطرودٍ أوّلاً بخلاف إبليس الذي طرده الله من مجاورة ملائكة الله الأبرار.

لكن نحن لا نرتضي هذين التفسيرين، أمّا الأوّل فلوضوح معارضته للأخبار الكثيرة التي لا يبعد معها القول بالتواتر أنَّ الله غفر لآم عندما توسّل بالأنوار (عليهم السلام) وهذا يعطينا فكرة عدم خروجه حتّى بعد أن عصى قبل هبوطه للأرض.

أمّا الثاني فلأنّه أُخرج منها مدحوراً فحكم عليه ربّ العزة والجلال بالطرد

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

المنافي للدخول مرّةً أخرى ولو بواسطة الحيّة التي لم يعلم وجودها بعد.

فالمتعيّن القول بأنّه مارس معه الوسوسة وهي تعني الصوت الخفي الذي يعني خفاء مصدر ذلك الصوت أو قل: إنّ الله أودع قدرةً في ابليس حيث يصل مراده ويتخيل السامع أنه صوت فيتبعه أو يحصل في النفس إرادة غير مكتملة أي: شوق لفعل المنكرات أعاذنا الله جميعاً منها.

ولم يشاهده بعد أن لم يسجد له إلّا على الأرض، ولا مانع منه.

نعم، هو بحاجة إلى دليلٍ.

ومن الممكن أن يكون قوله (عليه السلام): ثُمَّ أسكن داراً أرغد فيها عيشه، وآمن فيها محلّته، وحذره إبليس وعداوته، فاغتره عدوه نفاسةً عليه بدار المقام، ومرافقة الأبرار.

والتحذير مؤذن بوقوع الوسوسة أو إمكانها.

وقوله (عليه السلام): «**فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَ مُرَافَقَةِ الْـأَبْرَارِ**»، تكون إشارة صريحة بأنّه لم يخرج وبأنّ إبليس كان هو الخارج وحده.

المقام الثاني: هبوط النبيّ آدم (عليه السلام)

قال المعتزلي: الفاء في قوله (عليه السلام): «**فَأَهْبَطَهُ**»، تقتضي أن تكون التوبة على آدم قبل هبوطه من الجنّة.

والجواب، أنّ ذلك أحد قولي المفسرين، ويعضده قوله تعالى: ﴿**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا**﴾، فجعل الهبوط بعد قبول التوبة.

ومنها أن يقال: إذا كان تعالى قد طَرَد إبليس من الجنة لما أبَى السجود، فكيف توصّل إلى آدم وهو في الجنة حتى استنزله عنها بتحسين أكل الشجرة له!

الجواب، أنّه يجوز أن يكون إنّما مُنِع من دخول الجنة على وجه التقريب والإكرام، كدخول الملائكة، ولم يمنع من دخولها غير ذلك الوجه، وقيل: إنّه دخل في جوف الحية، كما ورد في التفسير[1].

وقد ظهر لك صحّة الأوّل فإنّه الموافق للقرآن ولا يأتي عليه إشكال الاستنزال لمّا سمعته من حصول الوسوسة لآدم التي تحصل من دون الاجتماع، ولا حاجة إلى الحية التي نسبها إلى التفسير فإنَّها لا تخفى على القدير، بل لا حاجة لمنع دخوله على وجه التقريب والاكرام لأنَّ المولى حكم عليه بالمنع من سائر الدخول كما هو ظاهر اطلاق الأمر بالخروج.

المقام الثالث: بيع اليقين بالشك

قال الراوندي: لا خلاف في الأنبياء أنّه لا يجوز عليهم المعاصي عندنا لا كبيراً ولا صغيراً لا قبل النبوة ولا بعدها، بل نقول: في الآية مثل ذلك لأنَّ استحقاق الذم والعقاب منفي عنهم فوجب أن ينفي عنهم سائر الذنوب، فإنَّ أنفسنا لا تسكن إلى قبول قول من تجوز عليه كبائر المعاصي كسكوننا إلى من لا يجوز عليه الاقدام عليها وتجويز الكبائر (عليهم يقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول وهذا معنى قولنا إنَّ وقوع الكبائر) ينفر عن الامتثال، والمرجع فيما ينفر وما لا ينفر إلى العادات.

فمن رجع إليها علم ما ذكرناه، وكل من فيه مجون وسخف فإنَّ ذلك ينفر من

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٨٣.

الاقتداء به فكيف ارتكاب الذنوب، والطريقة في نفي الصغائر مثل ذلك فإنَّها منفرةٌ أيضاً وليس ترك النوافل كذلك فالانحطاط عن رتبة ثانية بخلاف أن لا يكون قط رتبة، وإذا دل الدليل العقلي على أنَّ الأنبياء منزهون عن فعل القبيح وكلّ كلام ظاهره أنَّهم أذنبوا يجب أن يأول على وجه يوافق أدله المعقول، أمّا أخذ آدم شكاً وتركه يقيناً فإنّه يجوز أن يكون ذلك في مباح أو مندوب، فلا يجب حمله على ما لا يليق بهم.

أمّا التوبة فهو الرجوع وضعاً، وقد دلَّ الدليل على أنَّ التوبة لا تسقط العقاب والذي توجبه هو استحقاق الثواب، ومعنى قوله: ثُمَّ بسط الله في توبته: أنّه تعالى وفّقه في هذه الطاعة أو قبلها منه وضمن ثوابها والتوبة يحسن أن تقع ممن لا يعهد من نفسه قبيحاً على سبيل الانقطاع إلى الله والرجوع ويكون وجه حسنها استحقاق الثواب، أو كونها لطفاً له ولغيره[(١)].

إلّا أنَّ المعتزلي لم يرض عن ذلك وقال: هذا الكلام من أمير المؤمنين (عليه السلام) تصريح بوقوع المعصية من آدم (عليه السلام)؛ وهو قوله: «**فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَ الْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ**»، فما قولكم في ذلك؟

الجواب، أمّا أصحابنا فإنَّهم لا يمتنعون من إطلاق العصيان عليه، ويقولون: إنّها كانت صغيرة، وعندهم أنّ الصغائر جائزة على الأنبياء (عليهم السلام)، وأمّا الإماميَّة فيقولون: إنّ النهي كان نهي تنزيه لا نهي تحريم، لأنَّهم لا يجيزون على الأنبياء الغلط والخطأ، لا كبيراً ولا صغيراً، وظواهر هذه الألفاظ تشهد بخلاف قولهم[(٢)].

---

(١) منهاج البراعة للراوندي: ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ١: ٨٣.

أقول: بالحقيقة لا أريد الخوض في عصمة الأنبياء (عليهم السلام) فإنّ البحث فيه يطول وقد شارفنا على النهاية.

نعم، أقول للمعتزلي: أنك ذكرت قبل هذا البحث ما هذا نصّه: (ومنها أن يقال: كيف اشتبه على آدم الحال في الشجرة المنهيّ عنها فخالف النهي)!

الجواب، أنَّه قيل له: لا تقربا هذه الشجرة؛ وأريد بذلك نوع الشجرة، فحمل آدم النهي على الشّخص، وأكل من شجرة أخرى من نوعها[1].

وها أنت تقول: فحمل آدم النهي على الشخص وأكل من شجرة أخرى.

وهل في ذلك معصية للخطاب إذا لم يكن يعلم أنَّه منهيٌّ عنها؟

نعم، إنّما أوردنا هذا الإيراد على كلامك ليعلم ضعفه ولا نعني أنّه الحقّ والبناء.

هذا، وأمّا تفسير قوله (عليه السلام): «فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ» فقد قال حبيب الله الخوئي: قيل: إنَّ بيع اليقين بالشكّ مثلٌ قديمٌ للعرب لمن عمل عملاً لا يفيده وترك ما ينبغي له أنْ يفعله، تمثّل به أمير المؤمنين (عليه السلام) هاهنا ولم يرد أنَّ آدم شكّ في أمر الله.

أقول: ويمكن اجراء الكلام على ظاهره بأن يراد باليقين اليقين بعداوة إبليس وبالشكّ الشكّ فيها، والمراد ببيعه به تبديله به وبذلك لأنَّ إبليس لما أبى واستكبر عن السجود وأظهر الفضيلة والانيّة وجعل مطروداً تيقّن آدم بعداوته له، وقد أعلمه الله سبحانه به حينئذٍ أيضاً كما قال: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٨٣.

ولمّا وسوس إليهما الشيطان: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾، ولـك يكن آدم وحواء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً، وثقّا بقوله وشكّا في عداوته لمكان ذلك...[1]

وقد رأيت أنّه مثل في المعارج أيضاً[2].

وقال البحراني: وقيل: ومعنى ذلك أنَّ آدم كان في الجنة على حالٍ يعلمها يقيناً وما كان يعلم عيشه في الدنيا، فبدّل ذلك اليقين بما شكّكه فيه إبليس بقسمه.

وقوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا﴾.

وقيل: بل كان يتيقّن عداوته فشكّكه في ذلك بما حكاه من النصح عن نفسه.

وقيل: بل كان يتيقّن عهد الله إليه بملازمة طاعته وأمره، فلمّا وسوس له الشيطان نسي ذلك العهد، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾ الآية.

أمّا ما قاله الخوئي أوّلاً وقد نسبه إلى القيل فقد راجعنا الكتب الموضوعة للأمثال فلم نجده فيها.

أمّا قوله أقول فأقول فيه: الكلام فيما صنعه آدم (عليه السلام) فبعد قول الله تعالى له: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ﴾، فكيف يثق بإبليس بعد أن كان متيقّناً بعداوته، وهل حلفه ينازع قول الله فيه؟

وهل تعدّ القسم له مبرّراً وكافياً؟

وهل الوثاقة يستطيع أن يعبّر عنها المولى بالشكّ؟ فانتبه؟

أمّا ما قاله البحراني فلنا عليه:

---

(١) منهاج البراعة للخوئي ٢: ٩٠.

(٢) معارج نهج البلاغة للبيهقي ١: ٢٧.

أوّلاً: لم يكن آدم عارفاً أصلاً بحال المهبط إليها.

ثانياً: يأتي عليه ما أتى على الخوئي من قبله.

والحقّ أنّ المستفاد من الآيات ومن كلام الإمام (عليه السلام) أنّه عصى ربّه بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[1].

نعم، قد يقال أنّه (عليه السلام) كان قد نسي أمر الله بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[2].

ولا يقال مثل ما قيل: وليس يمتنع أن يسمّى تارك النفل عاصياً كما يسمّى بذلك تارك الواجب[3] فإنه يجاب: إنّ العقوبة التي تحملها تشعر بالمخالفة بل تدل عليها وهو كافٍ لنا، فما اهباطه إلى الأرض إلّا ضريبة جعلها الله لمخالفته أمره.

أمّا كونه معصوماً عندما كان في الجنّة فلم يدلّ على ذلك دليلٌ حيث إنّ النبي المعصوم لا ينسى وهو قد نسى.

المقام الرابع: في الروايات

عن رَسُولِ اَللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، قَالَ: «يَا عِبَادَ اَللَّهِ، إِنَّ آدَمَ لَمَّا رَأَى اَلنُّورَ سَاطِعاً مِنْ صُلْبِهِ، إِذْ كَانَ تَعَالَى قَدْ نَقَلَ أَشْبَاحَنَا مِنْ ذِرْوَةِ اَلْعَرْشِ إِلَى ظَهْرِهِ، رَأَى اَلنُّورَ وَ لَمْ يَتَبَيَّنِ اَلْأَشْبَاحَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ اَلْأَنْوَارُ؟ قَالَ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: أَنْوَارُ أَشْبَاحٍ نَقَلْتُهُمْ مِنْ أَشْرَفِ بِقَاعِ عَرْشِي إِلَى ظَهْرِكَ، وَ لِذَلِكَ أَمَرْتُ اَلْمَلاَئِكَةَ بِالسُّجُودِ لَكَ، إِذْ كُنْتَ وِعَاءً لِتِلْكَ اَلْأَشْبَاحِ. فَقَالَ آدَمُ: يَا رَبِّ، لَوْ بَيَّنْتَهَا لِي؟ فَقَالَ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: اُنْظُرْ - يَا

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢١.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٣) تنزيه الأنبياء للسيد مرتضى ٢٤.

آدَمُ – إِلَى ذِرْوَةِ ٱلْعَرْشِ. فَنَظَرَ آدَمُ (عليه السلام) وَ وَقَعَ نُورُ أَشْبَاحِنَا مِنْ ظَهْرِ آدَمَ (عليه السلام) عَلَى ذِرْوَةِ ٱلْعَرْشِ، فَانْطَبَعَ فِيهِ صُوَرُ أَنْوَارِ أَشْبَاحِنَا ٱلَّتِي فِي ظَهْرِهِ – كَمَا يَنْطَبِعُ وَجْهُ ٱلْإِنْسَانِ فِي ٱلْمِرْآةِ ٱلصَّافِيَةِ – فَرَأَى أَشْبَاحَنَا. فَقَالَ: مَا هَذِهِ ٱلْأَشْبَاحُ، يَا رَبِّ؟ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، هَـذِهِ أَشْبَاحُ أَفْضَلِ خَلَائِقِي وَ بَرِيَّاتِي، هَـذَا مُحَمَّدٌ، وَ أَنَا ٱلْمَحْمُودُ ٱلْحَمِيدُ فِي أَفْعَالِي، شَقَقْتُ لَهُ اِسْماً مِنِ اِسْمِي، وَ هَذَا عَلِيٌّ، وَ أَنَا ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ، شَقَقْتُ لَهُ اِسْماً مِنِ اِسْمِي، وَ هَذِهِ فَاطِمَةُ، وَ أَنَا فَاطِرُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَ ٱلْأَرْضِ، فَاطِمُ أَعْدَائِي مِنْ رَحْمَتِي يَوْمَ فَصْلِ ٱلْقَضَاءِ، وَ فَاطِمُ أَوْلِيَائِي مِمَّا يَعْتَرِيهِمْ وَ يَشِينُهُمْ، فَشَقَقْتُ لَهَا اِسْماً مِنِ اِسْمِي، وَ هَذَانِ ٱلْحَسَنُ وَ ٱلْحُسَيْنُ، وَ أَنَا ٱلْمُحْسِنُ ٱلْمُجْمِلُ، شَقَقْتُ اِسْمَهُمَا مِنْ اِسْمِي. هَؤُلَاءِ خِيَارُ خَلِيقَتِي، وَ كِرَامُ بَرِيَّتِي، بِهِمْ آخُذُ وَ بِهِمْ أُعْطِي، وَ بِهِمْ أُعَاقِبُ وَ بِهِمْ أُثِيبُ، فَتَوَسَّلْ بِهِمْ إِلَيَّ – يَا آدَمُ – وَ إِذَا دَهَتْكَ دَاهِيَةٌ فَاجْعَلْهُمْ إِلَيَّ شُفَعَاءَكَ، فَإِنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي قَسَماً حَقّاً أَنْ لَا أُخَيِّبَ لَهُمْ آمِلاً، وَ لَا أَرُدَّ لَهُمْ سَائِلاً. فَلِذَلِكَ حِينَ زَلَّتْ مِنْهُ ٱلْخَطِيئَةُ دَعَا ٱللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِمْ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَ غَفَرَ لَهُ»[1].

عن ٱلْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنِ ٱلصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (عليه السلام) قَالَ: «سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ ٱللَّهِ (عَزَّ وَ جَلَّ): وَ إِذِ ٱبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ مَا هَذِهِ ٱلْكَلِمَاتُ قَالَ هِيَ ٱلْكَلِمَاتُ ٱلَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ (عليه السلام) مِنْ رَبِّهِ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هُوَ أَنَّهُ قَالَ يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيٍّ وَ فَاطِمَةَ وَ ٱلْحَسَنِ وَ ٱلْحُسَيْنِ إِلَّا تُبْتَ عَلَيَّ فَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ فَقُلْتُ لَهُ يَا ٱبْنَ رَسُولِ ٱللَّهِ فَمَا يَعْنِي (عَزَّ وَ جَلَّ) بِقَوْلِهِ: فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ يَعْنِي فَأَتَمَّهُنَّ إِلَى ٱلْقَائِمِ (عليه السلام) اِثْنَيْ عَشَرَ إِمَاماً تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ ٱلْحُسَيْنِ (عليه السلام) قَالَ ٱلْمُفَضَّلُ فَقُلْتُ لَهُ يَا ٱبْنَ رَسُولِ ٱللَّهِ فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ ٱللَّهِ (عَزَّ وَ جَلَّ): وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ قَالَ يَعْنِي

---

(١) البرهان ١: ١٩٦.

بِذَلِكَ اَلْإِمَامَةَ جَعَلَهَا اَللَّهُ فِي عَقِبِ اَلْحُسَيْنِ (عليه السلام) إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ قَالَ فَقُلْتُ لَهُ يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ فَكَيْفَ صَارَتِ اَلْإِمَامَةُ فِي وُلْدِ اَلْحُسَيْنِ دُونَ وُلْدِ اَلْحَسَنِ وَ هُمَا جَمِيعاً وَلَدَا رَسُولِ اَللَّهِ وَ سِبْطَاهُ وَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ فَقَالَ (عليه السلام) إِنَّ مُوسَى وَ هَارُونَ كَانَا نَبِيَّيْنِ مُرْسَلَيْنِ أَخَوَيْنِ فَجَعَلَ اَللَّهُ اَلنُّبُوَّةَ فِي صُلْبِ هَارُونَ دُونَ صُلْبِ مُوسَى وَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ لِمَ فَعَلَ اَللَّهُ ذَلِكَ فَإِنَّ اَلْإِمَامَةَ خِلاَفَةُ اَللَّهِ (عزّ و جلّ) لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ لِمَ جَعَلَهَا اَللَّهُ فِي صُلْبِ اَلْحُسَيْنِ دُونَ صُلْبِ اَلْحَسَنِ لِأَنَّ اَللَّهَ هُوَ اَلْحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ»[1].

قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ (صلى الله عليه وآله): «لَمَّا خَلَقَ اَللَّهُ آدَمَ (عليه السلام) فَسَأَلَهُ أَنْ يُرِيَهُ ذُرِّيَّتَهُ مِنَ اَلْأَنْبِيَاءِ وَ اَلْأَوْصِيَاءِ وَ اَلْمُقَرَّبِينَ إِلَى اَللَّهِ (عزّ و جلّ)، فَأَنْزَلَ اَللَّهُ عَلَيْهِ صَحِيفَةً فَقَرَأَهَا كَمَا عَلَّمَهَا اَللَّهُ، إِلَى أَنِ اِنْتَهَى إِلَى مُحَمَّدٍ اَلنَّبِيِّ اَلْعَرَبِيِّ (صلى الله عليه وآله) فَوَجَدَ عِنْدَ اِسْمِهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام). فَقَالَ آدَمُ: هَلْ نَبِيٌّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله). فَهَتَفَ بِهِ يَسْمَعُ صَوْتَهُ وَ لاَ يَرَى شَخْصَهُ: هَذَا وَارِثُ عِلْمِهِ، وَ زَوْجُ اِبْنَتِهِ وَ وَصِيُّهُ، وَ أَبُو ذُرِّيَّتِهِ (عليه السلام) فَلَمَّا وَقَعَ آدَمُ فِي اَلْخَطِيئَةِ، جَعَلَ تَوَسَّلَ بِهِمَا إِلَى اَللَّهِ تَعَالَى، فَتَابَ اَللَّهُ عَلَيْهِ بِهِمَا»[2].

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ١٢: ٦٦.

(٢) الروضة في فضائل امير المؤمنين (عليه السلام) ١ : ١٦٥.

قال (عليه السلام): «وَ اصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَ اتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَ اجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَ اقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَ وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَ يُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَ يَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَ يُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَ يُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَ مِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَ مَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَ آجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَ أَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَ أَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَ لَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَ لَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ».

المقام الأوّل: في منازعة المعتزلي للراوندي

قال الراوندي: واحتالتهم[١]: عدلتهم، وجالت الريح التراب: أثارته، ثُمَّ قال: وواتر: أي تابع[٢]..

وعلّق المعتزلي في ضمن كلامه: اجتالتهم الشياطين: أدراتهم؛ تقول: اجتال فلان فلاناً، واجتاله عن كذا وعلى كذا، أي أداره عليه، كأنّه يصرِّفه تارةً هكذا، وتارة هكذا، يُحسِّن له فعلَه، ويُغْريه به.

(١) يبدو من النسخ حصول السقط.

(٢) منهاج البراعة للراوندي ١: ٧٦ ـ ٧٧.

وقال الراوندي: اجتالتْهم: عَدَلَت بهم؛ وليس بشيء.

وقوله (عليه السلام): «**وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ**»، أي بعثهم وبيّن كل نبيَّينْ فترة، وهذا ممّا تغلط فيه العامة فتظنه كما ظنَّ الراوندي أنّ المراد به المرادفة والمتابعة) [(١)].

وأخطأ المعتزلي في الموردين؛ إذ خلط بين أجال واجتال فصحيح أنَّ أجال بمعنى أدار لكن اجتال بمعنى التحويل الذي عبّر عنه الراوندي بالعدول ويمكنك أن ترجع فيه إلى ابن منظور فتشاهده بأمّ عينك، لتجد صدق ما نقول.

أمّا عن قول الراوندي فقد تابع فيه ابن منظورٍ من غير أن يفصل قال ابن منظور: التواتر: التتابع، وقيل: هو تتابع الأشياء وبينها فجواتٍ وفترات [(٢)].

والعجب من الشيخ محمد عبده فقد قال: اجتالتهم بالجيم صرفتهم عن قصدهم الذي وجهوا إليه بالهداية المغروزة في فطرهم وأصله من الدور إن كان الذي يصرفك عن قصدك تارةً هكذا وأخرى هكذا.

ثُمَّ قال: واتر إليهم أنبياءه أرسلهم وبين كل نبيٍّ ومن بعده فترةً لا بمعنى أرسلهم تباعاً بعضهم يعقب بعضاً [(٣)].

وأنت ترى كيف خلط بين معنى اجتال واجال.

---

(١) شرح المعتزلي ١: ٩١.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٥: ٢٠٦.

(٣) نهج البلاغة لمحمد عبده ١: ٢٦.

المقام الثاني: الحجّة اللازمة

قال المعتزلي: إلى ماذا يشير بقوله: «أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ»؟ هل هو إشارة إلى ما يقوله الإماميّة، من أنّه لابدّ في كلّ زمان من وجود إمام معصوم؟

الجواب، أنّهم يفسرون هذه اللفظة بذلك ويمكن أن يكون المراد بها حجّة العقل[١].

وانظره بعين الإنصاف كيف يحرف الكلم عن مواضعه فيفترض احتمالاً آخر لتفسير الحجّة فتبقى دائرة بينهما فلا يستطاع عندئذٍ التعويل عليها.

والحال أنَّ معنى ما نقله عنّا واضحٌ لا غبرة عليه ولا شكّ يعتريه إذ الإمام ساق الكلام حول الحجج غير الباطنة بدليل قوله: «رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَ لَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ».

إذن، بعد أنْ عرفت سوء ما احتمله يصير من اللازم عليه حمل كلمة الحجّة على نفس معنى النبي أو الكتاب فيكون تكراراً يفيد التوكيد – إنْ أفاد – وأنت اطلعت على وهنه سابقاً.

ثُمَّ عطف الأربعة يقتضي التغاير أو أصله بين المتغايرين، فهذا القول يلزم منه التمسك بما خالف الأصل.

(١) شرح المعتزلي ١: ٩٢.

المقام الثالث: «أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَه»

قال المعتزلي: وكلّ واحد من الرسل والأئمة كان يقوم بالأمر، ولا يردعه عن ذلك قلة عدد أوليائه، ولا كثرة عدد أعدائه: فيقال له: فهذا خلاف قولك في الأئمة المعصومين، فإنّك تجيز عليهم التقيَّة وترك القيام بالأمر إذا كثرت أعداؤهم.

وقال في تفسير قوله (عليه السلام): «**مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ**»: كان من ألطاف الأنبياء المتقدمين وأوصيائهم، أن يعرفوا الأنبياء المتأخرين وأوصيائهم، فعرّفهم الله تعالى ذلك، وكان من اللطف بالمتأخرين وأوصيائهم أن يعرفوا أحوال المتقدمين من الأنبياء والأوصياء، فعرّفهم الله تعالى ذلك أيضاً، فتمَّ اللطف لجميعهم.

ولقائل أن يقول: لو كان (عليه السلام) قال: (أو غابر عرف من قبله) لكان هذا التفسير مطابقاً، ولكنه (عليه السلام) لم يقل ذلك، وإنّما قال: «**عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ**» وليس هذا التفسير مطابقاً لقوله: (عرفه)، والصحيح أنّ المراد به: من نبيّ سابق عرّف مَنْ يأتي بعده من الأنبياء، أي عرّفه الله تعالى ذلك، أو نبيّ غابرٍ نصّ عليه من قبله، وبشرَّ به كبشارة الأنبياء بمحمد (صلى الله عليه وآله)[1].

وكلامه الأوّل مضحك للثكلى إذ التقيّة قد تمنعهم من التصدي والرئاسة لكن لا يمكن أن تمنعهم من كونهم الحجّج الحقّة الواجبة الإتباع ولو في نفس الأمر والواقع.

أمّا كلامه الأخير فمدفوعٌ بما يلي:

---

(١) شرح المعتزلي ١: ٩٢ ـ ٩٣.

افترض (عليه السلام) ثلاثة أطراف وهما النبيّ الغابر والوصي ومن قبله من الأنبياء والأوصياء والله سبحانه وتعالى.

فعندئذٍ لا يمكن عدم تضعيف عين الفعل لأنّه سنخسر أحد الأطراف.

ثُمَّ لا أجد فرقاً بين قوله: (أو غابرٍ عرف من قبله) وبين قول الإمام (عليه السلام):«**أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ**» غير أنّ الأول سيعرف فيه الأوّل الثاني، والثاني سيعرفه أيضاً لكن بنحوٍ يكون الضمير راجعاً إلى الغابر متعلّقاً بالثالث إذ الفرض لدينا أطراف ثلاثة.

وبعبارةٍ أوضح: إنّ جملة المعتزلي فيها فاعلٌ ومفعولٌ فقط.

وجملة أمير المؤمنين (عليه السلام) فيها فاعل وهو الله سبحانه ومفعولان هما النبيّ الغابر والوصي كذلك ومن قبله.

المقام الرابع: يونس أو إدريس (عليهما السلام)

قال الراوندي: ثُمَّ قام وصيّ وصيه محافظاً لشريعة آدم، وكلما مضى وصيّ قام وصيّ آخر مقامه من قبل الله إلى أن غير الخلق دينهم واشتغلوا بعبادة الأصنام، فبعث الله إليهم يونس، ثُمَّ نوحاً، ثُمَّ هوداً، ثم إبراهيم (عليهم السلام)[1].

لكن قال المعتزلي: إنّ الله بعث يونس قبل نوحٍ، وهذا خلاف إجماع المفسرين وأصحاب السّير[2].

أقول: لم يشتبه المعتزلي حينما قال: يونس إذ عليه إحدى النسخ فإنّه ورد فيها

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٨٧ بتحقيق العطاردي.

(٢) شرح المعتزلي ١: ٩٢.

ما قاله المعتزلي[1].

ويبدو حصول الاشتباه من النسّاخ في هذه الطبعة.

لكن نحن نجزم بحصول الاشتباه من نساخ المنهاج قديماً إذ كيف وقعت هذه النسخة بيد المعتزلي؟

وإذا راجعت تسلسل الأنبياء رأيت إدريس متقدّماً على نوحٍ ويونس متأخراً كثيراً عنه، ممّا يدلّ على حصول التصحيف مبكراً في الكتاب إذ نستبعد من الراوندي خفاء ذلك عنه، ولعلّهم في الكتب الأخيرة لمّا فطنوا إلى ذلك قاموا بتعديله أو وصلت أكثر من نسخة في الزمن الغابر بعضها على إدريس والآخر على يونس (عليهما السلام).

والأمر سهلٌ.

---

(١) منهاج البراعة للراوندي ١: ٨٧ انتشارات مركز فرهكلي خراسان بتحقيق العطاردي.

قال (عليه السلام): «عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَ مَضَتِ الدُّهُورُ، وَ سَلَفَتِ الْآبَاءُ، وَ خَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ، وَ إِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلَادُهُ، وَ أَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَ أَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَ طَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَ أَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) لِقَاءَهُ، وَ رَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَ أَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَ رَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً، وَ خَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَ لَا عَلَمٍ قَائِمٍ، كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَ حَرَامَهُ، وَ فَرَائِضَهُ وَ فَضَائِلَهُ، وَ نَاسِخَهُ وَ مَنْسُوخَهُ، وَ رُخَصَهُ وَ عَزَائِمَهُ، وَ خَاصَّهُ وَ عَامَّهُ، وَ عِبَرَهُ وَ أَمْثَالَهُ، وَ مُرْسَلَهُ وَ مَحْدُودَهُ، وَ مُحْكَمَهُ وَ مُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً جُمَلَهُ وَ مُبَيِّناً غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ وَ مُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَ بَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ وَ مَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَ وَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَ مُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَ بَيْنَ وَاجِبٍ لِوَقْتِهِ، وَ زَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَ مُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَ بَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، وَمُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ».

المقام الأوّل: العلم القائم

عندما تكلّم مولانا أبو الحسن (عليه السلام) عن الأنبياء والأوصياء قصد كلَّ الأنبياء وكلّ الأوصياء أيضاً، ونسب إليهم ما يليق بمقامهم وأشار (عليه السلام) إلى تمام نهجهم المتمثّل ببعثة الأنبياء ثُمَّ كتبهم ثُمَّ الأوصياء ثُمَّ محجّتهم وطريقهم المؤدّي إلى الله سبحانه.

وهنا قد أعاد ذكر النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) معترفاً بفضله على سائر العالمين، واكراماً لصاحب الخلق العظيم الذي شهد الله به وأخذ منا الصدق على كتابه المجيد، وتواتر فضله ومعروفه وشجاعته ومعرفته وصدقه وأمانته وتضرعه ونصرة المسكين والوثوب على الكافرين إلى أنْ امتلأ بعطر ذكره الخافقان وشهد بذلك الأنس والجان.

فذكر في الفصل المنصرم أنَّ الله لم يخل خلقه من نبيٍّ مرسلٍ أو كتابٍ منزلٍ أو حجّةٍ لازمةٍ أو محجّةٍ قائمةٍ.

وأيدنا القطب فيما نقله من التواتر، ورأينا الشارح قد أشكل فيما لا يصحّ له الإشكال حيث إنَّ القطب لم يفصّل في المقام وتابع اللغويين الأعلام.

وهنا نحب أن نبيّن ما قصده الأمين (عليه السلام) من نطقه بالتواتر بأحسن تبيين:

لمّا كان الإمام يتكلّم عن خصوص الأنبياء فلابدّ من أن يشير إلى فعل الأوصياء لذلك قال بالتواتر بينهم، أي: الأنبياء فأخذ المهلة بين كلّ نبيٍّ وآخر ليقوم الأوصياء بدورهم في التبليغ والتذكير بنعم الله على العالمين، وقد أشار في ذلك إلى أربعة أمور:

١- النبيّ (صلى الله عليه وآله).

٢- الكتاب.

٣- الوصي (عليه السلام).

٤- المحجّة وهي الطريق.

وهنا ذكر ثلاثة أمور:

١- الطريق.

٢- العلم القائم.

٣- الكتاب.

ويبقى سؤالان مهمّان:

١- لمَ غيّر في الترتيب بين الفقرات؟

٢- لماذا ذكر أربعة وثلاثة؟

ولنجب عن السؤال الثاني أوّلاً:

لمّا نسب عدم الإخلاء اخلاء الله الخلق من النبيّ والكتاب والحجّة والمحجّة احتاج فيها إلى ذكر النبيّ كعنصرٍ أساسيٍّ في بحثه إذ الكتاب متفرعٌ على وجوده، وكذا الأوصياء هم فرعٌ عن الأنبياء (عليهم السلام).

وهنا حيث أشار إلى وظيفة النبيّ محمّدٍ (صلى الله عليه وآله) وما فعله في أمته على غرار ما فعله الأنبياء (عليهم السلام) في أممهم لم يحتج أن يجعله ضمنهم بل لا يمكن أن يكون ضمنهم إذ هو الفاعل هنا كما كان الله فاعلاً هناك.

أمّا الإجابة عن السؤال الأوّل فنقول:

واضحٌ أنَّ النبيّ مقدّم على أصل الكتاب فبوجوده يوجد وهو يعدّ ترجمانه ومفسره فصار النبيّ أوّلاً.

والكتاب ثانياً.

ثُمَّ تأتي النوبة إلى وصيّه في السير على الطريق الذي اختطه الموصي النبيّ له وهذا واضحٌ في حياة الأنبياء (عليهم السلام).

فصار الترتيب: النبيّ والكتاب والوصي والطريق.

أمّا بعد رحيلهم (عليهم السلام) فيكون الدور الأوّل للطريق الذي اختطه فإن وضعنا أقدامنا على طريقه (النبيّ) احتجنا لا محالة إلى الوصي الذي يمثّل السير في الطريق كلّه، وليكن الطريق هو الإسلام، وعليٌّ ممثله والكتاب الذي لا يمكن تعاطيه إلّا لمثل الأمير (عليه السلام) فهو المبيّن ما أجمله والمخصّص لعامّه والمقيّد لإطلاقه، الكاشف عن ناسخه ومنسوخه.

ولهذا لا إشكال عندنا – كما ينبغي أن يكون عند غيرنا – في أنَّ كتاب الله لا ينفع من دون العترة حيث إنّه، أي: القرآن حمالٌ ذو وجوه كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً.

ولهذا ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله): أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض.

وأخيراً نقول من هنا بان سبب استبعاد الشارح المعتزلي لهذه الكلمات!؟ وسيتضح الحال أكثر في المقام الآتي.

المقام الثاني: العلم القائم أيضاً

قال المعتزلي: ثُمَّ ذكر (عليه السلام) أنَّ محمّداً (صلى الله عليه وآله) خلّف في الأمة بعده كتاب الله تعالى طريقاً واضحاً، وعلماً قائماً، والعلم المنار يهتدى به.

ثم قسّم ما بينه (عليه السلام) في الكتاب أقساماً:

فمنها: حلاله وحرامه؛ فالحلال كالنِّكاح، والحرام كالزنا.

ومنها: فضائله وفرائضه، فالفضائل النوافل، أي هي فضلة غير واجبة كركعتي الصبح وغيرهما، والفرائض كفريضة الصبح.

وقال الراوندي: الفضائل ههنا: جمع فضيلة، وهي الدرجة الرفيعة؛ وليس بصحيح، ألا تراه كيف جعل الفرائض في قابلتها وقسيماً لها، فدلّ ذلك على أنّه أراد النوافل![1]

وفيه:

أوّلاً: مقتضى تفسيره جعل الطريق الواضح والعلم القائم صفةً للكتاب، وهذا غير ممكن إذ على هذا التفسير سوف يكون الطريق الواضح والعلم القائم معمولين لخلّف إذ هو المؤثر في الكتاب وفي صفة الكتاب.

والحال أنَّ قوله (عليه السلام): بغير طريقٍ واضحٍ وعلمٍ قائمٍ ليس معمولاً لخلّف وإنّما هما معمولان لعامل المتبوع نفسه.

ثانياً: الظاهر أنّه (عليه السلام) أراد أن يشرك جميع الأنبياء بقوله: هملاً بغير طريقٍ واضحٍ ولا علمٍ قائمٍ.

---

(١) شرح المعتزلي ١: ٩٦.

في حين أراد أن يفرد النبيّ (صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ) بكتاب الله الذي هو القرآن، وما إفراده النبيّ (صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ) إلّا لكونه مختصاً بالكتاب.

وهذا سرّ إتيانه بجملةٍ معترضةٍ.

ثالثاً: كيف فسّرت العلم بالمنار الذي يهتدي به؟

إنّه الجبل الذي لا تغيّره العواصف والذي به ثبتت الأرض وهو الوصي بعد النبيّ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ).

ومنه – أعني: تفسير العلم بالجبل – قول الخنساء:

أغرّ أبلج تأتم الهداة به كأنّه علمٌ في راسه نار[1]

فهي شبهت ممدوحها بالجبل في الشموخ وأضافت النار إشارة منها إلى أنَّ الناس تستضيء به.

رابعاً: قوله: فالفضائل النوافل ثُمَّ قوله: ألا تراه كيف جعل الفرائض في تقابلها وقسيماً لها، فدلّ ذلك على أنّه أراد النوافل[2].

وفيه: هو في مقام تبيين ما هو موجودٌ في الكتاب المجيد فأشار إلى (مبيّناً حلاله وحرامه) وهذه الإشارة لمّا علم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أنها لا تنهض بتقسيم الأحكام إلى أربعة أو خمسة على بعض الأقوال أعقبها بـ (فائضه وفضائله).

فقوله: حلاله وحرامه يدخل تحته والواجب والمستحب والمكروه وكلّه في قبال (حرامه).

لكن لمّا كانت الأقسام متباينة من ناحيّة الثواب على الأفعال قال: (فرائضه

(١) جواهر البلاغة للهاشمي ٢١٨.

(٢) شرح المعتزلي ١: ٩٦.

وفضائله) فخصّ بالفرائض الواجبات وبالفضائل ما يشمل المستحبات قطعاً وهي أعمّ من النوافل والمكروهات بناءً على أنَّ في تركها ثواباً.

وعليه لم يدخل في كلامه المباح مع البناء على أنّه أحد أقسام الحكم وكذا لم يدخل فيه المكروه بناءً على أنَّ المكروه هو المنع عن المفسدة غير الملزمة.

فيكون ما أفاده الراوندي وجيهاً، وما أفاده المعتزلي مردوداً لما ذكرت مضافاً إلى صعوبة تفسير الفضائل بالفضلات كما لا يخفى.

خلاصة المقامات

بعد أنْ خلق الله آدم (عليه السلام) وأهبطه إلى الأرض بدأت سلسلة البعث للأنبياء والأوصياء فتراهم كالنجوم كلّما أفل نجمٌ سطع آخر.

وهكذا امتدت على الناس اجنحة الهدى وسبل الرشاد ولا غرو من اتباع الشيطان وأعوانه إذ يمّنيهم ويغرّهم بفعله ولسانه.

فجعلوا الله انداداً ليضلوا عن سبيله، فأبى الله إلّا ليرفع في الأمصار أذانه ويعلو ذكره ويرتل ما في كتبه وجعل مناراً للعباد نبيّهم ثُمَّ وصيهم ثُمَّ فتح لهم طريق الهداية على قدر السعاية.

فكلّ نبيٍّ متعقّبٌ بوصيٍّ أو نبيٍّ مثله يقرعون أسماعهم ويزقّون فيهم العلم زقّاً على قدر استعدادهم وقابلياتهم.

وعلى ذلك درجت الدنيا ومضت أيامها ودهورها إلى أن بعث الله حبيبه وصفيه المصطفى محمداً (صلى الله عليه وآله) الذي أخذ الله قبله الميثاق من النبيين وأقرّوا له بالفضل على العالمين.

فاشتهرت صفاته وسماته عندهم حتّى بلغت أقطار الدنيا وصعدت إلى

السماوات العلا، فكلٌّ ينتظر مجيئه متبركاً باسمه مبشراً بقدومه.

فجاء في قومٍ تسود فيهم الجاهليّة، وتقطعهم الملل أوصالاً، وتفرقهم الأهواء أجيالاً فجمعهم محمّدٌ (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) على الكلمة السواء والمحجّة البيضاء فصاروا بنعمة الله اخواناً بعد أن كانوا على شفا حفرة من نارٍ ألهبها جهلهم وأحطبها قساوتهم فأنقذهم منها بكرامته عند الله ولمحلّه في معرفة الله.

ثُمَّ اختير له الصعود مرّةً أخرى حيث لقاء الله العلي الأعلى، بعد أن فرّغ ذمتّه ووضع على الطريق حجته وبيّن ما استطاع من أمر القرآن كتاب الله وأوصى بالعترة الهاديّة مبيّناً أنَّ القرآن دونهم يكون بضاعة الجاهلين ولسان المعاندين فأوكل إليهم أمره وحثهم على تفهيمه وبيان أسراره.

فسلام منّي عليه ما طلع ليلٌ ونهارٌ وعلى عترته الأطهار.

قال (عليه السلام): «وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ، وَ يَأْلَهُون إِلَيْهِ وَلَهَ الْحَمَامِ، وَ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَ إِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَ صَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَ وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَ تَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَ يَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَماً، وَ لِلْعَائِذِينَ حَرَماً، وَ فَرَضَ حَقَّهُ وَ أَوْجَبَ حَجَّهُ، وَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين».

المقام الأوّل: لماذا الحج دون غيره من العبادات

قال المحقق البحراني: فأمّا الحجّ فإنّك لمّا عرفت أنّ الغرض الأوّل من العبادات هو جذب الخلق إلى الحقّ بالتذكير له ودوام اخطاره بالبال لتجلي لك الأسرار على طول التذكار، وينتهي في ذلك من أخذت العناية بيده إلى مقام المخلصين.

فمن جملة أسرار الله سبحانه المنزلة على لسان رسوله تعيين موضع من البلاد أنّه أصلح المواضع لعبادة الله، وأنّه خاصّ له ولابدّ أن تبنى له مثل هذه الأوضاع على إشاراتٍ ورموزٍ الى مقاصد حقيقية يتنبّه لها من أخذ التوفيق زمام عقله إليها.

ولابدّ من تعيين أفعال تفعل في ذلك المكان وأنّها إنّما تفعل في ذات الله سبحانه.

وأنفع المواضع المعيّنة في هذا الباب ما كان مأوى الشارع ومسكنه فإنّ ذلك

مستلزم لذكره، وذكره مستلزم لذكر الله سبحانه وذكر ملائكته واليوم الآخر.

ولمّا لم يكن في المأوى الواحد أن يكون مشاهداً لكلّ أحد من الأمة فالواجب إذن أن يفرض إليه مهاجرة وسفر وإن كان فيه نوع مشقّة وكلفة من تعب الأسفار وإنفاق المال ومفارقه الأهل والوطن والبلد، ونحن نذكر فضيلته من جهة السمع ثُمَّ نشير إلى ما ينبغي أن يوظّف من الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة عند كلّ حركة وركن من أركان الحجّ ممّا يجري من تلك الأركان مجرى الأرواح للأبدان(1).

أقول: نضيف إلى ما ذكره ما هو مدلولٌ عليه في أخبارهم الشريفة وآثارهم المنيفة:

فمن جملته:

١- أنَّ آدم خلق وكان كعبةً للملائكة في السماء فوجب عليه (عليه السلام) أن يذكر كعبة الأرض لأهلها.

٢- أنَّ آدم بعد أنْ خلق فصار مورداً لبلاء إبليس وقبيله، وكذا حجّ البيت صار مورداً لإشكال من شايع إبليس وكان من جنوده.

٣- تشير أخبار دحو الأرض إلى أنَّ الله دحى الأرض من تحت البيت ثمّ قال: إنَّ أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين.

٤- تشير الروايات أيضاً إلى الربط الكائن بين الكعبة والبيت المعمور فيعد البيت نقطة الاتصال بينه والبيت المعمور.

وهاك بعضاً من الأحاديث حسب الترقيم:

---

(١) شرح نهج البلاغة للبحراني ١: ٢٢٣.

عن أبي عبد اللّه عليه السّلام بأسانيد طويلة، عن آبائه عليهم السّلام، عن عليّ عليه السّلام: «إنّ اللّه تعالى حين شاء تقدير الخليقة، و ذرء البريّة، و ابتدع المبدعات من سائر المخلوقات ، نصب الخلق في صور كالهياكل قبل دحو الأرض، فرفع السماء، و هو سبحانه في انفراد ملكوته، و عظيم جبروته، و توحّد عظمته، فألاح عليهم نورا من نوره فلمع، و أنشأه من ضيائه فسطع، ثمّ اجتمع النور في [وسط] تلك الصور الخفيّة، فوافق ذلك صورة نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله، فقال اللّه تعالى: أنت المختار المنتجب، و عندك مستودع نوري و كنوز هدايتي، من أجلك أسطح البطحاء، و أمرج الماء، و أرفع السماء، و أجعل الثواب و العقاب و الجنّة و النار، و أنصب أهل بيتك للهداية، و أورثهم من مكنون علمي ما لا يشكل عليهم دقيق و لا يغيب عنهم خفيّ، و أجعلهم حججي على خلقي و بريّتي، و المؤمنين القائلين بوحدانيّتي. ثمّ أخذ اللّه تعالى الشهادة عليهم بالربوبيّة له و الوحدانيّة، ثمّ بعد ذلك أخذ عليهم العهد بانتجاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله و بنبوّته، و أراهم [أنّ] الهداية معه، و النور له، و الإمامة في آله [تقديما] لسنّة العدل ، و ليكون الإعذار متقدّما، حتّى لا يكون لهم الحجّة على اللّه تعالى، ثمّ أخفى اللّه الخليقة في غيبه، و غيّبها في [مكنون] علمه، ثمّ نصب العوالم، و بسط الزمان، و مرج الماء، و أثار الزبد، و أهاج الدخان، و قطر عرشه على الماء، فسطح الأرض على ظهر الماء، ثمّ استجابها إلى الطاعة، فأذعنت بالإجابة. ثمّ أنشأ اللّه تعالى الملائكة من أنوار ابتدعها، و أرواح اخترعها، و قرن بتوحيده نبوّة محمّد صلّى اللّه عليه و آله فشهده في أهل بعثته في الأرض ، فلمّا خلق آدم أبان فضله للملائكة، و أراهم ما خصّه (به) من كرامته، و علّمه حيث عرّفهم عن ذلك بإنبائه إيّاهم أسماء الأشياء، فجعل اللّه آدم محرابا و

كعبة، و بابا و قبلة، أسجد إليها ملائكته و الأنوار الروحانيّين ، ثمّ نبّه آدم [على] مستودعه ، و كشف له عن خطر ما ائتمنه عليه بعد أن سمّاه إماما عند الملائكة، و كان حظّ آدم من الخير بيان نطفته بمستودع نورنا، و لم يزل اللّه تعالى يختار لذلك النور بحسب الزمان (من يستودعه إليه) إلى أن فضّل محمّدا في ظاهر الفترات، فدعى الناس ظاهرا و باطنا، و ندبهم سرّا و علانية فاستدعى عليّا، لينبّه على العهد الذي قدّمه قبل النسل، فمن وافقه قبس من مصباح النور المقدّم اهتدى إلى سرّه، و استبان واضح أمره، و من أبلسته الغفلة فاستحقّ السخط، ثمّ انتقل النور إلى نزار فبلغ فينا، فنحن أنوار اللّه في أرضه و سمائه، و منّا مكنون العلم، و بنا تنقطع الحجّة (أوّلنا: حجّة اللّه، و خاتم الأوصياء، و) آخرنا، حجّة اللّه، و خاتم الأئمّة، و منقذ الأمّة و غاية النور؛ فنحن: أفضل المخلوقين، و أشرف الموحّدين، و حجج ربّ العالمين فليتهنّى بالنّعم من تمسّك بولايتنا و قبض عروتنا»(١) .

٢- «كَانَ اِبْنُ أَبِي اَلْعَوْجَاء مِنْ تَلاَمِذَةِ اَلْحَسَنِ اَلْبَصْرِيِّ فَانْحَرَفَ عَنِ اَلتَّوْحِيدِ فَقِيلَ لَهُ تَرَكْتَ مَذْهَبَ صَاحِبِكَ وَ دَخَلْتَ فِيمَا لاَ أَصْلَ لَهُ وَ لاَ حَقِيقَةَ فَقَالَ إِنَّ صَاحِبِي كَانَ مِخْلَطاً كَانَ يَقُولُ طَوْراً بِالْقَدَرِ وَ طَوْراً بِالْجَبْرِ وَ مَا أَعْلَمُهُ اِعْتَقَدَ مَذْهَباً دَامَ عَلَيْهِ وَ قَدِمَ مَكَّةَ مُتَمَرِّداً وَ إِنْكَاراً عَلَى مَنْ يَحُجُّ وَ كَانَ يَكْرَهُ اَلْعُلَمَاءُ مُجَالَسَتَهُ وَ مُسَاءَلَتَهُ لِخُبْثِ لِسَانِهِ وَ فَسَادِ ضَمِيرِهِ فَأَتَى أَبَا عَبْدِ اَللَّهِ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ فَجَلَسَ إِلَيْهِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ نُظَرَائِهِ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اَللَّهِ إِنَّ اَلْمَجَالِسَ أَمَانَاتٌ وَ لاَ بُدَّ لِكُلِّ مَنْ بِهِ سُعَالٌ أَنْ يَسْعُلَ أَ فَتَأْذَنُ فِي اَلْكَلاَمِ فَقَالَ تَكَلَّمْ فَقَالَ إِلَى كَمْ تَدُوسُونَ هَذَا اَلْبَيْدَرَ وَ تَلُوذُونَ بِهَذَا اَلْحَجَرِ وَ تَعْبُدُونَ هَذَا اَلْبَيْتَ اَلْمَعْمُورَ بِالطُّوبِ وَ اَلْمَدَرِ وَ تُهَرْوِلُونَ حَوْلَهُ هَرْوَلَةَ

(١) غرر الاخبار: ١٩٣.

اَلْبَعِيرِ إِذَا نَفَرَ إِنَّ مَنْ فَكَّرَ فِي هَذَا وَ قَدَّرَ عَلِمَ أَنَّ هَذَا فِعْلٌ أَسَّسَهُ غَيْرُ حَكِيمٍ وَ لاَ ذِي نَظَرٍ فَقُلْ فَإِنَّكَ رَأْسُ هَذَا اَلْأَمْرِ وَ سَنَامُهُ وَ أَبُوكَ أُسُّهُ وَ تَمَامُهُ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اَللَّهِ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ إِنَّ مَنْ أَضَلَّهُ اَللَّهُ وَ أَعْمَى قَلْبَهُ اِسْتَوْخَمَ اَلْحَقَّ وَ لَمْ يَسْتَعْذِبْهُ وَ صَارَ اَلشَّيْطَانُ وَلِيَّهُ وَ رَبَّهُ وَ قَرِينَهُ يُورِدُهُ مَنَاهِلَ اَلْهَلَكَةِ ثُمَّ لاَ يُصْدِرُهُ وَ هَذَا بَيْتٌ اِسْتَعْبَدَ اَللَّهُ بِهِ خَلْقَهُ لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَهُمْ فِي إِتْيَانِهِ فَحَثَّهُمْ عَلَى تَعْظِيمِهِ وَ زِيَارَتِهِ وَ جَعَلَهُ مَحَلَّ أَنْبِيَائِهِ وَ قِبْلَةً لِلْمُصَلِّينَ إِلَيْهِ فَهُوَ شُعْبَةٌ مِنْ رِضْوَانِهِ وَ طَرِيقٌ يُؤَدِّي إِلَى غُفْرَانِهِ مَنْصُوبٌ عَلَى اِسْتِوَاءِ اَلْكَمَالِ وَ مَجْمَعِ اَلْعَظَمَةِ وَ اَلْجَلاَلِ خَلَقَهُ اَللَّهُ قَبْلَ دَحْوِ اَلْأَرْضِ بِأَلْفَيْ عَامٍ فَأَحَقُّ مَنْ أُطِيعَ فِيمَا أَمَرَ وَ اُنْتُهِيَ عَمَّا نَهَى عَنْهُ وَ زَجَرَ اَللَّهُ اَلْمُنْشِئُ لِلْأَرْوَاحِ وَ اَلصُّوَرِ»[١]

٣- عَنْ أَبِي عَبْدِ اَللَّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ: «خَرَجَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ اَلْمُلْكِ حَاجّاً مَعَهُ اَلْأَبْرَشُ اَلْكَلْبِيُّ فَلَقِيَا أَبَا عَبْدِ اَللَّهِ فِي اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرَامِ فَقَالَ هِشَامٌ لِلْأَبْرَشِ تَعْرِفُ هَذَا قَالَ لاَ قَالَ هَذَا اَلَّذِي تَزْعُمُ اَلشِّيعَةُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ كَثْرَةِ عِلْمِهِ فَقَالَ اَلْأَبْرَشُ لَأَسْأَلَنَّهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ لاَ يُجِيبُنِي فِيهَا إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ وَصِيُّ نَبِيٍّ فَقَالَ هِشَامٌ وَدِدْتُ أَنَّكَ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَلَقِيَ اَلْأَبْرَشُ أَبَا عَبْدِ اَللَّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اَللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اَللَّهِ: أَ وَ لَمْ يَرَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ كٰانَتٰا رَتْقاً فَفَتَقْنٰاهُمٰا فَمَا كَانَ رَتْقُهُمَا وَ مَا كَانَ فَتْقُهُمَا فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اَللَّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَا أَبْرَشُ هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ كٰانَ عَرْشُهُ عَلَى اَلْمٰاءِ وَ اَلْمَاءُ عَلَى اَلْهَوَاءِ وَ اَلْهَوَاءُ لاَ يُحَدُّ وَ لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ خَلْقٌ غَيْرُهُمَا وَ اَلْمَاءُ يَوْمَئِذٍ عَذْبٌ فُرَاتٌ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ اَلْأَرْضَ أَمَرَ اَلرِّيَاحَ فَضَرَبَتِ اَلْمَاءَ حَتَّى صَارَ مَوْجاً ثُمَّ أَزْبَدَ فَصَارَ زَبَداً وَاحِداً فَجَمَعَهُ فِي مَوْضِعِ اَلْبَيْتِ ثُمَّ جَعَلَهُ جَبَلاً مِنْ زَبَدٍ ثُمَّ دَحَى اَلْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ فَقَالَ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّٰاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبٰارَكاً

(١) الكافي ٤: ١٩٧.

ثُمَّ مَكَثَ اَلرَّبُّ تَبارَكَ وَ تَعَالَى مَا شَاءَ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ اَلسَّمَاءَ أَمَرَ اَلرِّيَاحَ فَضَرَبَتِ اَلْبُحُورَ حَتَّى أَزْبَدَتْهَا فَخَرَجَ مِنْ ذَلِكَ اَلْمَوْجِ وَ اَلزَّبَدِ مِنْ وَسَطِهِ دُخَانٌ سَاطِعٌ مِنْ غَيْرِ نَارٍ فَخَلَقَ مِنْهُ اَلسَّمَاءَ وَ جَعَلَ فِيهَا اَلْبُرُوجَ وَ اَلنُّجُومَ وَ مَنَازِلَ اَلشَّمْسِ وَ اَلْقَمَرِ وَ أَجْرَاهَا فِي اَلْفَلَكِ وَ كَانَتِ اَلسَّمَاءُ خَضْرَاءَ عَلَى لَوْنِ اَلْمَاءِ اَلْأَخْضَرِ وَ كَانَتِ اَلْأَرْضُ غَبْرَاءَ عَلَى لَوْنِ اَلْمَاءِ اَلْعَذْبِ وَ كَانَتَا مَرْتُوقَتَيْنِ لَيْسَ لَهُمَا أَبْوَابٌ وَ لَمْ يَكُنْ لِلْأَرْضِ أَبْوَابٌ وَ هُوَ اَلنَّبْتُ وَ لَمْ تُمْطِرِ اَلسَّمَاءُ عَلَيْهَا فَتُنْبِتَ فَفَتَقَ اَلسَّمَاءَ بِالْمَطَرِ وَ فَتَقَ اَلْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَ وَ لَمْ يَرَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ اَلسَّمَاوَاتِ وَ اَلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا فَقَالَ اَلْأَبْرَشُ وَ اَللَّهِ مَا حَدَّثَنِي بِمِثْلِ هَذَا اَلْحَدِيثِ أَحَدٌ قَطُّ أَعِدْ عَلَيَّ فَأَعَادَ عَلَيْهِ وَ كَانَ اَلْأَبْرَشُ مُلْحِداً فَقَالَ وَ أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ اِبْنُ نَبِيٍّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ»(١).

وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ: «كَانَ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى اَلْمَاءِ وَ اَلْمَاءُ عَلَى اَلْهَوَاءِ وَ اَلْهَوَاءُ لاَ يَجْرِي وَ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ اَلْمَاءِ خَلْقٌ وَ اَلْمَاءُ يَوْمَئِذٍ عَذْبٌ فُرَاتٌ فَلَمَّا أَرَادَ اَللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ اَلْأَرْضَ أَمَرَ اَلرِّيَاحَ اَلْأَرْبَعَ فَضَرَبْنَ اَلْمَاءَ حَتَّى صَارَ مَوْجاً ثُمَّ أَزْبَدَ زَبَدَةً وَاحِدَةً فَجَمَعَهُ فِي مَوْضِعِ اَلْبَيْتِ فَأَمَرَ اَللَّهُ فَصَارَ جَبَلاً مِنْ زَبَدٍ ثُمَّ دَحَى اَلْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَ هُدىً لِلْعَالَمِينَ»(٢)

٤- عَنْ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ: إِنَّمَا كَانَ لَبِثَ آدَمُ وَ حَوَّاءُ فِي اَلْجَنَّةِ حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنْ أَيَّامِ اَلدُّنْيَا حَتَّى أَكَلاَ مِنَ اَلشَّجَرَةِ فَأَهْبَطَهُمَا اَللَّهُ إِلَى اَلْأَرْضِ مِنْ يَوْمِهِمَا ذَلِكَ قَالَ فَحَاجَّ آدَمُ رَبَّهُ فَقَالَ يَا رَبِّ أَ رَأَيْتَكَ قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَنِي

---

(١) بحار الانوار ٥٦: ٣٧١.

(٢) بحار الانوار ٥٤: ٨٦.

كُنْتَ قَدَّرْتَ عَلَيَّ هَذَا اَلذَّنْبَ وَ كُلَّ مَا صِرْتُ وَ أَنَا صَائِرٌ إِلَيْهِ أَوْ هَذَا شَيْءٌ فَعَلْتُهُ أَنَا مِنْ قَبْلُ لَمْ تُقَدِّرْهُ عَلَيَّ غَلَبَتْ عَلَيَّ شِقْوَتِي فَكَانَ ذَلِكَ مِنِّي وَ فِعْلِي لاَ مِنْكَ وَ لاَ مِنْ فِعْلِكَ قَالَ لَهُ يَا آدَمُ أَنَا خَلَقْتُكَ وَ عَلَّمْتُكَ أَنِّي أُسْكِنُكَ وَ زَوْجَتَكَ اَلْجَنَّةَ وَ بِنِعْمَتِي وَ مَا جَعَلْتُ فِيكَ مِنْ قُوَّتِي قَوِيتَ بِجَوَارِحِكَ عَلَى مَعْصِيَتِي وَ لَمْ تَغِبْ عَنْ عَيْنِي وَ لَمْ يَخْلُ عِلْمِي مِنْ فِعْلِكَ وَ لاَ مِمَّا أَنْتَ فَاعِلُهُ قَالَ آدَمُ يَا رَبِّ اَلْحُجَّةُ لَكَ عَلَيَّ يَا رَبِّ فَحِينَ خَلَقْتَنِي وَ صَوَّرْتَنِي وَ نَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِي وَ [قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ] أَسْجَدْتُ لَكَ مَلاَئِكَتِي وَ نَوَّهْتُ بِاسْمِكَ فِي سَمَاوَاتِي وَ اِبْتَدَأْتُكَ بِكَرَامَتِي وَ أَسْكَنْتُكَ جَنَّتِي وَ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ إِلاَّ بِرِضًى مِنِّي عَلَيْكَ - أَبْلُوكَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ عَمِلْتَ لِي عَمَلاً تَسْتَوْجِبُ بِهِ عِنْدِي مَا فَعَلْتُ بِكَ قَالَ آدَمُ يَا رَبِّ اَلْخَيْرُ مِنْكَ وَ اَلشَّرُّ مِنِّي قَالَ اَللَّهُ يَا آدَمُ أَنَا اَللَّهُ اَلْكَرِيمُ خَلَقْتُ اَلْخَيْرَ قَبْلَ اَلشَّرِّ وَ خَلَقْتُ رَحْمَتِي قَبْلَ غَضَبِي وَ قَدَّمْتُ بِكَرَامَتِي قَبْلَ هَوَانِي وَ قَدَّمْتُ بِاحْتِجَاجِي قَبْلَ عَذَابِي يَا آدَمُ أَ لَمْ أَنْهَكَ عَنِ اَلشَّجَرَةِ وَ أُخْبِرْكَ أَنَّ اَلشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجَتِكَ وَ أُحَذِّرْكُمَا قَبْلَ أَنْ تَصِيرَا إِلَى اَلْجَنَّةِ وَ أُعَلِّمْكُمَا أَنَّكُمَا إِنْ أَكَلْتُمَا مِنَ اَلشَّجَرَةِ كُنْتُمَا ظَالِمَيْنِ لِأَنْفُسِكُمَا عَاصِيَيْنِ لِي يَا آدَمُ لاَ يُجَاوِرُنِي فِي جَنَّتِي ظَالِمٌ عَاصٍ لِي قَالَ فَقَالَ بَلَى يَا رَبِّ اَلْحُجَّةُ لَكَ عَلَيْنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَ عَصَيْنَا وَ إِلاَّ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا نَكُنْ مِنَ اَلْخَاسِرِينَ قَالَ فَلَمَّا أَقَرَّا لِرَبِّهِمَا بِذَنْبِهِمَا وَ أَنَّ اَلْحُجَّةَ مِنَ اَللَّهِ لَهُمَا تَدَارَكَهُمَا رَحْمَةُ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ فَتَابَ عَلَيْهِمَا رَبُّهُمَا إِنَّهُ هُوَ اَلتَّوَّابُ اَلرَّحِيمُ قَالَ اَللَّهُ يَا آدَمُ اِهْبِطْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ إِلَى اَلْأَرْضِ فَإِذَا أَصْلَحْتُمَا أَصْلَحْتُكُمَا وَ إِنْ عَمِلْتُمَا لِي قَوَّيْتُكُمَا وَ إِنْ تَعَرَّضْتُمَا لِرِضَايَ تَسَارَعْتُ إِلَى رِضَاكُمَا وَ إِنْ خِفْتُمَا مِنِّي آمَنْتُكُمَا مِنْ سَخَطِي قَالَ فَبَكَيَا عِنْدَ ذَلِكَ وَ قَالاَ رَبَّنَا فَأَعِنَّا عَلَى صَلاَحِ أَنْفُسِنَا وَ عَلَى اَلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيكَ عَنَّا قَالَ اَللَّهُ لَهُمَا إِذَا عَمِلْتُمَا سُوءاً فَتُوبَا إِلَيَّ مِنْهُ أَتُبْ

عَلَيْكُمَا وَ أَنَا اَللَّهُ اَلتَّوَّابُ اَلرَّحِيمُ قَالَ فَأَهْبِطْنَا بِرَحْمَتِكَ إِلَى أَحَبِّ اَلْبِقَاعِ إِلَيْكَ قَالَ فَأَوْحَى اَللَّهُ إِلَى جَبْرَئِيلَ أَنْ أَهْبِطْهُمَا إِلَى اَلْبَلْدَةِ اَلْمُبَارَكَةِ مَكَّةَ قَالَ فَهَبَطَ بِهِمَا جَبْرَئِيلُ فَأَلْقَى آدَمَ عَلَى اَلصَّفَا وَ أَلْقَى حَوَّاءَ عَلَى اَلْمَرْوَةِ قَالَ فَلَمَّا أُلْقِيَا قَامَا عَلَى أَرْجُلِهِمَا وَ رَفَعَا رُءُوسَهُمَا إِلَى اَلسَّمَاءِ وَ ضَجَّا بِأَصْوَاتِهِمَا بِالْبُكَاءِ إِلَى اَللَّهِ تَعَالَى وَ خَضَعَا بِأَعْنَاقِهِمَا قَالَ فَهَتَفَ اَللَّهُ بِهِمَا مَا يُبْكِيكُمَا بَعْدَ رِضَايَ عَنْكُمَا قَالَ فَقَالاَ رَبَّنَا أَبْكَتْنَا خَطِيئَتُنَا وَ هِيَ أَخْرَجَتْنَا عَنْ جِوَارِ رَبِّنَا وَ قَدْ خَفِيَ عَنَّا تَقْدِيسُ مَلاَئِكَتِكَ لَكَ رَبَّنَا وَ بَدَتْ لَنَا عَوْرَاتُنَا وَ اِضْطَرَّنَا ذَنْبُنَا إِلَى حَرْثِ اَلدُّنْيَا وَ مَطْعَمِهَا وَ مَشْرَبِهَا وَ دَخَلَتْنَا وَحْشَةٌ شَدِيدَةٌ لِتَفْرِيقِكَ بَيْنَنَا قَالَ فَرَحِمَهُمَا اَلرَّحْمَنُ اَلرَّحِيمُ عِنْدَ ذَلِكَ وَ أَوْحَى إِلَى جَبْرَئِيلَ أَنَا اَللَّهُ اَلرَّحْمَنُ اَلرَّحِيمُ وَ أَنِّي قَدْ رَحِمْتُ آدَمَ وَ حَوَّاءَ لِمَا شَكَيَا إِلَيَّ فَاهْبِطْ عَلَيْهِمَا بِخَيْمَةٍ مِنْ خِيَامِ اَلْجَنَّةِ وَ عَزِّهِمَا عَنِّي بِفِرَاقِ اَلْجَنَّةِ وَ اِجْمَعْ بَيْنَهُمَا فِي اَلْخَيْمَةِ فَإِنِّي قَدْ رَحِمْتُهُمَا لِبُكَائِهِمَا وَ وَحْشَتِهِمَا وَ وَحْدَتِهِمَا وَ اِنْصِبْ لَهُمَا اَلْخَيْمَةَ عَلَى اَلتُّرْعَةِ اَلَّتِي بَيْنَ جِبَالِ مَكَّةَ قَالَ وَ اَلتُّرْعَةُ مَكَانُ اَلْبَيْتِ وَ قَوَاعِدِهِ اَلَّتِي رَفَعَتْهَا اَلْمَلاَئِكَةُ قَبْلَ ذَلِكَ فَهَبَطَ جَبْرَئِيلُ عَلَى آدَمَ بِالْخَيْمَةِ عَلَى مِقْدَارِ أَرْكَانِ اَلْبَيْتِ وَ قَوَاعِدِهِ فَنَصَبَهَا قَالَ وَ أَنْزَلَ جَبْرَئِيلُ آدَمَ مِنَ اَلصَّفَا وَ أَنْزَلَ حَوَّاءَ مِنَ اَلْمَرْوَةِ وَ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي اَلْخَيْمَةِ قَالَ وَ كَانَ عَمُودُ اَلْخَيْمَةِ قَضِيبَ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ فَأَضَاءَ نُورُهُ وَ ضَوْؤُهُ جِبَالَ مَكَّةَ وَ مَا حَوْلَهَا قَالَ وَ اِمْتَدَّ ضَوْءُ اَلْعَمُودِ فَجَعَلَهُ اَللَّهُ حَرَماً فَهُوَ مَوَاضِعُ اَلْحَرَمِ اَلْيَوْمَ كُلُّ نَاحِيَةٍ مِنْ حَيْثُ بَلَغَ ضَوْءُ اَلْعَمُودِ فَجَعَلَهُ اَللَّهُ حَرَماً لِحُرْمَةِ اَلْخَيْمَةِ وَ اَلْعَمُودِ لِأَنَّهُمَا مِنَ اَلْجَنَّةِ قَالَ وَ لِذَلِكَ جَعَلَ اَللَّهُ اَلْحَسَنَاتِ فِي اَلْحَرَمِ مُضَاعَفَةً وَ اَلسَّيِّئَاتِ فِيهِ مُضَاعَفَةً قَالَ وَ مُدَّتْ أَطْنَابُ اَلْخَيْمَةِ حَوْلَهَا فَمُنْتَهَى أَوْتَادِهَا مَا حَوْلَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرَامِ قَالَ وَ كَانَتْ أَوْتَادُهَا مِنْ غُصُونِ اَلْجَنَّةِ وَ أَطْنَابُهَا مِنْ ظَفَائِرِ اَلْأُرْجُوَانِ قَالَ فَأَوْحَى اَللَّهُ إِلَى جَبْرَئِيلَ أَهْبِطْ عَلَى اَلْخَيْمَةِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ

يَحْرُسُونَهَا مِنْ مَرَدَةِ اَلْجِنِّ وَ يُؤْنِسُونَ آدَمَ وَ حَوَّاءَ وَ يَطُوفُونَ حَوْلَ اَلْخَيْمَةِ تَعْظِيماً لِلْبَيْتِ وَ اَلْخَيْمَةِ قَالَ فَهَبَطَتِ اَلْمَلاَئِكَةُ فَكَانُوا بِحَضْرَةِ اَلْخَيْمَةِ يَحْرُسُونَهَا مِنْ مَرَدَةِ اَلشَّيَاطِينِ وَ اَلْعُتَاةِ وَ يَطُوفُونَ حَوْلَ أَرْكَانِ اَلْبَيْتِ وَ اَلْخَيْمَةِ كُلَّ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ كَمَا كَانُوا يَطُوفُونَ فِي اَلسَّمَاءِ حَوْلَ اَلْبَيْتِ اَلْمَعْمُورِ قَالَ وَ أَرْكَانُ اَلْبَيْتِ اَلْحَرَامِ فِي اَلْأَرْضِ حِيَالَ اَلْبَيْتِ اَلْمَعْمُورِ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ قَالَ ثُمَّ إِنَّ اَللَّهَ أَوْحَى إِلَى جَبْرَئِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِ اِهْبِطْ إِلَى آدَمَ وَ حَوَّاءَ فَنَحِّهِمَا عَنْ مَوَاضِعِ قَوَاعِدِ بَيْتِي فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَهْبِطَ فِي ظِلاَلٍ مِنْ مَلاَئِكَتِي إِلَى أَرْضِي فَأَرْفَعَ أَرْكَانَ بَيْتِي لِمَلاَئِكَتِي وَ لِخَلْقِي مِنْ وُلْدِ آدَمَ قَالَ فَهَبَطَ جَبْرَئِيلُ عَلَى آدَمَ وَ حَوَّاءَ فَأَخْرَجَهُمَا مِنَ اَلْخَيْمَةِ وَ نَحَّاهُمَا عَنْ تُرْعَةِ اَلْبَيْتِ اَلْحَرَامِ وَ نَحَّى اَلْخَيْمَةَ عَنْ مَوْضِعِ اَلتُّرْعَةِ قَالَ وَ وَضَعَ آدَمَ عَلَى اَلصَّفَا وَ وَضَعَ حَوَّاءَ عَلَى اَلْمَرْوَةِ وَ رَفَعَ اَلْخَيْمَةَ إِلَى اَلسَّمَاءِ فَقَالَ آدَمُ وَ حَوَّاءُ يَا جَبْرَئِيلُ بِسَخَطٍ مِنَ اَللَّهِ حَوَّلْتَنَا وَ فَرَّقْتَ بَيْنَنَا أَمْ بِرِضًى تَقْدِيراً مِنَ اَللَّهِ عَلَيْنَا فَقَالَ لَهُمَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ سَخَطاً مِنَ اَللَّهِ عَلَيْكُمَا وَ لَكِنَّ اَللَّهَ لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ يَا آدَمُ إِنَّ اَلسَّبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ اَلَّذِينَ أَنْزَلَهُمُ اَللَّهُ إِلَى اَلْأَرْضِ لِيُؤْنِسُوكَ وَ يَطُوفُونَ حَوْلَ أَرْكَانِ اَلْبَيْتِ وَ اَلْخَيْمَةِ سَأَلُوا اَللَّهَ أَنْ يَبْنِيَ لَهُمْ مَكَانَ اَلْخَيْمَةِ بَيْتاً عَلَى مَوْضِعِ اَلتُّرْعَةِ اَلْمُبَارَكَةِ حِيَالَ اَلْبَيْتِ اَلْمَعْمُورِ فَيَطُوفُونَ حَوْلَهُ كَمَا كَانُوا يَطُوفُونَ فِي اَلسَّمَاءِ حَوْلَ اَلْبَيْتِ اَلْمَعْمُورِ فَأَوْحَى اَللَّهُ إِلَيَّ أَنْ أُنَحِّيَكَ وَ حَوَّاءَ وَ أَرْفَعَ اَلْخَيْمَةَ إِلَى اَلسَّمَاءِ فَقَالَ آدَمُ رَضِينَا بِتَقْدِيرِ اَللَّهِ وَ نَافِذِ أَمْرِهِ فِينَا فَكَانَ آدَمُ عَلَى اَلصَّفَا وَ حَوَّاءُ عَلَى اَلْمَرْوَةِ قَالَ فَدَخَلَ آدَمَ لِفِرَاقِ حَوَّاءَ وَحْشَةٌ شَدِيدَةٌ وَ حُزْنٌ قَالَ فَهَبَطَ مِنَ اَلصَّفَا يُرِيدُ اَلْمَرْوَةَ شَوْقاً إِلَى حَوَّاءَ وَ لِيُسَلِّمَ عَلَيْهَا وَ كَانَ فِيمَا بَيْنَ اَلصَّفَا وَ اَلْمَرْوَةِ وَادٍ وَ كَانَ آدَمُ يَرَى اَلْمَرْوَةَ مِنْ فَوْقِ اَلصَّفَا فَلَمَّا اِنْتَهَى إِلَى مَوْضِعِ اَلْوَادِي غَابَتْ عَنْهُ اَلْمَرْوَةُ فَسَعَى فِي اَلْوَادِي حَذَراً لِمَا لَمْ يَرَ اَلْمَرْوَةَ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ قَدْ ضَلَّ

عَنْ طَرِيقِهِ فَلَمَّا أَنْ جَازَ اَلْوَادِيَ وَ اِرْتَفَعَ عَنْهُ نَظَرَ إِلَى اَلْمَرْوَةِ فَمَشَى حَتَّى اِنْتَهَى إِلَى اَلْمَرْوَةِ فَصَعِدَ عَلَيْهَا فَسَلَّمَ عَلَى حَوَّاءَ ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِمَا نَحْوَ مَوْضِعِ اَلتُّرْعَةِ يَنْظُرَانِ هَلْ رُفِعَ قَوَاعِدُ اَلْبَيْتِ وَ يَسْأَلاَنِ اَللَّهَ أَنْ يَرُدَّهُمَا إِلَى مَكَانِهِمَا حَتَّى هَبَطَ مِنَ اَلْمَرْوَةِ فَرَجَعَ إِلَى اَلصَّفَا فَقَامَ عَلَيْهِ وَ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ مَوْضِعِ اَلتُّرْعَةِ فَدَعَا اَللَّهَ ثُمَّ إِنَّهُ اِشْتَاقَ إِلَى حَوَّاءَ فَهَبَطَ مِنَ اَلصَّفَا يُرِيدُ اَلْمَرْوَةَ فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَهُ فِي اَلْمَرَّةِ اَلْأُولَى ثُمَّ رَجَعَ إِلَى اَلصَّفَا فَفَعَلَ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي اَلْمَرَّةِ اَلْأُولَى ثُمَّ إِنَّهُ هَبَطَ مِنَ اَلصَّفَا إِلَى اَلْمَرْوَةِ فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي اَلْمَرَّتَيْنِ اَلْأُولَيَيْنِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى اَلصَّفَا فَقَامَ عَلَيْهِ وَ دَعَا اَللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ زَوْجَتِهِ حَوَّاءَ قَالَ فَكَانَ ذَهَابُ آدَمَ مِنَ اَلصَّفَا إِلَى اَلْمَرْوَةِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ وَ رُجُوعُهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَذَلِكَ سِتَّةُ أَشْوَاطٍ فَلَمَّا أَنْ دَعَيَا اَللَّهَ وَ بَكَيَا إِلَيْهِ وَ سَأَلاَهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا اِسْتَجَابَ اَللَّهُ لَهُمَا مِنْ سَاعَتِهِمَا مِنْ يَوْمِهِمَا ذَلِكَ مَعَ زَوَالِ اَلشَّمْسِ فَأَتَاهُ جَبْرَئِيلُ وَ هُوَ عَلَى اَلصَّفَا وَاقِفٌ يَدْعُو اَللَّهَ مُقْبِلاً بِوَجْهِهِ نَحْوَ اَلتُّرْعَةِ فَقَالَ لَهُ جَبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ اِنْزِلْ يَا آدَمُ مِنَ اَلصَّفَا فَالْحَقْ بِحَوَّاءَ فَنَزَلَ آدَمُ مِنَ اَلصَّفَا إِلَى اَلْمَرْوَةِ فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي اَلثَّلاَثِ اَلْمَرَّاتِ حَتَّى اِنْتَهَى إِلَى اَلْمَرْوَةِ فَصَعِدَ عَلَيْهَا وَ أَخْبَرَ حَوَّاءَ بِمَا أَخْبَرَهُ جَبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَفَرِحَا بِذَلِكَ فَرَحاً شَدِيداً وَ حَمِدَا اَللَّهَ وَ شَكَرَاهُ فَلِذَلِكَ جَرَتِ اَلسُّنَّةُ بِالسَّعْيِ بَيْنَ اَلصَّفَا وَ اَلْمَرْوَةِ وَ لِذَلِكَ قَالَ اَللَّهُ إِنَّ اَلصَّفٰا وَ اَلْمَرْوَةَ مِنْ شَعٰائِرِ اَللّٰهِ فَمَنْ حَجَّ اَلْبَيْتَ أَوِ اِعْتَمَرَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمٰا قَالَ ثُمَّ إِنَّ جَبْرَئِيلَ أَتَاهُمَا فَأَنْزَلَهُمَا مِنَ اَلْمَرْوَةِ وَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّ اَلْجَبَّارَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى قَدْ هَبَطَ إِلَى اَلْأَرْضِ فَرَفَعَ قَوَاعِدَ اَلْبَيْتِ اَلْحَرَامِ بِحَجَرٍ مِنَ اَلصَّفَا وَ حَجَرٍ مِنَ اَلْمَرْوَةِ وَ حَجَرٍ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ وَ حَجَرٍ مِنْ جَبَلِ اَلسَّلاَمِ وَ هُوَ ظَهْرُ اَلْكُوفَةِ فَأَوْحَى اَللَّهُ إِلَى جَبْرَئِيلَ أَنِ اِبْنِهِ وَ أَتِمَّهُ قَالَ فَاقْتَلَعَ جَبْرَئِيلُ اَلْأَحْجَارَ اَلْأَرْبَعَةَ بِأَمْرِ اَللَّهِ مِنْ مَوَاضِعِهِنَّ بِجَنَاحَيْهِ فَوَضَعَهُمَا

حَيْثُ أَمَرَهُ اَللَّهُ فِي أَرْكَانِ اَلْبَيْتِ عَلَى قَوَاعِدِهِ اَلَّتِي قَدَّرَهَا اَلْجَبَّارُ وَ نَصَبَ أَعْلاَمَهَا ثُمَّ أَوْحَى اَللَّهُ إِلَى جَبْرَئِيلَ أَنِ اِبْنِهِ وَ أَتْمِمْهُ بِحِجَارَةٍ مِنْ أَبِي قُبَيْسٍ وَ اِجْعَلْ لَهُ بَابَيْنِ بَابَ شَرْقِيٍّ وَ بَابَ غَرْبِيٍّ قَالَ فَأَتَمَّهُ جَبْرَئِيلُ فَلَمَّا اِنْفَرَغَ مِنْهُ طَافَتِ اَلْمَلاَئِكَةُ حَوْلَهُ فَلَمَّا نَظَرَ آدَمُ وَ حَوَّاءُ إِلَى اَلْمَلاَئِكَةِ يَطُوفُونَ حَوْلَ اَلْبَيْتِ اِنْطَلَقَا فَطَافَا بِالْبَيْتِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ثُمَّ خَرَجَا يَطْلُبَانِ مَا يَأْكُلاَنِ وَ ذَلِكَ مِنْ يَوْمِهِمَا اَلَّذِي هَبَطَ بِهِمَا فِيهِ»[1].

المقام الثاني: في «يَأْلَهُون»

قال حبيب الله الخوئي: «يَأْلَهُون» إليه من وله يوله من باب ضرب ومنع وحسب إذا ذهب عقله من فرحٍ أو حزنٍ، ومعنى يألهون إليه يشتد شوقهم إليه حتّى يكاد يذهب عقولهم من شدة الإشتياق.

و(الولوه) بالضمّ مصدر وله يوله من باب الرابع مثل الولوغ من ولغ يولغ، أو مصدر وله يوله من الباب السادس مثل الولوغ أيضاً من ولغ يولغ، أو مصدر وله يوله من الباب الثاني مثل الرجوع من رجع يرجع أو بالفتح مصدر وله يوله من الباب الرابع أيضاً مثل الولوع من ولع يولع.

وعلى جميع الاحتمالات فالهمزة في يألهون مقلوبة من الواو.

وبما ذكرنا ظهر فساد ما توهّمه الشّارح المعتزلي حيث إنّه بعد ضبطه في المتن يولهون إليه وله الحمام قال: الوله شدّة الوجد حتّى يكاد العقل يذهب، وله الرجل يوله ولهاً.

ومن روى يألهون ولوه الحمام فسّره بشيءٍ آخر، وهو يعكفون عليه عكوف

---

(١) بحار الانوار ١١: ١٨٢.

الحمام.

وأصل أله عبد، ومنه الآله، أي: المعبود.

ولمّا كان العكوف على الشيء كالعبادة الملازمة له والإنقطاع إليه، يقال: أله فلان إلى كذا، أي: عكف عليه كأنه يعبده.

ثُمَّ قال: ولا يجوز أن يقال: يألهون إليه في هذا الموضع بمعنى يولهون، وأنَّ أصل الهمزة الواو كما فسّره الراوندي لأنَّ فعولاً لا يجوز أن يكون مصدراً من فعلت بالكسر، ولو كان يألهون هو يولهون كان أصله أله بالكسر فلم يجز أن يقول: ولوه الحمام، وأمّا على ما فسرناه نحن فلا يمتنع أن يكون الولوه مصدراً، لأنَّ الأله مفتوح، فصار كقولك: دخل دخولاً، انتهى.

وجه ظهور الفساد أوّلاً أنّ المضبوط من كلامه (عليه السلام) في النسخ المتعدّدة لألهون إليه ولوه الحمام، ولم نعثر بعد على ما ضبطه الشّارح أعني يولهون إليه وله الحمام في شيءٍ من النفخ، ولعلّه غير كلامه لمّا زعم من عدم مطابقته للقواعد الصرفيّة مع أنّ ذلك الزعم فاسدٌ حسبما تعرفه بعيد هذا.

وثانياً أنَّ ما ذكره من عدم مجيء فعول مصدراً من فعل بالكسر لا يعرف وجه له بل اللغة يشهد بخلافه على ما يظهر من الكتب المدّونة فيها، حيث إنَّ المتحصّل منها أنَّ فعولاً بضمّ الفاء قد يجيء مصدراً من فعل مفتوح العين، سواء كان مضارعه يفعل بالفتح كالركوع والرنوع والولوغ والهبوغ بالغين المعجمة في الأخيرين، أو يفعل بالضمّ كالسجود والبلوغ والقعود والدّخول، أو يفعل بالكسر كالرجوع.

وقد يكون مصدراً من فعلٍ مكسور العين سواء كان مضارعه يفعل بالكسر كالولوغ أيضاً أو الفتح الولوغ أيضاً، وقد ذكروا أنَّ الفعول أيضاً بفتح الفاء قد يكون

مصدراً من فعل بكسر العين كالولوع بالعين المهملة.

وثالثاً أنّ ما ذكرناه أخيراً من قوله: وأمّا على ما فسرناه نحن فلا يمتنع أن يكون الولوه مصدراً لأنّ أله مفتوح فصار كقولك دخل دخولاً.

فيه:

أوّلاً: أنّه لم يسبق له تفسير في ذلك، وإنّما روى تفسيراً من غيره بقوله ومن روى يألهون فسره هكذا، فقوله: وأمّا على ما فسرناه نحن غير خالٍ من السماجة.

ثانياً: بعد الإغماض والحمل على التسامح اللفظي أن التفسير المذكور لا يصحّح ما ذكرناه، اذ الهمزة في آله بمعنى عبد أصلية وليست مقلوبة من الواو، فكيف يكون الواو مصدراً له، وإنّما مصدره الألهة والوهة حسبما مرّ في تفسير لفظ الجلالة في صدر الخطبة.

ثالثاً: أنّ الظاهر تمثيله بقوله: دخل دخولاً، يشعر بكونه أله من هذا الباب أيضاً، أي: من باب فعل يفعل بفتح عين الماضي حسبما صرّح به نفسه أيضاً وضمّ عين المضارع مع أنّ اللغويين صرّحوا بأنّه أله بمعنى عبد من باب فعل يفعل كفرح يفرح[1]، انتهى كلامه.

هذا، ولسنا نريد متابعة قوليهما كما جرت عادتنا على ذلك.

إلّا أنّ المهم في هذا المقام الإشارة إلى بطلان قول المعتزلي بدليل قول سيبويه: وقد جاء بعض ما ذكرناه من هذه الأبنية – ويقصد: فعل يُفعل، وفَعَل يَفعِل، وفعِل يفعل، ويكون المصدر فعلاً والاسم فاعلاً – على فعول، وذلك: لزم يَلزَمه لزوماً، ونَهكه يَنهكه نهوكاً، ووردت ورُوداً، وجَحَدتُه جحوداً، شبَّهوه بجلس يجلِسُ

(١)- منهاج البراعة للخوئي ٢: ٢٣١-٢٣٤.

جلوساً، وقعد يقعُدُ قعوداً، وركن يركن ركوناً، لأنَّ بناء الفعل واحدٌ[١].

وبهذا يتضح أنّه في هكذا أحوال يجب عليه أن يشير إلى النسخة التي تفرّد بها ليأمن التهمة كما حدث معه هنا.

هذا آخر ما أحببنا أن نشير إليه في شرح خطبته الشريفة التي تصدّر بها نهج البلاغة لمولانا أمير المؤمنين (عليه السلام).

والحمد لله وحدّه

(١)))- كتاب سبيويه ٤: ٥.

مصادر الكتاب

القرآن الكريم.

الصحيفة السجادية الكاملة.

١- اختيار مصباح السالكين، ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ايران – مشهد، الطبع الأولى، ١٤٠٨، مجمع البحوث الإسلامية التابعة للآستانة الرضوية المقدسة.

٢- أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود.

٣- الاستغناء في احكام الاستثناء، شهاب الدين القرافي، تحقيق الدكتور طه محسن، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٤٠٢.

٤- اعلام نهج البلاغة، علي بن ناصر السرخسي، مؤسسة الطباعة والنسر وزارة الإرشاد الإسلامي – نشر عطاردي، الطبعة الأولى، طهران، ١٤١٥.

٥- الحكمة المتعالية، صدر الدين الشيرازي، منشورات مصطفوي، ايران – قم.

٦- الدرة النجفية، إبراهيم بن حسين الخوئي، نشر عبد الصمد بن احمد التبريزي، ١٣٢٥.

٧- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، بتحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، باقري، قم، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ

٨- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، مكتبة بصيرتي، قم، ١٤١٠.

٩- الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، دار الحديث، قم،

الطبعة الأولى، ١٤٢٩.

١٠- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤ م.

١١- الكشاف، جار الله الزمخشري، منشورات البلاغة، قم ايران، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م.

١٢- المسائل السروية، الشيخ محمد بن محمد المفيد، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣.

١٣- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مطبعة الأميرة، بيروت لبنان، ٢٠١٠ م.

١٤- المعجم الاصولي، الشيخ محمد صنقور، الطبعة الأولى، مطبعة (عترت)، ١٤٢١.

١٥- المنصف من الكلام على مغني ابن هشام، والمعروف بـ حاشية العلامة الشمني على مغني اللبيب، تقي الدين احمد بن محمد الشمني، مطبعة احمد محمد أفندي مصطفى، من دون تاريخ.

١٦- الهداية الكبرى، حسين بن حمدان الخصيبي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤١٩.

١٧- بحار الانوار، العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، بيروت، دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣.

١٨- بداية الحكمة للعلامة الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي، تحقيق الشيخ عباس الزارعي، ايران – قم، ١٤٢٠.

١٩- بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، عماد الدين أبو جعفر الطبري الآملي، المكتبة الحيدرية، النجف، الطبعة الثانية، ١٣٨٢.

٢٠- بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد صلّى الله عليهم، محمد بن حسن الصفار، تحقيق محسن بن عباس، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤.

٢١- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد تقي التستري، دار أمير كبير للنشر، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ايران – طهران.

٢٢- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين الاسترابادي، نشر مدرسة الامام المهدي عليه السلام، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.

٢٣- تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب، بدر الدين الدماميني، تحقيق محمد بن مختار اللوحي، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م.

٢٤- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي، حققه مجموعة باحثين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٧ م.

٢٥- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، نشر المطبعة العلمية، تحقيق هاشم رسولي، طهران، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

٢٦- تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى، دار الأضواء، الطبعة الثانية، بيروت – لبنان، ١٤٠٩.

٢٧- جواهر البلاغة السيد احمد الهاشمي، انتشارات ذو القربى، ايران – قم، ١٤٢٠.

٢٨- حاشية الأمير على مغني اللبيب، الشيخ محمد الأمير، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

٢٩- حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الكيذري، تحقيق: الشيخ عزيز الله العطاردي، مركز فرهنكي خراسان، الطبعة الثانية ١٣٩١.

٣٠- شرح الكافية، رضي الدين الاسترابادي، تحقيق وتعليق: يوسف حسن عمر، دار المجتبى، قم – ايران، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.

٣١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، تقديم الشيخ حسين الاعلمي، لبنان – بيروت ١٤١٩ هـ

٣٢- شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية ١٤٠٤.

٣٣- عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، محمد ابن بابويه، تحقيق مهدي اللاجوردي، نشر جهان، طهران، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

٣٤- علل الشرائع، محمد ابن بابويه، نشر مكتبة داوري، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٧.

٣٥- فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، نور الدين الجزائري.

٣٦- فلاح السائل ونجاح المسائل، السيد ابن طاووس، تحقيق غلام حسين المجيدي، دار جواد الأئمة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢.

٣٧- كمال الدين وتمام النعمة، محمد ابن بابويه، تحقيق علي أكبر غفاري، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩٥.

٣٨- لسان العرب، ابن منظور الشافعي، نسقه وعلّق عليه علي شيري، دار

أحياء التراث العربي، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ

٣٩- لمع الأدلة في أصول النحو، أبو البركات الأنباري، تحقيق وتقديم سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، الطبعة الأولى، ١٩٥٧ م.

٤٠- معارج نهج البلاغة، علي بن زيد البيهقي، اعداد: قسم أحياء التراث الإسلامي، تحقيق: أسعد الطيّب، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ نشر: بوستان كتاب قم.

٤١- معاني الاخبار، محمد ابن بابويه، تحقيق علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣.

٤٢- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، دكتور احمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٧.

٤٣- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، مؤسسة الصادق، طهران، ناصر خسرو ١٣٧٨ ش، بتحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله.

٤٤- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، السيد محمد تقي النقوي القايني الخراساني، طهران، مكتبة مصطفوي.

٤٥- منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محيي الدين عبد الحمين، دار الغدير، قم – ايران، الطبعة الأولى، ١٤٣٤.

٤٦- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي، تحقيق السيّد عبد اللطيف الكوهكمري، مطبعة الخيام – قم ١٤٠٦ هـ

٤٧- منهاج البراعة للراوندي، تحقيق العطاردي، انتشارات عطارد، الطبعة الثانية، ١٣٩١ ش.

٤٨- منهاج الولاية في نهج البلاغة، مير عبد الباقي التبريزي (حجري).

٤٩- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، المطبعة الرحمانية القاهرة مصر.

٥٠- نظرات في أخطاء المنشئين، الشيخ محمد جعفر الكرباسي، مطبعة الاداب، النجف الاشرف – العراق، ١٤٠٣.

المحتويات